

938
K4
C

تجليد
صالح القفر
بيروت - المزرعة

21116

1. The [illegible], Oct. Jan. 1931

939.4
K45EA
C. 2

القراء برسم النقد من
المؤلف
١٥ أيلول ١٣٣٥
امير جليلة

تاريخ سوريا
قبل
الفتح الاسلامي

تأليف
امير غلبه ب. ع.
عضو في المجمع العلمي للتاريخ الدولي
في باريس

38706

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

طبع في مطبعة الدائرة الاستعدادية * الجامعة الاميركية في بيروت
سنة ١٩٣٠



Handwritten text in Arabic script, likely a title or subject.

Handwritten text in Arabic script, likely a title or subject.

Handwritten text in Arabic script, likely a title or subject.

Handwritten text in Arabic script, likely a title or subject.

Handwritten text in Arabic script, likely a title or subject.

مقدمة

التاريخ مدرسة لكل جيل من الناس بل هو درس لكل أمة من الأمم ولها فيه عبرة وذكرى ، يهدي بدروسه كل مفكر لبيب الى الاسباب التي أدت بآمتة الى الهبوط ويريه بعين التأمل كيف كانت آمتة التي تحدر منها ، تلو وتسفل في سماء التاريخ مسوقة بعوامل تؤثر بها . فكل ذي بصيرة حكيم ينظر الى دواعي الرقي فيمهد العقبات التي تحول دونها ، ويلتفت الى ما القى آمتة في مهاوي الانحطاط فيدعو مواطنيه الى تجنب السقوط فيها . وكلا المدرسين اللذين تتعلمهما من التاريخ يريان الى هدف واحد وهو اقامة الاوطان من عثرتها وانهاضها من كبوتها .

ولا ينشأ احداث آمة من الأمم على حبر اوطانهم ما لم يعرفوا شيئاً مشتركاً من تاريخ بلادهم يقدسونه معاً ، ويستنبطون بسير اسلافهم فيعملون بما حسن منها ويواظبون على السعي وراء سلامتها من كل شائبة ، وينفرون من كل سيئة كانت مشؤومة العاقبة على الآمة .

ان معرفة تاريخ البلاد التي تكون المرء من اديمها وتنشق هوائها لواجب يقدسه كل عاقل حكيم ، فهي ذلك السلك الذهبي الدقيق الذي يربط افراد الامم بعضهم ببعض ربطاً تعجز السلاسل عن الاتيان بمثله . فاذا عرف الشعب تاريخه المجيد تغني باجماد الاجداد ، ان كان هنالك من

* ب *

ابجاد ، فيدفعه هذا النشيد الحماسي الى اقتحام الصعاب وتذليل كل ما يقف في وجه رقيه من حصن منيع وعقبة كؤود .

والغرض من وضع هذا الكتاب هو اظهار فضل المدنية السورية على سواها من مدنيات العالم القديم ، وابجاد كتاب لتعليم الاحداث تاريخ بلادهم بلغتهم ، وايقافهم على اخبارها قبل وقوفهم على تاريخ غيرها من البلدان .

وقد جعلت لغته سهلة بسيطة حتى لا يتعسر على الطالب فهمها ، وحرصاً على الفائدة التاريخية من الضياع بين تنميق العبارات ووصف الكلمات . اما الاسلوب فهو غالباً قصصي . وقد اكثرت من وصف المعارك بدقة وضبط ليجد الطالب لذة في مطالعة الدرس ويرغب في الاستزادة من الاخبار التاريخية .

ويجدر بي ان ادون اختباراتي التي لاحظتها في خلال اربع سنوات درّست في اثائها هذا الكتاب فوجدتها مفيدة نافعة تدفع الطلاب وتشوقهم الى معرفة تاريخ بلادهم وهذه هي :

اولاً : على المعلم ان يكثر ما استطاع من الامثلة التي يعرفها التلميذ وتشبه ما يدرسه وان ينزل بعقليته الى درجة عقلية الطالب فياخذ بيده ويصعدان في سلم الارتقاء الفكري لان يقف على اعلى درجة من السلم وينادي التلميذ من هناك ليصعد اليه .

ثانياً : ان يقارن بين الاحوال التاريخية التي يدرسها الطالب وبين الاحوال الحاضرة التي تشبهها فهذا يفيد ويوجب الي الطالب درس التاريخ

بلذة ويشوقه الى الاستزادة .

ثالثاً : ان يستعمل الصور الفوتوغرافية والفانوس السحري .

رابعاً : ان يسعى في تمثيل الروايات التاريخية وبعض الحوادث الهامة بشكل بسيط في الصف ليتجدد الاسلوب دائماً ويرتاح الطالب الى ما يتعلمه و يقبل على الدرس ليس لاتمام الواجب المدرسي فقط بل للذة يشعر بها . ويستحسن الاقبال بالطلبة على كتابة بعض الحوادث التاريخية بقال روائي .

خامساً : ان يذهب مع الطلبة ما استطاع الى بعض الامكنة المجاورة حيث الاثار التاريخية ككهبر الكلب و بعلبك وتدمر وجبيل وغيرها و يزور المتاحف التي يمكن ان يزورها .

سادساً : ان ينمي قوة الاستنتاج في التلميذ بالاسئلة العقلية .

سابعاً : ان يبحث مفصلاً في سيرة حياة عظماء التاريخ بدقة واتقان

ويحمل الطلبة على الاقتداء بهم ونهج نهجهم .

وقد استندت في وضع هذا الكتاب على مؤلفات شتى انكليزية وفرنسية وعربية لاشهر المورخين كبراستيد وهوارت ولامنس وحتي وباتن ومسبرو ورولنسن ويغن ومومسن وبوشير وغيرهم . واني لا ازمي الى غير الافادة فيما كتبت ودونت فان حصلت فذلك حسبي والا فاني لا احرم أجر السعي وعلى المرء ان يسعى الى الخير جهده .

امين خليفه

عين غنوب في ٢ آب سنة ١٩٣٠

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100
101
102
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
151
152
153
154
155
156
157
158
159
160
161
162
163
164
165
166
167
168
169
170
171
172
173
174
175
176
177
178
179
180
181
182
183
184
185
186
187
188
189
190
191
192
193
194
195
196
197
198
199
200
201
202
203
204
205
206
207
208
209
210
211
212
213
214
215
216
217
218
219
220
221
222
223
224
225
226
227
228
229
230
231
232
233
234
235
236
237
238
239
240
241
242
243
244
245
246
247
248
249
250
251
252
253
254
255
256
257
258
259
260
261
262
263
264
265
266
267
268
269
270
271
272
273
274
275
276
277
278
279
280
281
282
283
284
285
286
287
288
289
290
291
292
293
294
295
296
297
298
299
300
301
302
303
304
305
306
307
308
309
310
311
312
313
314
315
316
317
318
319
320
321
322
323
324
325
326
327
328
329
330
331
332
333
334
335
336
337
338
339
340
341
342
343
344
345
346
347
348
349
350
351
352
353
354
355
356
357
358
359
360
361
362
363
364
365
366
367
368
369
370
371
372
373
374
375
376
377
378
379
380
381
382
383
384
385
386
387
388
389
390
391
392
393
394
395
396
397
398
399
400
401
402
403
404
405
406
407
408
409
410
411
412
413
414
415
416
417
418
419
420
421
422
423
424
425
426
427
428
429
430
431
432
433
434
435
436
437
438
439
440
441
442
443
444
445
446
447
448
449
450
451
452
453
454
455
456
457
458
459
460
461
462
463
464
465
466
467
468
469
470
471
472
473
474
475
476
477
478
479
480
481
482
483
484
485
486
487
488
489
490
491
492
493
494
495
496
497
498
499
500
501
502
503
504
505
506
507
508
509
510
511
512
513
514
515
516
517
518
519
520
521
522
523
524
525
526
527
528
529
530
531
532
533
534
535
536
537
538
539
540
541
542
543
544
545
546
547
548
549
550
551
552
553
554
555
556
557
558
559
560
561
562
563
564
565
566
567
568
569
570
571
572
573
574
575
576
577
578
579
580
581
582
583
584
585
586
587
588
589
590
591
592
593
594
595
596
597
598
599
600
601
602
603
604
605
606
607
608
609
610
611
612
613
614
615
616
617
618
619
620
621
622
623
624
625
626
627
628
629
630
631
632
633
634
635
636
637
638
639
640
641
642
643
644
645
646
647
648
649
650
651
652
653
654
655
656
657
658
659
660
661
662
663
664
665
666
667
668
669
670
671
672
673
674
675
676
677
678
679
680
681
682
683
684
685
686
687
688
689
690
691
692
693
694
695
696
697
698
699
700
701
702
703
704
705
706
707
708
709
710
711
712
713
714
715
716
717
718
719
720
721
722
723
724
725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740
741
742
743
744
745
746
747
748
749
750
751
752
753
754
755
756
757
758
759
760
761
762
763
764
765
766
767
768
769
770
771
772
773
774
775
776
777
778
779
780
781
782
783
784
785
786
787
788
789
790
791
792
793
794
795
796
797
798
799
800
801
802
803
804
805
806
807
808
809
810
811
812
813
814
815
816
817
818
819
820
821
822
823
824
825
826
827
828
829
830
831
832
833
834
835
836
837
838
839
840
84

الفصل الاول

تمهيد في جغرافية سوريا وتحدث سكانها

تأثير جغرافية سوريا في تاريخها

(١) أهمية العوامل الجغرافية في التاريخ . اعلم ان درس التاريخ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بجغرافية البلاد التي ندرسها ولا تتم فائدته بدونها . فكم من بلد حتم على سكانه ان يختطوا خطة معينة في معتك الحياة مقودين الى ذلك بعوامل الطبيعة المتسلطة على بلادهم وعبثاً يحاولون الافلات منها اذا كانت خلافاً لما يرغبون فيه .

فعبيد افريقيا مثلاً يقضون حياتهم كلها بين الادغال والغابات الكثيفة الغضة يخترقون المنافذ بين اغصانها المشبكة طرقاً لهم ويصطادون الوحوش طعاماً وبها جمون الضواري في عقر دارها حفظاً لكيانهم . ويرتضون البسيط من الماكل والملبس ولا يقدر احدٌ مهما كان متمدناً اوراقياً ان يحاربهم في اعمالهم هذه . غير انهم يتدرجون في معارج الحياة على هذا المنوال من المهد الى اللحد

طبقاً لما رسمته لهم الطبيعة . واسكيمو المنطقة الشمالية يعيشون في مغاور الثلج يصيدون الحيوانات القطبية فيتناولون لحمها طعاماً ويخيطون جلودها ثياباً يتقون بها اذى القر والزهرير . والشعب الانكليزي هو من ارقى الشعوب في فن الملاحة لان موقع بلاده وسط الاتلنتيكي ساعده كي يكون كذلك .

واخيراً انظر تأثير الجبال والأودية في بقعة ما من بقاع الارض على حياة ساكنها وتاريخهم وتأمل ما للسهول والقفار من السلطان على حياة الامة الاجتماعية والعمرانية وعلى تاريخها السياسي والمدني ، فيظهر لك ان عدداً كبيراً من الشعوب والامم كان تاريخهم مقيداً بالعوامل الطبيعية . وقد خص الله بلاد سوريا بكثير من هذه العوامل على اختلاف انواعها حتى أصبحت من اشد البلدان في اظهار تأثير العوامل الجغرافية في التاريخ .

(٢) موقع سوريا وتأثيره في تاريخها . تقع سوريا في القسم الغربي من قارة اسيا وتمتد على شاطئ البحر المتوسط من خليج اسكندرونة في الشمال الى وادي العريش في الجنوب مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلاً . اما عرضها فيتراوح بين الستين ميلاً والمئة يختلف

بحسب تعيين الحدود بين سوريا والصحراء وتبلغ مساحتها نحو ثمانية وعشرين الف ميل مربع : فهي اذاً شبه برزخاً مستطيلاً يصل اسيا الصغرى والعراق بالقطر المصري . وقد اتخذها ملوك الرافدين وفراعنة النيل ساحة حرب بينهما وتخاصموا على امتلاكها صيانة لممالكهم وتأميناً على حدودها . زد على هذا ان موقع سوريا على شاطئ بحر الروم وفي وسط المدنات القديمة جعلها حلقة تصل الشرق بالغرب والمدنات الشرقية بالغربية . فمنها انبعثت منذ القدم اشعة المدينة الشرقية الراقية وسطعت في سماء الغرب الذي كان يتخبط في غياهب الجهل . وما زال الغرب يشتغل ويثابر على اشعة ذلك النور الساطع حتى انعكست تلك الاشعة عن طريق سوريا ايضاً من الغرب الى الشرق ، وعلى مسارحها صارت المدنات الشرقية الجامدة المدنات الغريبة المتجددة وقد كان هذا الصراع في القديم ولا يزال مستمراً . وفي ساحتها التقت جيوش الصف السامي القادم من الجنوب يحمها هير الصف الهندي الاوروي الزاحف من الشمال يتبين لنا ذلك اذا تتبعنا النزاع بين الشرق والغرب في حروب الفرس واليونان ثم العرب والرومان ثم الصليبيين

وشعوب الاسلام .

فالبلاد السورية اذن مطمع القوي من دول البحر المتوسط
ولذا ليس لها تاريخ مستقل بها انما هو مرتبط بتاريخ من حكمها من
الدول وهكذا فان من درس تاريخ سوريا بالتفصيل يقف على اخبار
الشرق الادنى وممالك البحر المتوسط جمعاء .

(٣) نسكو فيها الطبيعي وتأثير في حياة سكانها . يخرط سوريا
من الشمال الى الجنوب سلسلتا جبال متوازيتان : السلسلة الغربية
والسلسلة الشرقية . الاولى تلاصق البحر في بعض الاماكن
وتبتعد عنه احياناً تاركة بينها وبينه سهولاً خصبة وجنائن غناء .
ثم بعد ان تتدرج جبال هذه السلسلة الى اعلى قممها تأخذ
بالانحدار تدريجاً الى ان تختفي سفوحها بين تعاريج الوادي الكبير
الفاصل بينها وبين السلسلة الشرقية . وهذا الوادي يعد من
اخصب اراضي سوريا تستثمر منه معظم ثروة البلاد الزراعية . ثم
تبتدي السلسلة الثانية من الوادي الكبير وهي على وجه الإجمال
اقبل ارتفاعاً واكثر تقطعاً من الاولى . اعلى قممها قائمة في القسم
الاطوسط المعروف بانيليانون وتمتد وراء هذه السلسلة صحراء

قاحلة تعرف بصحراء سوريا .

فما تقدم يتبين لنا ان سطح البلاد السورية يتألف من سهول
فجبال فسهول فجبال فصحراء قاحلة . زد على ذلك ان عدداً
كبيراً من الحواجز الطبيعية يصعب المواصلة ويعرقلها بين الجماعات
التي تعيش في البقاع المختلفة . فنشأ سكان البلاد من جراء
ذلك مختلفي الالهواء والاذواق والعادات واللهجات فصعب
عليهم الاتحاد ومبادلة الاراء .

(٤) فقدان الوحدة الجغرافية . زيادة على تقسيم سوريا من الشرق
الى الغرب الى خمسة مناطق فاتها تقسم ايضاً من الشمال الى الجنوب
الى ثلاثة اقسام حسب الفواصل الطبيعية : ١ سوريا الشمالية ٢
سوريا الوسطى او المحوفة ٣ سوريا الجنوبية او فلسطين ويفصل بين
الأولى والثانية سهل حمص ونهر الكبير وبين الثانية والثالثة القسم
الأخير من نهر الليطاني والوادي القائم بين جبال الشيخ
وعر تفاعت جلعاد .

وهذا التقسيم مع بعض التغير البسيط كان ينطبق في القديم على
تقسيم البلاد السياسي والاداري كما ينطبق على التقسيم الحالي .

تحدث سكان سوريا

(٥) العصور السابقة للتاريخ . قبل البحث في تحدث سكان سوريا علينا ان نعرف شيئاً عن العصور السابقة للتاريخ وعن العصور الحجرية وقليلاً عن سكان سوريا في ذلك العهد .

ان جميع ما نعلمه من اخبار الأول من تقدمونا ينحصر في بابين : الاول يشتمل على العصور السابقة للتاريخ . وجل معلوماتنا عن هذه العصور مبني على التصور والاستنتاج من الادوات الباقية اذ ان الانسان لم يترك لنا آثاراً مكتوبة تنصفحها فنعلم شيئاً مقررأ عن مسيره . والباب الثاني يشتمل على العصور التاريخية وما نعرف عنها مسند الى اثار مكتوبة خلفها الانسان لنا كتاباً مفتوحاً واثراً يوصلنا الى معرفة تاريخه في تلك الازمنة البعيدة . ويمكننا ان نقسم كل باب الى ثلاثة عصور . الاول الى العصور الحجرية القديمة والمتوسطة والمتأخرة والثاني الى العصور القديمة والمتوسطة والحديثة .

(٦) العصور الحجرية . اما تسمية العصور الاولى بالحجرية

فلا أن الانسان فيها كان يصنع أسلحته وجميع ادواته اليدوية من الظرّ أن والحجر الصواني وهي تقسم الى ثلاثة اعصر باعتبار التحسين الذي أدخل على صنع الادوات في كل عصر . وقد كان سكان هذه الازمنة يأوون الى المغاور والكهوف ولا يختلفون في معيشتهم عن الحيوانات البرية . لكن الانسان مطبوع على التقدم وحب استكشاف الجديد فأخذ يتدرج شيئاً فشيئاً من تلك الحالة الهمجية المظلمة الى طور المدنية والرقى .

وقد كانت النار من اهم ما اكتشفه انسان تلك الايام فتمكن بواسطتها من طبخ طعامه ودفع اذى البرد وتخويف الحيوانات البرية ثم استعملها فيما بعد في قضاء حوائج عديدة . ولا احد يجهل سوء الحالة التي نصير اليها اذا نحن استغنيينا عن النار شهراً واحداً في سبيل التجربة . وكان تاليف الحيوانات ايضاً من اكبر الاعمال التي قام بها فان الحيوانات الاليفة كانت ولا تزال اكبر معين له في اشغاله فقد خففت كثيراً من تعبته وشقائه منها الكلب والفرس والثور وغيرها من الحيوانات التي كانت تهرب من وجه الانسان في حالتها الوحشية . وما زالت تتردد الى جوار كهفه

او مغارته تنهش بقايا اللحوم المرمية في المزابل حتى الفته والفها
فعاثت معه واعتنى بها واستخدمها في قضاء اشغاله .
وظل دأب الانسان مدة خمسين الف سنة على اقل تقدير
اكتشف في خلالها اشياء كثيرة كبناء البيوت والغزل والحياكة
وغيرها واهتدى اخيراً الى الزراعة وذلك انه بينما كان الرجل
يتجول في طلب الصيد كانت المرأة تطوف في الحقل تلتقط
بعض الحبوب لكي تطبخها طعاماً لزوجها واولادها وكان الحب
يسقط من يدها على الارض بجانب الكهف الحقيق فينبت وفي زمن
الحصاد تستمره . وبقي الانسان كذلك سنة بعد سنة حتى عرف
كيف يبذر الحبوب في الاماكن القريبة من مأواه ويجمعها وقت
الحصاد . وقد كانت الزراعة باديء ذي بدء من اشغال المرأة ولكن
الرجل لما دجن الثور واستخدمه في حرث الارض حول همه الى
الزراعة فحسنها واعتنى بها لأن المرأة لم تعد قادرة على القيام بهذه
الاعمال الشاقة . غير انه كان من حين الى آخر ينزع الى عادته
القديمة اي صيد الحيوانات والطير ولا يزال حتى اليوم مطبوعاً
على هذه العادة حتى اصبحت غريزة فيه .

وما كاد الانسان ينتقل من حياة الصيد والقتل الى حياة الزراعة وتربية المواشي حتى ترك سكنى الجبال والكهوف وانحدر الى السهول في المزارع والقرى وامتلاك الاراضي وانشاء حكومات وما شاكل ذلك .

ولم تنته القرون الحجرية حتى كان قد بلغ درجة قصوى من التمدن والرقى .

(٧) سكان سوريا في العصور الحجرية . لقد اثبتت اعمال الحفر في بعض انحاء سوريا ان الانسان سكنها في اثناء العصور الحجرية التي تقدم الكلام عنها تشهد بذلك الاثار التي وجدت في تل الجزر وفي غربي جبل الكرمل والاثار التي عثر عليها بعض المتقنين قرب مغارة انطلياس الواقعة على الجانب الشمالي من وادي الفوار . وقد وجد مع هذه الاثار في فلسطين بقايا عظام حيوانات كبيرة تعيش في المناطق الحارة كالكركدن ووحيد القرن مما يدل على ان هواء البلاد كان يختلف كثيراً عما هو اليوم .

وقد كان سكان سوريا في تلك الازمنة السالفة من اصل غير سامي وعلى ذلك اتفق اكثر المؤرخين مستندين في استنتاجهم

هذا الى بعض عادات تلك الشعوب كاحراق الموتى وهي عادة لم يجر عليها الساميون قط . والى لون وجوههم الاشقر الذي ظهر فيما بعد في بعض يهود فلسطين كداود مثلاً الذي ذكر عنه الكتاب انه « كان اشقر الوجه جميل المنظر » . غير ان هذه الشعوب انقرض قسم كبير منها واندغم القسم الباقي في الشعب السامي الذي طما سيله على البلاد فغمرها .

(٨) الشعب السامي . لا بد من انه عاش في العصور السابقة للتاريخ في مصر من امصار الارض شعب واحد عرف بالشعب السامي وتكلم لغة مختصة به هي اللغة السامية الاصلية . نستدل عليه من عادات وميزات الشعوب المتفرعة منه كحب العزلة وحب الذات والميل الى الجدد دون الهزل والتقوى والتشبث بالدين (وهذه العادات شديدة الظهور بين بعض القبائل القاطنة سوريا في الوقت الحاضر) . ومن بقايا لغته المبعثرة بين اللغات السامية في الشرق الادنى كالعبرانية والسريانية والعربية والمنقرضة كالاشورية والبابلية والكنعانية وغيرها .

(٩) الهجرات السامية . ويرجع ان بلاد العرب هي مهد

الجنس السامي ولا بد من ان القبائل السامية فارقت وطنها الاصلي في مدات مختلفة وفي موجات متتالية واليك اسماء الموجات المعروفة في التاريخ مع محل توطنها وتواريخ اشتدادها .

اسم الهجرة	محل توطنها	تاريخ اشتدادها
« ١ » الهجرة البابلية الاشورية	سهل شنعار وماحول الموصل	٣٥٠٠ ق م .
« ٢ » الهجرة الامورية الكنعانية	بلاد سوريا الاموريون في القسم الشمالي والكنعانيون في الجنوبي	٢٥٠٠ ق م .
« ٣ » الهجرة الآرامية	بلاد ما بين النهرين وبعض مقاطعات سوريا وخصوصاً لبنان	١٥٠٠ ق م .
« ٤ » الهجرة النبطية	جنوبي سوريا وشبه جزيرة سيناء	٥٠٠ ق م .
« ٥ » الهجرة العربية	بلاد العراق وسوريا وشمالى افريقيا واسبانيا	٦٥٠ ب م .

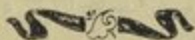
يتبين لنا من الجدول المتقدم ان نصيب سوريا من الهجرات السامية كان عظيماً جداً وقد ابتلعت هذه الشعوب النازحة سكانها الاصليين فاصبح العنصر السامي صاحب الاكثريّة الساحقة في البلدان السورية .

(١٠) سوريا ملغى العناصر . لم تكن سوريا موطناً للشعوب السامية فحسب ، بل ان شعوباً عديدة وجدت في اكنافها مقيلاً هادئاً وقد جاءت اليها اما عن طريق الفتح او التجارة او الاستعمار او غير ذلك فلا تسقط دولة حتى تقوم اخرى وسوريا تثقل من عبودية القديمة لترزح تحت نير الجديدة انتقال غير مكثرت تودع الراحلة بنظرات حادة تنم عن اليأس والقنوط وتستقبل الآتية بوجه منبسط يطفح بالامل والرجاء . ولم نسمع في التاريخ عن بلاد تقلبت حكوماتها وتغيرت اكثر مما تقلبت في سوريا ، كيف لا وجهاتها الاربع مفتوحة للغزاة لا يصدم عنها حاجز ولا يقف في وجههم شيء فمن الجنوب والشرق زحف الساميون الى عبر سيناء وبادية الشام كما تقدم ومن الشمال تقدم الحثيون والارمن من ممر ييلان في جبال طوروس ومن الغرب دخل

الرومان واليونان والصلبيون وغيرهم من طريق البحر المتوسط فامتزجت فيها الجنسيات والعناصر والعادات من سامية وغير سامية وتكونت جنسية جديدة هي الجنسية السورية . ولم تخل شعوب حافظت على جنسياتها وبقيت مستقلة لم تمتزج بغيرها كالارمن واليهود والجر كس وغيرهم . وقد قدم الى سوريا في مدات مختلفة امم عديدة توطنت فيها كالفرس والفلسطينيين والمردة . لكن هذه الشعوب غير السامية لم تبق تأثيراً عظيماً في الشعب السوري نظراً للبون الشاسع بين الشعب السامي وهو اكثرية البلاد وبين غيره ان كان في اللغة او الاداب او الثقافة .

(١١) ملاحظة . لقد ظهر ان الشعب السوري كان في جميع ادواره التاريخية كاسفنجة كبيرة امتص جميع الشعوب التي تسربت الى بلاده فهو الان مزيج من عناصر مختلفة . لكن بما ان الاكثرية من العنصر السامي فيمكننا ان نقول ان الارومة السامية هي الرابطة الجنسية كما ان اللسان العربي هو الرابط اللغوي بين ابناؤه . واخيراً لو حفظنا ما ذكر عن جغرافية البلاد وتعدد عناصر شعوبها لا يصعب علينا فهم حقيقة المنازعات والفتن التي سادت

اجيالاً بين أنباء سوريا .



اسئلة

اعطِ امثلة على تأثير العوامل الجغرافية في التاريخ . اذكر حدود سوريا الجغرافية . ما هو تأثير مركزها الطبيعي في تاريخها ؟ لماذا كانت دول البحر المتوسط تتزاحم على امتلاكها ؟ الى كم منطقة تقسم من الشمال الى الجنوب ؟ من الشرق الى الغرب ؟ اذكر هذه المناطق . ماهي الفواصل التي تفصلها بعضها عن بعض ؟ ماذا تعني بقولك ان الوحدة الجغرافية مفقودة في سوريا ؟

ماذا تعني بالعبور السابقة للتاريخ ؟ من اين نستقي معلوماتنا عن هذه العبور ؟ كيف كان الانسان يعيش فيها ؟ اذكر بضعة اكتشافات توصل اليها . اذكر ايضاً بضعة اختراعات اخترعها . ماذا تعرف عن سكان سوريا في تلك العصور ؟ اين هو مهد الشعب السامي ؟ ماذا تعني بالهجرات السامية . كم هي المدة بين اشتداد الموجة والآخرى ؟ هل حدث هجرة بعد الهجرة العربية ؟ اذا لم يحصل كيف نعلل السبب ؟ ماذا تعرف عن اصل الشعب السوري الحاضر ؟

الفصل الثاني

أقدم العلاقات في التاريخ بين سوريا وبلاد ما بين النهرين

المدينت الأولى في بلاد ما بين النهرين

(١٢) الحكومات المدينية في سهل شنعار . ما كادت شمس العلم تبرز من خلال غيوم الجهل المتلبدة فوق اخبار الانسان الاول حتى ظهر في سهل شنعار ، الواقع في الجنوب من بلاد العراق ، على ذلك النور الضئيل عدد كبير من المدن السوميرية والسامية الزاهرة كآكاد وسومير وبابل واور وغيرها التي كانت على جانب من المدنية لا يستهان به . وكانت كل واحدة مستقلة عن رفيقاتها استقلالاً تاماً لها الهة الخاص وحاكمها وكاهنها وكانت كل واحدة في دورها تنازع جاراتها السيادة وتحاول توحيد المدن جميعها وتأسيس مملكة عظيمة الشأن تضم تحت لوائها جميع اراضي العراق .

(١٣) سرجون الاكادي وابنه نارام سين . وبقي هذا العمل الخطير رهين النزاع والخصام الى ان انجب وادي دجلة والفرات

سرجون الاكادي حاكم مدينة اكاد وهو سامي الاصل فرحف بجنوده السامية حوالى سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد على جموع السوميريين وقهرهم ووحد الحكومات المدنية جمعاء . وبواسطته حاز الساميون اول انتصار في بلاد بابل .

وقام من بعده ابنه نارام سن فحمل حملات عديدة على البلدان المجاورة واخضعها ووسع نطاق مملكته .

(١٤) ضعف مملكة الكاد بمرموت نارام سن . كان الساميون حتى عصر سرجون الاكادي لا يزالون محافظين على عادات البداوة القديمة فكانوا يتجولون من مكان الى مكان في طلب المعيشة ينصبون خيامهم حيث يطيب لهم المقام . على انهم في حالتهم هذه وهم اقرب الى الهمجية والخشونة كانوا رجال حرب اشداء يرهب جانبهم . فبمساعدتهم تغلب سرجون على سكان البلاد الاصليين وبقوة ساعدتهم اسس ملكه الكبير . لكنهم بعد قليل شأن كل شعب بلغ درجة رفعة في السياسة والعمران انغمسوا في الملذات وشغلتهم المدنية عن ممارسة الحرب وفنون القتال فضعفت ابدانهم وخارت عزائمهم وعجزوا عن المحافظة على ملكهم الذي شادوه في

بداية امرهم . فاخذ نفوذ مدينتهم اكد يضعف شيئاً فشيئاً واخذ شأن ملكهم يتاخر وزاد في اضعافهم اشتداد الموجه الامورية وانتشارها في اراضي الهلال المخصب . فقد كان للاموريين القادمين الى بابل اليد الطولى في التقلبات السياسية حينئذ .

(١٥) الفترة بين عهد سرجون وعهد مموراجي . وكان من نتيجة هذا الاضطراب ان العيلاميين الذين كانوا يقطنون مشارف الجبال الشرقية انقضوا كعادتهم على وادي دجلة والفرات فحاربوا الاكاديين ونزعوا الزعامة منهم لكنهم لم يقدر واعي قهر البلاد تماماً بل كان الوطنيون من حين الى آخر لما يتشددون يثورون ويسترجعون ولو الى حين بعض ما كان لهم من الملك السابق . وعندها لا يلبث العيلاميون ان ينقضوا من عاصمتهم شوشن على جموع الثائرين فيقتصوا منهم وينهبوا بلادهم ويحرقوا قراهم ومزارعهم بالنار ولدينا من النصوص التاريخية ما يثبت ذلك فقد جاء عن احد الملوك العيلاميين انه غزا سنة ٢٢٨٥ ق م ارض الكلدانيين فحرب مدينتها وهدم الهياكل وحطم تماثيلها وحمل الاسلاب والغنائم الى مدينة شوشن فهب احد الكلدانيين ونظم قصيدة الى الالهة نانا يندب فيها ما حل ببلادهم من

الدمار والحرب قال فيها « الى متى ابتهت السيدة بخرب العدو
الشرير اراضيها في مدينتك المقدسة يحل الهلاك وفي هيكلك تجري
الدماء كالسيول ١٠٠٠ الخ » وجاء في الاثار عن ملك عيلامي انه
حكم سوريا وكان من جملة القاب « ادا مار تو » اي امير سوريا .

(١٦) في ايام مدينة بابل وظهر مورو رابي على عرشها (هو الذي
سنة ٢١٠٠ و ٢٠٠ م) عند ما كانت قوى العيلاميين في بلاد ما بين
النهرين آخذة بالضعف والتلاشي بسبب تقاطر الساميين الى تلك
البلاد وازدياد عددهم فيها ظهر على اريكة الملك في مدينة بابل
رجل سامي يدعى حمورابي . وقد كان حمورابي عاملاً على
سهل شنعار من قبل احد الملوك العيلاميين غير انه كسائر من سبقه
من العمال حاول الغاء النير العيلامي لكنه افلح فلاحاً مبنياً
وجعل بعد هذا الانتصار الباهر مدينة بابل حاضرة مملكته . وشرع
في توطيد دعائم ملكه على اسس متينة فسن الشرائع والقوانين وحسن
طرق الري وشجع الزراعة والتجارة واستمر حكمه مدة ثلاث
وخمسين سنة برهن في خلالها على انه قائد مدرب واداري عظيم .
وفي ايامه نال الساميون انتصاراً ثانياً في بلاد بابل وتم ذلك

التطور السياسي الذي ابتدأ على عهد سرجون الاو هو نزاع روح الانانية والاستقلال الفردي من بين الحكومات المدنية واستبدالها بحكومة واحدة في بلاد بابل جميعها يكون ملوكها من سلالة واحدة . وقد كانت سوريا تابعة لبابل وكان من القاب حمورابي «ملك مارتو» اي سوريا

العلاقات الاقتصادية والسياسية بين

سوريا وبلاد ما بين النهرين

(١٧) تجارة بلاد ما بين النهرين مع سوريا . لقد دلت الآثار البابلية القديمة على ان عدداً وافراً من الملوك الذين حكموا بلاد ما بين النهرين والذين اولعوا في بناء الهياكل كانوا يستحضرون مواد البناء لتشييد هياكلهم من اماكن مختلفة . وقد كانت البلاد السورية في مقدمة هذه الاماكن فالبيئات عديدة تخبرنا عن اعتماد بلاد ما بين النهرين على سوريا ولبنان في استجلاب خشب الارز والشرين والحجارة الكلسية وخصوصاً الاعتاب والاعمدة الطويلة التي كانت تستعمل في بناء الهياكل . وكانت العلاقات التجارية بين القطرين وثيقة العرى . ومما لا ريب فيه ان الشعوب التي عاشت في تلك

الايام كانت على جانب عظيم من المدنية حتى تمكنت من نقل
 المواد الفخمة عبر الصحراء تلك المسافات البعيدة .
 وكان من هؤلاء الملوك الذين قاموا بهذه الاعمال الشاقة
 ارضاء لعواطفهم الدينية الملك اورنينا الذي عاش حوالى سنة
 ٤٣٠٠ ق م . فانه كان يستجلب الخشب من جبال لبنان وجبال
 طوروس والحجارة من ماغان الواقعة في شبه جزيرة سيناء على
 الاربعاء، والملك اوركور الذي عاش حوالى سنة ٢٥٠٠ ق م .
 فانه احضر خشبه من اماكن عديدة منها مارتواي سوريا، والامير
 غودا امير مدينة لاكاش الذي كان معاصراً لاوركور فانه يذكر
 عن استحضاره المواد الثمينة والنادرة الوجود من اماكن شتى وتجاره
 مع الشرق والغرب . وقد ترك رقيماً ذكر فيه اسماء البلدان التي
 امتهن تجاره لشراء الخشب والحجارة على اختلاف انواعها . وبين
 هذه البلدان اسماء امكنة عديدة في سوريا ولبنان مما يدل على غنى
 البلاد السورية بالخشب واهمية علاقاتها التجارية بما جاورها
 من البلدان

(١٨) امتداد حكم سرجون ونارام سن الى سوريا . ولقد

اثبت لنا سرجون الاكادي في الاثار التي خلفها عن انتصاراته ان من جملة الحروب التي قام بها حملته المشهورة الى بلاد الغرب حيث اخضع فينيقيا وقطع البحر بين ساحل سوريا وقبرص ثم قفل راجعاً الى بلاده بعد ان قضى ثلاث سنين في بلاد الغرب . وجاء بعده ابنه نارام سن وقام بحملات عديدة الى ماغان والى قبرص وعليه فلا بد من ان حكم هذين الملكين امتد الى سوريا والاماتجاسرا على ركوب البحر الى قبرص وتخليف امة مهابا كانت قوتها بينهم وبين بلادهم .

(١٩) اموال سوريا وعموماً بين عهده سرجون ومهورابي .

واشتد القلق والاضطراب في سوريا بعد موت نارام سن وضعف ملوك اكاد ونفاقم عند اشتداد سيل الموجة الامورية فاخذت بعض المقاطعات من سوريا ان لم يكن جميعها تهب تحت امره قوادها الاموريين الاشداء في قادش ودمشق وغيرهما وتلغي عنها نير حكومة ما بين النهرين وتستقل بأمورها وبقيت كذلك حتى ظهر حمورابي على عرش بابل وضم سوريا الى حكمه كما تقدم

(٢٠) اموال سوريا السياسية في زمن سيادة بابل عليها .

لقد ساعد التاجر البابلي حكومته في اعداد الطريق الى سوريا وتسهيل

احتلالها احتلالاً منظماً . فلما قام حمورابي لم يجد صعوبة في اضافتها الى ملكه . غير انها لم تصبح في دور من ادوارها التاريخية مستعمرة بابلية بكل معنى الكلمة ، انما كانت مستقلة بشؤونها الداخلية وادارتها توءدي الجزية المطلوبة في آناها وما كانت بابل لتتدخل في شيء من امورها الداخلية الا بما كان يتعلق بسلامة الدولة . وكان السوري يدفع الضريبة المفروضة عليه لكي يقيم آمناً في بلاد اجداده ومسقط رأسه . ولما كانت هذه الضريبة ثقيلة اخذ يحاول التلمص منها بالثورات المتواصلة . وكان على بابل ان تفتح البلاد وتخضع الثائرين مرة على الاقل في كل برهة لا تزيد عن بضع سنين . وكان رسوخ قدم بابل وتزعزعه في سوريا متوقفاً على همة ملوكها . وقصارى الكلام ان احوال سوريا السياسية حينئذ كانت في اضطراب مستمر ، اذ لم يكن ثمة بين الامتين مصلحة مشتركة او نفع متبادل ولا ربط اقتصادية ولا سياسية تربط سوريا ببابل سوى نير القوة الغاشمة .

شيوخ ديانة بابل وعاداتها وتقاليدها ولغتها في سوريا

(٢١) سوريا تابعة لبابل في الدين . ان التأثير البابلي في

ديانات سوريا ترك آثاراً في بعض أسماء الامكنة السورية كبيت لحم المتضمنة اسم الاله لحم الاله الخبز وبيت شمس المتضمنة اسم الاله شمس والاله الشمس في بابل وهيكل نينب قرب اورشليم يدل على عبادة الاله نينب البابلي المختص بالزواج . اما عبادة الالهة عشروت الالهة الحب والجمال عند البابليين فقد دامت في سوريا زمناً طويلاً حتى بعد تقلص نفوذ بابل عن سوريا .

(٢٢) كما في الدين كذلك في الازياء وطرق المعيشة .

كما ان السوريين اليوم رجالاً ونساءً يمشون على خطى الغرب في الازياء والعادات وطرق المعيشة وهندسة البيوت وفرشها الخ . . كذلك كانوا في الزمن القديم يتبعون بابل مصدر الازياء والعادات وباريس عصرها . فقد كانت المرأة السورية تزين الزي البابلي فتترك كتفها الايمن عارية مثلاً اقتداءً بالمرأة البابلية . وكان ابناء الطبقة العليا في سوريا يرتبون بيوتهم ويجهزون بها بالامتعة على نسق قصور الشرفاء في كركميش واشور ويتحدون نبلاء البابليين في بيوتهم حتى في عدد الخدم والكتابة وزينهم وفي اسباب الرفاهية والتنعم الى كل ما هنالك من كماليات الحياة .

(٢٣) شُبوع الثقالب الكلدانية في سوريا . لقد شاع عدد كبير من التقاليد الكلدانية في سوريا حفظها لنا اليهود واثبتوها في التوراة بعد ان جردوها من صبغتها الوثنية، ومن جملة هذه التقاليد الحكاية الواردة عن سرجون الاكادي، كيف انه لما كان طفلا وضعته امه في سلة وبعد ان طلعتها بالزفت انزلتها في النهر وتركها فقذفتها مياه النهر الى مكان بعيد حيث التقطها احد الفلاحين واخذ الطفل ورباه عنده . ولما ترعرع وكبر قاد الساميين في الحرب وبوأهم كرسي المجد والفخار في بلاد ما بين النهرين . وحكاية الصياد الذي دُعي امام عرش ملك الجولامحاكمة وكيف انه لما مثل بين يدي ملك الجولقدم اليه الملك خبز الحياة فرفضه وهكذا حرم نفسه وبني البشر معه من الخلود والحياة الابدية .

(٢٤) شُبوع اللغة البابلية في سوريا . ان اكبر برهان لدينا على شيوع لغة بابل وانتشارها بين ابناء سوريا هو مراسلات تل العمارنة التي وجدت في مصر في القرن الماضي جميعها مكتوبة بالخط المسامري البابلي ومستعملة فيها اللغة البابلية مع بعض تراكيب فينيقية

ركيكة مما يدل على بدء دخول اللغة الفينيقية الى سواحل سوريا وعرا كما مع البابلية .

ويدلنا استعمال اللغة البابلية في هذه المراسلات التي كتبت بعد سقوط حكم بابل عن سوريا بزم طويل على ان مدينة بابل ولقتها سادتا في البلاد اجيالاً طوالاً وتمكتنا من القوم حتى اصبح استبدالها بغيرهما من الامور التي لا تتم في وقت قصير .



اسئلة

ماذا تعني بالحكومة المدنية ؟ اذكر بعض الحكومات المدنية التي نشأت في سهل شنعار . من هو اول ملك سامي وحد حكومات ما بين النهرين ؟ في اي سنة كان ذلك ؟ ما السبب في ضعف الساميين بعدموت نارام سن ؟ ماذا حدث في الفترة بين عهد سرجون وعهد حمورابي ؟ اذكر ما تعرفه عن قيام مملكة بابل . من هو اول ملك ظهر على عرشها ؟ بماذا اشتهر ؟ اذكر بعض الادلة على وجود العلاقات التجارية في القديم بين سوريا وبلاد ما بين النهرين . مم تستدل على امتداد حكم سرجون ونارام سن الى سوريا ؟ تكلم عن احوال سوريا عموماً في زمن سيادة بابل عليها . مم تستدل على تأثير بابل الديني في سوريا ؟ تكلم عن شيوع الازياء

والعادات البابلية في سوريا . اذكر بعض التقاليد الدينية التي ورثناها من البابليين . ما هو الدليل على انتشار اللسان البابلي بين السوريين في زمن سيادة بابل على سوريا .

الفصل الثالث

اقدم علاقات في التاريخ بين سوريا ووادي النيل

مدينة قداماء المصريين

(٢٥) وادي النيل . ان نهر النيل يعد من اكبر انهار العالم واكثرها نفعا ، يبلغ طوله حوالى اربعة الاف ميل وهو يخترق بلاد مصر من الجنوب الى الشمال فيروي مزارعها ويحدد تربتها بما يحمله من الاتربة التي ترسب اثناء الفيضان السنوي على السهول الزراعية فيغنيها عن السماد الاصطناعي . ومصر بفضل هذا النهر تعد من اخصب اراضي الدنيا .

اما الوادي حيث نشأت المدينة المصرية فهو يمتد من مصب النيل شمالاً الى الشلال الاول جنوباً مسافة ستمائة ميل ويبلغ عرضه بضعة اميال ما عدا الدلتا التي يتدرج عرضها من بضعة عشر ميلاً

الى ستمائة ميل على ساحل البحر المتوسط . وعليه فان مساحة الاراضي الصالحة للزراعة تربو على عشرة الاف ميل مربع . وقد كان هذا الوادي في القديم يقسم الى قسمين : ١ مصر السفلى وتشتمل على جميع اراضي الدلتا : ٢ مصر العليا وتقدم من الدلتا الى الشلال الاول .

(٢٦) قدماء المصريين . لقد تمكن سكان وادي النيل الاولون بفضل ما حبته اياه الطبيعة من تأسيس اقدم مدينة في العالم فازدهرت مدنهم في الالف الرابع قبل الميلاد وتألف من هذه المدن الزاهرة مملكتان مدينتان مصر العليا ومصر السفلى . واخير آتمكن الملك مينيس سنة ٣٤٠٠ ق م . من ضم هاتين المملكتين معاً وانشاء حكومة واحدة في جميع انحاء القطر المصري . ويعتبر مينيس هذا مؤسس السلالات المصرية القديمة البالغ عددها احدى وثلاثين وفقاً لما جاء في التواريخ المصرية واليونانية . غير انه تسهلاً للبحث يمكننا تقسيم تاريخ مصر القديم الى ثلاثة ادوار ١ دور المملكة القديمة وهو يشتمل على عصر الاهرام (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق م) وقد تم فيه بناء الاهرام التي تعد اعظم اثر

خلده سكان وادي النيل الاقدمون ٢٠٠٠ دور الاقطاع وفيه كان الحكم المعنوي بيد النبلاء وقد كان ازدهار هذا العصر حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م. ٣٠٠ دور الامبراطورية (١٥٨٠ - ١١٥٠ ق.م.) .
وستقتصر في هذا الفصل على ذكر العلاقات بين سوريا ومصر في الدورين الأولين فقط . اما العلاقات في الدور الاخير فسنفرد لها مكاناً خاصاً لان سوريا اصبحت في هذا الدور مستعمرة مصرية .
العلاقات التجارية والسياسية بين سوريا ومصر

(٢٧) العلاقات التجارية بين سوريا ومصر . ان العلاقات

التجارية بين سوريا ومصر هي اقدم مما يظن فقد كان الفراعنة في عصر الازهرام يرسلون المراكب التجارية الى السواحل الفينيقية فئاتهم بمحاصيل تلك البلاد من خشب وغيره . وقد وجد على جدار احد الهياكل في مصر صورة نائثة تمثل مركباً مصرياً عائداً من رحلة تجارية قام بها الى فينيقية وبوجد بين جماهير الرجال سبعة اسرى فينيين جيئ بهم من بلادهم . وقد وجد في مدينة جبيل بقايا هيكل مصري قديم كان المصريون المقيمون في جبيل في ذلك العهد المشاركة على تجارة الخشب يؤدون فيه فرائضهم الدينية .

ومن الحقائق المقررة ان خشب ارز لبنان كان شائع الاستعمال جداً عند المصريين حتى في العصر القديمة فقد جاء عن سنفرو واحد فراعنة عصر الاهرام انه كان يرسل اسطولاً مؤلفاً من اربعين مركباً لاستحضار خشب الارز من منعطفات لبنان . وفي عهد الفنون في شيكاغو تابوت صنع لاحد النبلاء في عهد الاقطاع من خشب ارز لبنان . وقد جاء عن بنائي السفن في الحوض الملوكي في عصر الاقطاع انهم كانوا يصنعون من خشب الارز المجلوب من سوريا طرفاً منقطعة النظير .

(٢٨) التجار السوريون في مصر . وعلى قبر النبيل المصري خنموتب (عاش حوالي سنة ١٩٥٠) الذي اكتشف في بني حسن راوا رسماً يمثل سبعة وثلاثين شخصاً من « الامو » الامويين وهم تجار سوريون يحملون الهدايا الفاخرة والطيب والعطور السورية التي كانت ذات قيمة عند المصريين وكلهم مرتدون الملابس الجميلة ومعهم الجمر والوعول وهم يلبسون الاسلحة ويحملون التروس والالات الموسيقي كل ذلك مما يدل على انهم مثرون . وتشاهد النساء في الصورة وقد ارخين شعورهن على اكتافهن

وعصبن رؤوسهنَّ وارتدين الثياب المزر كشة وتركن الكتف
اليمين عارية (وهي عادة بابلية راجع صفحة ٢٣) . اما الرجال فشعورهم
مسترسلة مقصوصة عند الرقبة وذقونهم قصيرة مرسوسة . ويستدل
من جميع ملامحهم انهم ساميون واسم رئيس القافلة مكتوب على
الصورة بالخط الهيروغليفي وهذا الاسم يدل على اصل سامي .

وقد حفر خنموتب هذه الصورة على قبره تخليداً لذكرى
هؤلاء السبعة والثلاثين ومكافأة لهم على ما قدموه من الهدايا
الثمينة . على ان هذه الرحلة لم تكن الوحيدة في بابها فقد كان عدد
التجار السوريين الوافدين الى مصر اكثر من ان يحصى .

(٢٩) النفوذ المصري في جنوب سوريا - لا بد ان البلاد الواقعة

في جنوب سوريا وسواحلها كانت تحت التأثير المصري وذلك لقربها
من مصر . ومع ان المصريين لم يطمعوا ان يسطروا نفوذهم على
البلدان المجاورة فانهم كانوا من حين الى اخر يغزون جنوب سوريا
وسواحلها ، وقد كانت غزواتهم اشبه بالسلب منها في الفتح المنظم .
وكان السعاة المصريون يترددون الى سوريا دائماً لاغراض
سياسية . اما اللسان المصري فقد كان معروفاً في بعض انحاء

البلاد وكان اسم فرعون مهاباً بين سكان القسم الجنوبي منها حتى في القرن العشرين قبل المسيح .

وقد وجد في تل الجزر في فلسطين من الآثار ما يثبت نفوذ مصر السياسي في تلك البلاد ومن جملتها اثر اقامه احد الممورين المصريين يرجع عهده الى القرن العشرين قبل المسيح ويظهر مما ورد فيه ان نفوذ مصر في سوريا قبل عهد الامبراطورية المصرية كان مزاحماً للنفوذ البابلي . غير ان هذا بلغ اشدّه في شمالي سوريا بينما نفوذ مصر اقتصر على سوريا الجنوبية والساحل الفينيقي .

(٣٠) مملكات القادس اونا على جنوب سوريا (هو الى سنة ٢٦٠٠

ق م .) كان المصريون في عصر الاله ارام او قبل ذلك قد وضعوا ايدهم على معادن النحاس في شبه جزيرة سيناء واخذوا يستخرجون النحاس ويحملونه الى بلادهم . وكان سكان الرمال المقيمون في جوار سيناء يغزون المناجم فيقتتلون مع الفعلة وبنو النحاس مما اغضب الفراعنة واضطروا الى تعيين الحرس لحفظ المناجم من غزوات كهذه .

وفاض سيل هؤلاء البدو الاسيويين وزاد عددهم حتى قذف

بهم التيار الى دلتا النيل فزاحموا المصريين على الاراضي الخصبة والمراعي النضرة فساء ذلك الملك يبي الاول واراد ان يضع حداً لتحرشهم به فعين اونا احد اعوانه على راس حملة مصرية منظمة لغزو البدو في عقردارهم ليردعهم عن هذا التعدي .

ومع كره المصريين الشديد للحرب والقتال فقد انتصروا في هذه الوقعات التي قاموا بها ضد البدو كما نعلم من الرقيم الذي خلفه لنا القائد اونا على قبره منقوشاً بالخط الهيروغليفي يذكر فيه مغامراته في بلاد الشمال واليك ترجمة ما جاء فيه عن احدهم هذه الحملات بالحرف الواحد .

« واثار جلالته حرباً على البدو الاسيويين فحشد جيشاً مؤلفاً من عشرات الالوف اتى به من سائر انحاء الجنوب من حدود الالفتين ومن الشمال من مكان تشعب النيل ؟ ومن البلاد الشمالية ومن عقارات الهياكل ؟ ومن الحصن ؟ ومن داخل الحصن ومن بلاد الزنوج ٠٠٠ واوفدي جلالته على راس هذا الجيش وفيه الامراء ووكلاء خزائن المال والمقربون من البلاط والحكام وامراء مدن الشمال والجنوب والمقيمون على حراسة الذهب والمقيمون

على حراسة انبياء الجنوب والشمال والمقيمون على حراسة عقارات الهياكل . كل هؤلاء ترأسوا جيوش الجنوب والشمال والمدن والمقاطعات التي كانوا يحكمونها مع زنوج هذه البلدان وكان الجميع يأتمرون بأمرى مع ان منزلتي بباقي لم تتجاوز القيسام على حراسة الروض الملكي .

« (ولما تهيات هذه الجيوش) حمل كل واحد معه من الزاد بقدر ما حمل الاخر وكان البعض يسلبون المسافرين طعامهم واحذيتهم واخرون ينهبون الخبز من القرى والماعز من كل من يروونه في طريقهم » . وبعد ان يذكر القائد اونا عن قدوم الجيش الى الجزيرة الشمالية الى باب يهوت واستعراضه هناك يتقدم الى وصف الحرب بأسلوب شعري فيقول .

« الجيش تقدم ظافراً ومنزق شمل البدو »

« الجيش تقدم ظافراً وخرّب بلاد البدو »

« الجيش تقدم ظافراً ودك معاقلهم »

« الجيش تقدم ظافراً وقطع التين والكرم »

« الجيش تقدم ظافراً وذبح عشرات الالوف من عساكرهم »

«الجيش تقدم ظافراً وعاذ ومعه جماهير الاسرى»

هكذا ينهي اوناوصف هذه المعركة. غير انها لم تكن الوحيدة في بابها لانه يذكر لنا عن اربع حملات بعد ذلك قام بها لكي يخمد ثورات البدو في الشمال ويقول انه اضطر في واحدة منها ان يستصحب المراكب الى ساحل فلسطين لا تزال العقوبة بهؤلاء الاسيويين .

(٣١) دوقول الرمسوس مصر . ان وادي النيل الذي سبق الكلام عنه في مقدمة هذا الفصل لم يعجز سنة واحدة عن اعادة سكانه وامدادهم بالخيرات والمؤن الكافية . وقد عاش المصريون بفضل هذا الوادي في مجبوحة من العيش فكان ما يفيض عنهم في سني الخير يسد حاجاتهم في سني المحل . غير ان قوام المعيشة هناك يرتكز على سيادة الأمن في داخلية البلاد وحفظ نظام الري على اتم ما يرام . فان اختل شيء من ذلك ضاقت اسباب المعيشة وعمت الفوضى . هذا ما يرجح انه حل بالقطر المصري في القرن التاسع عشر قبل المسيح فعم القلق والاضطراب مصر واصبحت قواها المعنوية واهنة تعجز عن صد العدو المفاجيء

مها كانت قوته ضعيفة .

وما كان هذا العدو سوى الهكسوس او الملوك الرعاة الذين كانوا يسعون في طلب اراض خصبه ينزلون فيها بقطعانهم ومواشيهم . دخل الملوك الرعاة الدلتا عن طرق سوريا وفلسطين واسسوا ملكهم في بلاد القراعنة . اما اصلهم فلا نعلم عنه شيئاً بحققاً سوى انهم شعب اسوي هبط مصر لاذحام السكان في اسيا الغربية . ويظن ان الاسرائيليين الذين دخلوا مصر حوالي زمن دخول الهكسوس ما كانوا الاجزءاً من هذه الشعوب النازحة الى الديار المصرية . ولم يكن هذا الزحف الا من قبيل ما كان يحدث قبل زمن التاريخ وما حدث على زمن العرب من دخول المسلمين والترك والشر كس والتجائهم الى وادي النيل . ومن المقرر ان للشعب الهكسوسي علاقة متينة بسوريا لانه لما طرد من مصر فرّ هارباً الى سوريا من حيث دخل فالتفت حوله جميع الممالك السورية الصغيرة التي لا شك في انها كانت تابعة له . وكانت البقية الباقية من الهكسوس قد اجتمعت في قادش وبقيت تقلق راحة المصريين حتي اتي تحوتس الثالث

فافناها وقضى عليها بما اوتيها من المهارة والخذق في الفنون الحربية .

وصف حالة سوريا العمومية حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م .

كما نعرفها من

قصة سنو هيت

(٣٢) سوريا الجنوبية ملجأ الفارين من مصر . كما ان وادي

النيل كان قبلة انظار التجار والمرتزقين السوريين كذلك كانت سوريا الجنوبية ملجأ للمغضوب عليهم من الحكومة المصرية من مجرمين سياسيين واثمة وثورويين ومنغين وغيرهم . وبما انه لم يكن في فلسطين في ذلك الوقت حكومة منظمة تضبط شؤون البلاد سوى رؤوس القبائل فقد كان الفارون من مصر يجدون في كنف هؤلاء حى اميناً ويلاقون من غيرتهم وحبهم للضيف وكرمهم الحائمي ما يفوق الوصف . ومع ان اسم فرعون كان مهاباً بين هذه القبائل ، والسعاة المصريين كانوا دائماً يترددون الى سوريا الجنوبية ، فقد كان ابناء هذه القبائل القفرية يقيمون على ولائهم للغرباء ويحمونهم في بيوتهم ولا يصعب علينا تصديق ذلك عنهم لو تذكرنا ما للعرب في ايامنا هذه من الفضائل السامية من هذا القبيل .

ولدينا رقيم تتركه لنا سنو هيت احد اعيان مصر مكتوباً على الورق البردي بالخط الهير و غليفي يذكر فيه توطنه بين قبائل البدو وبلغ الى اختلاف المصريين الى سوريا الجنوبية وهذا الاثر يعد من اشهر الاداب المصرية القديمة . واليك فيما يلي قصة هذا الرجل وهو احد الهاربين كما اوردها هو عن نفسه في الرقيم المذكور وقد جرت حوادثها حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م .

(٣٣) **نجاة سنو هيت من مصر** . ان سنو هيت على ما يرجح هو احد النبلاء المصريين ولا نعلم حق العلم اذا كان له صلة قرابة بالملك امنميت الاول تخوله حق اعتلاء العرش ، لانه لما انتشر خبر وفاة الملك امنميت فر سنو هيت هارباً حرصاً على حياته . اما الاسباب التي دعت به الى الخوف على حياته والهرب من مصر فهي لاتزال مجهولة . وبعد ان يصف كيفية وصوله الى نهر النيل يقول :
 « ثم قطعت النهر على اخشاب شددتها الى بعضها ولمالم يكن لها دفعة اديرها بها حملتني الريح الغربية شرقاً الى مقالع آكو (في جبل المقطم) الى جبل الاحمر فنهضت من هناك وجددت السير شمالاً الى ان وصلت الى حائط الامراء المقام لصد قبائل

السائي (الرماة، وهم قبائل بدوية على حدود سيناء). فزحفت على بطني واختفيت بين العليق هناك لئلا يراني الحرس الذي يتبدل يومياً للخفارة على سطح القلعة. (وبقيت هناك) الى ان أسدل الظلام ذيوله فقامت اجد في السير وعند الفجر وصلت الى بيتن ومنها عرجت على وادي كيمور. وعندها جف حلقي وتقلص من العطش فقلت في نفسي هذه مرارة الموت. ثم لم يلبث ان انتعش قلبي بغتة وجمعت قواي ونهضت فسمعت صوت الماشية ثم رايت رجالاً من السائي (الرماة) وكان رئيسهم قد زار مصر سابقاً (فعند ما رأيته) عرفني واعطاني ماءً وسخن لي حليباً فشربت ثم رافقته الى مقر قبيلته فلقيت هناك معاملة حسنة.

ويظهر ان سنو هيت لم تطمئن نفسه في هذا المكان اذ يقول «وكانت كل قبيلة توصلني الى القبيلة الاخرى الى ان وصلت ارض ادوم؟ قدم؟ وبعد ان اقامت هناك سنة ونصف سنة سمع بي عمي غنشي امير طنو العليا فارسل الي قائلًا تعال واقم عندنا لانه يمكنك هنا ان تسمع حديث المصريين، قال ذلك لانه سمع بشهامتي ومنزلي من الرجال المصريين

المقيمين عنده ٠»

وبعد ان قدم سنو هيت الى منزل الامير المذكور خلا به ودار
بينها حديث طويل اخذ سنو هيت يطنب في مدح فرعون مصر ويزيد في
الاطناب الى ان قال « هو الله الحكمة سديد في آرائه عادل في
قضاءه سليم النية لمن يقصده ٠٠٠ هو شجاع بهيم الى الامام
عند ما يرى مقاومة ، هو فارس يفرح جداً عند ما يحمل على
البرابرة ٠٠٠ وعند ما يجهز قوسه نقر البرابرة من وجهه
كالكلاب ٠٠٠ هو يرغب في توسيع حدوده الجنوبية لكنه لا
يطمع في اراضي الشمال ، هو لا يضرب قبائل الساقى اما اذا
قدم هذه الديار فدعه يعرف اسمك ويعلم الخضوع الذى تقدمه
لجلالته لانه لا يأنف من مباركة البلاد التى تقدم له
الخضوع والطاعة ٠»

(٣٤) سر هبت يصف احوال المعيشة في فلسطين ٠ وبعد
وصف هذه المقابلة يذكر سنو هيت الاكرام الذى لاقاه من
عمى عنشى ويصف احوال المعيشة في فلسطين فيقول «وقدمني
(عمى عنشى) على اولاده وزوجتي من ابنة الكبرى وخبرني بين

احسن اراضيه على حدود بلاد اخرى فكان لي ارض عياء الجميلة حيث التين والعنب والعسل والزيتون وسائر انواع الاثمار على الاشجار والحنطة والشعير وقطعان المواشي التي لا تحصى موجودة بكثرة اما انخر فهو اكثر شيوعا من الماء . وحقاً يقال ان الامير انعم عليّ انعاماً جزيلاً عند ما اقامني رئيساً على احدى قبائل بلاده فكان لي معاشي كل يوم من الخبز واللحم المطبوخ والطيور المحمرة هذا فضلاً عما كنت اصيده من الحيوانات مع ما كان يهدى الي وما كانت تصيده لي كلابي السلوقية . وكان يجلب لي كمية كبيرة من الزبدة اما الحليب فقد كانت اصنافه كثيرة ومتنوعة . »

» وقضيت سنين عديدة على هذه الحالة حتى اصبح اولادي رجالاً كل واحد منهم يحمي ذمار قبيلته . وكان رسول البلاط المصري يعرج عليّ في مجيئه وذهابه لاني احسنت الى الجميع فكنت اعطي الماء للعطشان وارشد الضال وانقذ المسلوب واقود جيوش الساقى لصد الامراء المعتدين على الحدود لان امير طنو اقامني قائداً على عساكره سنين عديدة ، فقهرت كل قبيلة غزوتها

وسلبت مواشيها واسرت اسيادها وعبيدها واهلكت اهلها
بسيني وقوسي وتدايري الحسنة فاجبني مولاي واخلص لي، ولما
علم بقوة ساعدي اقامني على اولاده رئيساً .

(٣٥) البراز بين سنو هبت وبطل طنو . وبعث الي بطل
من طنو يدعوني الى النزال في خيمتي وكان هذا البطل نادر
المثال قهر كل من نازله في سائر البلاد فقال ليارزني سنو هبت
لانه اراد ان يقهرني ويستولي على قطعاني . فباحثني عمي عنشي
بهذا الشأن فاجبته قائلاً : انا لست اعرفه ولا انا من اقرانه وقد
حفظت نفسي بعيداً عن املاكه . هل يظنني نزلت يوماً على بابه
ام تعديت على اراضيهِ ؟ ولكن لاشك في انه حسود يطمع في اخذ
ممتلكاتي . . فان كان له جرأة على الحرب فدعه بصرح
بمقصده . أينسى الاله من كان دائماً مغموراً بانعامه ؟ واضطجعت
تلك الليلة ولما استرحت نهضت فجهزت قوسي وهيأت سهامي
وحربتي ولينت ذراعي . وعند الفجر تجهزت قبائل طنو ومن
جاورها وكان الجمع ينتظر النزال بفارغ صبر والافئدة كلها
على احر من الجمر والقوم رجالاً ونساءً يطلبون لي ويقولون

وقلوبهم تضطرب . هل يوجد رجل شجاع يقف في وجهه ؟
 انظروا خصمه كيف وقى نفسه بترس وحمل بيده فاساً ورزمة
 نبال . وعندها تنازلنا في الميدان وتبارزنا وكنت انتقل بخفة
 فتعرض نباله عني وتسقط على الارض . ولما لم يفلح هجم عليّ
 فصوبت قوسي نحوه وباقل من لمح البصر غرزت سهمي في نحره فخرّ
 صريعاً على وجهه فاخذت حربيته وطعنته بها . ثم وقفت على
 ظهره وهتفت هتاف النصر فتهلل الجمع واقبل رجاله وقدموا
 واجب الشكر للاله متوهمين واسرع الي عمي غنشي فضممني الى
 صدره ثم امر لي بجميع مقتنيات هذا البطل . وهكذا فاني انزلت
 به ما خال انه سيفعله بي فهدمت منزله واخذت جميع ما كان
 في خيمته مع مواشيه وممتلكاته فازدادت ثروتي وتكاثر عدد
 قطعاني .

(٣٦) عودة سنو هبت الى بلاده . ولما شاخ سنو هبت
 حنّاً الى بلاده وتاقت نفسه الى مرأى اهلها وابناء جنسه في
 مصر فكانت البلاط بشأن الرجوع . ولما جاءه الجواب بالقبول
 هب لساعته وقصد مصر تاركاً وراءه جميع املاكه لاولاده

وذلك بإشارة من فرعون . ولما وصل مصر مثل بين يدي
فرعون فأرّج عليه لأول وهلة فسكن الملك روعه وقابله
بالخفاوة والاكرام وامر العبيد ان يقوموا على خدمته فخلقوا شعره
ونفضوا عنه الهوام التي علفت به من البدو وخلعوا عنه الثياب
الحشنة ومسحوه بالطيوب والبسوه الحلل الفاخرة . ثم استقبله الملك
وحاشيته واهله في البلاط بالتهاليل والاغاني والافراح .

واخيراً شيد له بيتاً جميلاً وكان الخدم يأتونه بالاكل ثلاث
او اربع مرات في النهار هذا خلا ما كان يقدمه له اولاد المليك .
وامر جلالاته ببناء هرم كبير ليكون مدفناً لسنوهيت عند موته ،
وباقامة تمثال له مرصع بالذهب . وينهي سنوهيت قصته بقوله
«وامدني بانعامات لم يحزها منه غيري وسابقى محافظاً على ولائي
وطاعتي للمليكي الى ان يوافيني اليوم الاخير .»

(٣٧) التناجى التاريخي من قصة سنوهيت . لما كانت هذه

القصة مكتوبة بلهجة القرن العشرين قبل المسيح فهي تبسط
لنا بصورة اجمالية احوال المعيشة في مصر وسوريا في ذلك العهد
واليك اهم ما يمكن استنتاجه عن احوال سوريا الجنوبية .

١٠ لا شك في ان سنوهيت اسرّ الى عمي عنشي عند مقابلته اياه في خيمته انه ليس من المستبعد ان فرعون سيجهز على بلاد طنو حيث يقول «ولكنه اذا قدم هذه الديار دعه يعرف اسمك ويعلم بالخضوع الذي تقدمه لجلالته لانه لا يأنف من ان يبارك البلاد التي تقدم له الخضوع والطاعة» .

وربما اشار عليه ان يتخذ وسيطاً بينه وبين فرعون ان هو احتاج الى ذلك ويرجح ان هذا ما حمل عمي عنشي على اكرام سنوهيت وانزاله عنده منزلة اولاده .

٢٠ لا شك في ان فلسطين آنذ كانت غنية بالمحاصيل الزراعية كما يصفها سنوهيت بقوله «حيث التين والعنب والعسل والزيتون وسائر انواع الاثمار على الاشجار والحنطة والشعير وقطعان المواشي التي لا تحصى موجودة بكثرة . اما الخمر فهو اكثر شيوعاً من الماء»

٣٠ يظهر من تجمع قبائل البلاد لحضور النزال بين سنوهيت وبطل طنو ان عادة البراز كانت في تلك الايام ، وان الانسان كان يستحصل على حقه الشخصي بنفسه في بعض

الاحيان وهي تذكرنا بالبرازيلين داود وجليات الجبار . وقد شاعت هذه العادة كثيراً في ايام عرب الجاهلية كما نقرأ في قصة الزير وجساس وعنترة وابي زيد وغيرهم . اما هذا النزال فربما كان سبب تعدي رجال سنوهيت على اراضي بطل طنو اذ ان الارض التي اختارها سنوهيت كانت على «حدود بلاد اخرى» .
 ٤٠ ان المصري نظراً لرقبه في تلك الايام وتفوقه على غيره في التمدن كان محترماً عند الاسيويين . فكانوا ينظرون اليه نظرة الاحترام يدلنا على ذلك المعاملة الحسنة التي لاقاها سنوهيت من سائر البدو .

٥٠ واخيراً ان قول عمي عنشي « تعال واسكن معنا فانه يمكنك هنا ان تسمع حديث المصريين » يؤيد ما جاء في مقدمة هذا البحث من ان سوريا الجنوبية كانت ملجأ للفارين من مصر لان المصري لا يهجر بلاده الخصبة ويرضى الإقامة في سوريا الا لأسباب قاهرة .



اسئلة

برهن على ان مصر هي هبة النيل . الى كم قسم تقسم وادي النيل ؟
 الى كم دور يقسم تاريخ مصر القديم ؟ ما هي الادلة على وجود العلاقات
 التجارية في القديم بين سوريا ووادي النيل ؟ صف الرسم الذي وجدته
 المنقبون في بني عسن . ماذا يمثل ؟ ما هي الاثار التي تدل على النفوذ
 المصري في جنوبي سوريا على عهد فراعنة عصر الاهرام ؟ من هو القائد اونا ؟
 ما هي اسباب غاراته على جنوبي سوريا ؟ ماذا تستنتج من وصفه هذه
 الغارات عن احوال فلسطين عموماً ؟ من هم الهكسوس ؟ ما الذي ساعدهم
 على دخول مصر ؟

اذكر ما تعرفه عن اختلاف المصريين الى جنوبي سوريا . من هو
 سنوهيت ولماذا هرب من مصر ؟ صف هربه الى سوريا . صف مقابله
 عمي عشي . كيف يصف احوال المعيشة في فلسطين ؟ صف البراز بينه
 وبين بطل طنو . ماذا تستنتج من قصته ؟

الفصل الرابع

المصريون في سوريا

— دور اشتداد نفوذهم فيها —

فتح سوريا

(٣٨) طرد الراكسوس من مصر . اكتفى الراكسوس أثناء اقامتهم في القطر المصري بالحكم المباشر على القسم الشمالي فقط اما القسم الجنوبي فقد وكلوا شؤونه الى حكام وطنيين يديرون امور بلادهم الداخلية ويجمعون الجزية المفروضة عليهم ويحملونها الى اسيادهم في الشمال . غير انه على توالي الاعوام اصبح هذا القسم الجنوبي بوثة الروح القومية ومهد الحرية والاستقلال وذلك لبعده عن مركز الحكومة . فتألفت في القرن السادس عشر قبل المسيح عصبة من الثائرين في مدينة طيبة في الجنوب التي اصبحت فيما بعد حاضرة الامبراطورية المصرية وازكت نار الثورة على الغرباء الاسيويين وما زالت تثقل راحتهم وتحاربهم حتى اضعفتهم واوهنت قواهم في المدن الشمالية .

واخيراً قام على تخت الملك رجل ذو لباس وشدة يدعى
 اهمز (وهو الاول بهذا الاسم ، وموسس السلالة الثامنة التي
 ازدهرت الامبراطورية في ايامها) حمل على الهكسوس وطردهم من
 مقرهم الاخير في مدينة اوارس في الشمال الشرقي التي عززها
 ملوكهم الاولون حفظاً للحدود الشرقية من هجمات الاسيويين .
 فخرج الملوك الرعاة من مصر بعد ان قضوا فيها نحواً من قرنين
 ونصف قرن تاركين وراءهم عدداً من الساميين الذين فضلوا
 العبودية والرق في اراضي مصر الخصبة على معيشة الحرية في
 براري سوريا وقفارها وكان من هؤلاء بنو اسرائيل الذين
 اقاموا في مصر زمناً طويلاً بعد خروج الهكسوس منها وسيأتي
 الكلام عنهم .

(٣٩) مطاردة الهكسوس في سوريا . ان سكرة الانتصار
 ونشوة رد الفعل لم تدع المصريين يقفون عند هذا الحد بل
 حدث بهم الى مطاردة الهكسوس الذين كانوا قد تغلغلوا بين
 السوريين واخذوا في تحصين المدن والقلاع في جنوبي سوريا ضمناً
 بالعودة الى مصر واسترجاع ما فقدت ايديهم .

فتبعهم الملك اهمز الى سوريا واقتص منهم حيث يقول
 احد قواده المتباهين بالنعم السنية « ودخل جلالته مدينة
 شاروحين بعد حصار دام ست سنوات فاسرت حينئذ امرأتين
 وغنمت يداً (مقطوعة) فانعم عليّ جلالته بذهب الشجاعة وسمح
 لي بالاسيرين ليكونا لي عبيداً » . ويذكر قائد اخر انه رافق
 فرعون الى حدود زاهي التي يعني بها فينيقيا وسوريا .

(٤٠) سوريا تدفع الضريبة لفراعنة مصر .

لما كانت سوريا متجزأة ممالك صغيرة متعددة ، ولما كان
 اهلها فاقدين روح الالفة والاتحاد ، وجدها خلفاء اهمز غنيمة
 باردة فصبوا اليها سهام مطاعمهم ومطامع المصريين الذين اسكرهم
 الانتصار فالفوا امة حربية رغم كرههم للحرب والقتال . ومع
 قلة الاثار التي خلفها هؤلاء الفراعنة عن حملاتهم الى سوريا فانه
 يمكننا ان نتأكد دخول سوريا تحت حكمهم . فان تحوتمس الاول
 زحف بجنوده بعد ذلك في وسط سوريا دون ان يعادف
 مقاومة تذكر ، حتى بلغ ارض النهرين حيث حارب الاسيويين
 وقهرهم ، فقال احد قواده في ذلك « فكنت على راس الجيوش

فشاهد جلالته شجاعتي وغنمت مر كبة بجيادها وسقت صاحبها
اسيراً الى جلالته فكافاني بالذهب مرتين . وبعد انتهاء المعركة
اقام تحوتس الاول نصباً على نهر الفرات جعله دليلاً للحدود
الشمالية الشرقية . واخذ السوريون والبدو المقيمون في فلسطين
من ذلك الحين يجمعون الجزية ويرسلونها الى البلاط المصري .
وكان خشب ارض لبنان والمعادن كالنحاس والحديد يرد بكثرة الى
البلاد المصرية من هذه الاملاك الجديدة .

غير ان السوريين كانوا كلما ساحت لهم الفرصة يتمردون على
اسيادهم ليخلصوا من دفع الجزية . فانتا نقرأ عن تحوتس الثاني انه
قام بحملة تاديبية الى ضفاف الفرات ولدى رجوعه اقتص من
البدو الثائرين في جنوبي فلسطين حيث غنم احد قواده « اسرى
لا عدد لهم » .

(٤١) عصيان السوريين .

لقد خلف تحوتس الاول على العرش ابنته المدعوة
حتشبسوت ومع ان المصريين كانوا يكرهون تولي النساء عليهم
فقد وجدوا انفسهم مضطرين الى تولية حتشبسوت شؤون مملكتهم

لان اباهما كان الحاكم الشرعي قبلها ولانها كانت احدى اميرات طيبة اللواتي يتصل نسبهن بمحرري مصر من ايدي الهكسوس .
 اما اخوها من ابها تحوتمس الثاني والثالث اللذان حكما معها وتزوجاهما واحداً بعد آخر فقد كانا من سراري الملك وليس من نساء الشرعيات .

وقد كانت حتشسوت على جانب عظيم من الحنكة والافتدادر غير انها كانت تمثل العاطفة المصرية في كرها للحرب .
 فقد جاء عنها انها كانت تفاخر بالأمن الذي استتب على عهدا وبالطاعة التي صادفتها من جميع شعوب المملكة على السواء .
 لكن ايام السلم هذه فسحت مجالاً للمستعمرات لكي تثور على المصريين ولتخلص من حكمهم . وكان السوريون من جملة من حاول العصيان . فلما انتشر خبر وفاة الملكة هبوا جميعهم ما عدا سكان السواحل وجنوبي فلسطين واضرمو نار الثورة على المصريين يقودهم ملك قادش . وقد كان ملك ميتاني على ضفاف الفرات يسعى حينئذ لجعل مملكة قادش سداً بينه وبين مصر فزبن للتأثرين العصيان ونشطهم ونفخ فيهم روح الحماسة .

(٤٢) نجرهز نحو نفس عليهم

وما كاد تحوتمس الثالث (شريك الملكة في الملك واخوها من ابيها وزوجها) بتفرد بامرءه ، وكان ذلك في السنة الثالثة والعشرين من حكمه ، حتى وجد جميع سوريا ما عدا فينيقيا والقسم الجنوبي ثائرة على مصر . فساءه الامر وقام من ساعته وجرد جيشاً ومشى الى سوريا الثائرة ، وكان ذلك في شهر ايار سنة ٤٧٩ ق م . وكان العدو قد زحف الى سهول مجدو (جلون) بالقرب من حيفا وتحصن فيها .

(٤٣) الحزم في اختيار الطريق .

ولما وصل الملك بجيوشه الى ياحم عقد اجتماعاً حضره كهراء قومه ومستشاروه فاستشاروه فاستفتاهم في اختيار الطريق الى مجدو حيث كان العدو مختدقاً ، وكان وقتئذ ثلاثة طرق توصلهم الى تلك المدينة كما يتبين من الخريطة . الأولى عبارة عن ممر ضيق يخترق ابط الجبل عن طريق اروننا ، والثانية والثالثة تاخذان دورتين كبيرتين من جهة الشرق والغرب . فقرر رأي اتباعه على اتخاذ واحد من الطريقين الآخرين على رغم طول المسافة وذلك خوفاً

من مباغثة العدو لهم ان هم سلكوا الطريق الضيق فتتلف مقدمة الجيش قبل ان تتمكن المؤخرة من جمع قواها والاشتراك في المعركة .

على ان تحتمس رفض هذا الرأي وقرر المسير في الطريق الضيق مصرحاً لعسكره بقوله «ليكن لكل منكم الطريق الذي يشتهيهِ اما انا فاقسم بمحبة الاله راع لي ورضى والذي غني اني سأتخذ الطريق الجبلية وليتبعني من شاء منكم ان يفعل . اتريدون ان يعلم العدو المغضوب عليه من راع ان جلالة الملك يخافه فيختار طريقاً اخر يسير عليه ؟ »

(٤٤) وصول فحوتس سالما الى سهل مجمو . وسار فحوتس الثالث نابليون عصره على راس الجيش وكانت الطريق ضيقة حتى اضطر ان يسير العساكر عليها واحداً واحداً . غير انه كان قد احتاط للامر وترك شزيمة من الجند في ارونا لتحافظ على خط الرجوع وهكذا وصل الى سهل مجمودون ان تصاب عساكره باذى . وخسر السوريون فرصة كبيرة لا تعوض . فانهم لو انتبهوا للامر لكانوا تمكنوا من ابادة المصريين عن بكرة ابهم .

وربما كانوا انقذوا مدينة مجدو من الخراب . لكنهم لم يحلموا قطعياً ان المصريين سيخاطرون بانفسهم هذه المخاطرة .

ووصلت القوى المصرية الى مجدو في الرابع عشر من شهر ايار سنة ١٤٧٩ ق م . وقد كانت الشمس قد مالت نحو المغرب فتأجل موعد الحرب الى اليوم الثاني . وامر جلالاته فضربت خيمته في وسط المعسكر على اكمة قرب مياه قينا ونزل الجناح الايمن من الجيش حول المياه المذكورة . اما الجناح الايسر فانتشر في الشمال الغربي من مجدو على طريق زفتى حتى يكون المصريون في مأمن ان هم اجبروا على التقهقر . وكان السوريون قد طوقوا مدينة مجدو من الجهة الغربية حيث كانوا على اتصال بابوابها لاستمداد الذخائر والعساكر .

(٤٥) المعركة . وفي صباح اليوم الخامس عشر من ايار امر الملك بالتأهب للقتال فعين الخفراء والحرس وتفرقت الموائد والذخائر وبشت الجواسيس في سائر الانحاء واعطيت كلمة المرور . ثم سار الجيش المصري دفعة واحدة يتقدمه الملك بنفسه مستلاً سيفه بيده منقضاً على « البرابرة » يخرق صفوفهم كالسهم المنطلق

وفيتك بامرائهم وقوادهم الفتك الذريع .

ولما شاهد السوريون هذا الهجوم المنظم والشجاعة النادرة
المثال لاذوا بالفرار منهزمين امام عدوهم تاركين وراءهم في ساحة
الوغى جسادهم واسلحتهم ومركباتهم الحربية المرسعة بالذهب
والفضة . ولما وصلوا الى اسوار مجدو ، وجدوا الابواب موصدة
وكان سكان المدينة يخشون فتحها لئلا يباغتهم العدو . فأدلو الحبال
والثياب وربطوها بعضها ببعض ورفعوا اخوانهم الى اعلى السور .
وكان من جملة من رفعوا بهذه الطريقة ملك قادش قائد الثورة
السورية والمحرض عليها .

اما المصريون فقد بهرت عيونهم الاشياء الثمينة في ساحة
الحرب وشغلتهم عن اللحاق بعدوهم المنهزم فاضاعوا بذلك فرصة
نادرة . وقد سروا كثيرآ بهذا الانتصار فتهللوا فرحين لما وقع بين
ايديهم من الاسرى والغنائم . وكان بين هؤلاء ابن ملك قادش
الذي وجدوه في خيمة ابيه . وكان عدد الايدي المقطوعة التي
جمعوها من اشلاء القتلى السوريين المطروحة في الميدان لا تحصى .
فشكروا الهمم راع ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتسايح الروحية

فدوت من شدتها الاودية المجاورة وكان انتصارهم عظيماً لم يروا مثله في تاريخهم .

(٤٦) مصار مجدو . وفترت عزائمهم بعد هذا الانتصار وكادوا يكتفون بما احرزوه لولا قيام تحوتس وحشهم على متابعة القتال . وبعد ان جمعت الاسلاب والغنائم وسُجِلت جميعها اصدر جلالتة الاوامر قائلاً : ما دام جميع امراء سوريا مجتمعين في هذه المدينة هيوا بنا الى محاصرتهم واخذ مدينتهم فان سقوط مجدو يعني سقوط الف مدينة من مدن العدو . وامر بان يقام سور من اغصان الشجر حول المدينة يكون له باب واحد وان توضع المخافر على مسافات قريبة بعضها من بعض وان تؤخذ الاحتياطات اللازمة كيلا ينجو احد من المحاصرين وخصوصاً ملك قادش رئيس الثورة . فكان كل ذلك .

اما مدينة مجدو فهي تقع على تلة عالية وتشرف على مرج ابن عامر (اسدر ليون) وتمر في وسطها الطرق المؤدية الى القسم الشمالي من سوريا وبلاد ما بين النهرين وعليه فان مركزها من اهم المراكز الحربية .

(٤٧) سقوط مجدو . وقد كان في وسع السوريين ان يحاصروا في تلك المدينة المحصنة ، ويصدوا اي قوة كانت عن مهاجمتهم لكن الجوع عضهم بانيابه الفتاكة فمزقهم واضطروهم الى التسليم . خرج الامراء وقواد الثورة ماعدا ملك قادش الذي نجا بنفسه ، وفي اعناقهم المناديل البيضاء وعلى رؤوسهم الرماد وخضعوا بين يدي الفاتح المصري وطلبوا منه الامان على انفسهم ودماءهم فامنهم . ومن ذلك الحين اخذت المدن السورية القرية ترسل الوفود الى تحوتس معلنة خضوعها واستسلامها . وكانت الهدايا الثمينة من سائر الانحاء نخيول ومركبات واسلحة ومواشي وغيرها تتراكم بين اقدام فرعون . وكان اخضاع مجدو فاتحة عصر جديد في تاريخ البلاد السورية اذ اصبحت فيه ايالة مصرية بكل معنى الكلمة .

(٤٨) ما وقع في ابدى المصريين من الفنائم . وتأسف تحوتس جداً لهرب ملك قادش . لكنه كان يسلي نفسه بقوله « وحمل جلاتي معه الى مصر نساء الملك المقهور (اي ملك قادش) واولاده مع نساء القواد الذين كانوا في مجدو مع

اولادهم» . وكانت الاشياء التي غنمها المصريون كثيرة جداً
ومع ان الاعداد في بعض الاحيان تفوق حد التصديق فانه
يمكننا بواسطتها ان نعرف شيئاً عن حالة البلاد الاقتصادية ومما
كسبه الفاتحون واليك بعض ماورد في قائمة الاسلاب .

(١) ٩٢٤ مركة حربية بينها مركات ملك قادش

وملك مجدو

(٢) ٢٢٣٨ راس خيل

(٣) ٢٠٠ درع بينها درعا للملكين المذكورين آنفاً

(٤) ٢٠٠٠ راس من المواشي الكبيرة (كابلج والثور)

(٥) ٢٥٠٠ راس من المواشي الصغيرة (كالخروف والمعزة)

(٦) صولجان ملك قادش وصيوانه الجميل وتمثال من

الفضة يمثل (الها) وتمثال اخر من العاج المطعم بالذهب والحجارة

الكرمية يمثل الملك نفسه .

(٧) كميات كبيرة من الفضة والذهب

(٨) ١١٣٠٠٠ بوشل من الخنطة (١٤١٢٥ قنطاراً)

حصدها الجيش من مرج ابن عامر

كل هذا يدل لنا على غنى السوريين وتفوقهم بالصناعة وخصوصاً صناعة المركبات .

حالة سوريا في زمن سيادة مصر عليها

(٤٩) تنظيمات نحو نفس في سوريا . وبعد ان اخضع تحوتس
 الثاثرين في مدينة مجدو وجه اهتمامه الى تنظيم البلاد وجعلها
 مصر اخرى وقد رأى بنظره الثاقب ان لا بد لحفظ نظامها
 وضبط شؤونها من الاستعانة بالحكام الوطنيين لانهم خبراء
 بعقيلة الشعب واقدر على ادارته فابقاهم في مراكزهم . على انه
 كان يحمل ابناءهم الى مصر فينشأون في البلاط حيث كانوا
 يتشربون روح المصريين وعاداتهم وتقاليدهم واليك ما قاله احد
 هؤلاء الامراء : « لما كنت صغيراً احضرني مندوب مصر السامي
 الى مصر حيث قمت على خدمة مولاي الملك بان كنت
 حاجباً لبابه » . وقال آخر « لا ابي ولا امي بل يد الملك القوية
 اجلسني في بيت آبائي » . وعند ما كان يموت الحاكم السوري
 او يشور كان فرعون يرسل ابن ذلك الحاكم المترين في مصر
 ليشغل مكان ابيه بعد ان يحلف له بيمين الاخلاص ويمسح راسه

بالزيت .

وشيدت حوتمس القلاع في المراكز الحربية وعسكر جنوده فيها وجعل على كل واحدة منها حاكماً مصرياً له السلطة المطلقة في جميع الشؤون وكان هذا يجمع الجزية ويحفظ الامن والنظام في البلاد . غير ان هذه الحصون اخذت بالضعف والتاخر وخصوصاً بعد ما خضعت سوريا تماماً للنير المصري . وكان السعاة المصريون يسرون دائماً بين هذه القلاع يحملون الاوامر العسكرية الصادرة من البلاط الى مختلف الجهات ويعودون منها الى مصر بالتقارير الضافية والمعلومات الكثيرة عن احوال هذه البلاد . وكان على امراء المقاطعات ان يحضروا في اوقات معلومة الى هذه القلاع ليسجدوا ويحرقوا البخور امام تمثال آمون راع اله طيبة العظيم . وهذا يفسر لنا كيف ان اهل المدينة المحاصرة في ذلك العهد الذين يريدون اعلان خضوعهم كانوا يصعدون احدثهم الى السور فيلوح بمبخرة اشارة الى عدول اهل تلك المدينة عن عصيانهم ورجوعهم الى عبادة اله مصر .

(٥٠) الجزية . وضرب الجزية السنوية من كل ماله قيمة

في البلاد وفي طليعة ذلك الفضة والذهب وان تعذر وجودها يعوض بالمواشي والمآكل والملبوسات والمركبات والاسلحة وجميع الادوات . اما الاقاليم الموجودة فيها النحاس والرصاص وغيرهما فالجزية من هذه المعادن . وقد كان الملك عند الحاجة يفرض الاعانات والضرائب للجيوش المحاربة من مال وذخيرة واكل ولا يصغي الى تظلم الحكام والاعذار التي كانوا يقدمونها كالحسارة والمحل وقلة الشتاء والحرب وغير ذلك . وكان على الحكام الوطنيين ان يرسلوا الى البلاط المصري ليس ابناء هم فقط كرهائن كما سبق بل بناتهم ايضاً ليكن في عداد حريم فرعون . اما العبيد والخدم فقد كانوا قسماً معيناً من الجزية السنوية .

وفوق كل ما تقدم كان على الحكام ان يقوموا بنفقات المحطات العسكرية في بلادهم وإضافة رسل البلاط وحفظ سلامة القوافل التجارية الى ان تتجاوز الحدود ورشوة المأمورين المصريين بالهدايا الثمينة خوفاً من ان يحتفظوا بالجزية لانفسهم ويهتموا اهل البلاد بعدم دفعها وان يساعدوا بتجنيد العساكر لاختضاع الثائرين من ابناء وطنهم .

(٥١) سوريا غصفت لكنها لم تترك الى السكينة . وقد كانت هذه المعاملة الجائرة التي لاقاها السوريون من اسيادهم سبباً كافياً لعدم اخلاصهم الى السكينة فقد كانوا يثورون كلما وجدوا فرصة مناسبة لذلك ليتخلصوا من دفع الضريبة ومرارة العذاب . وتذكر لنا الآثار المصرية ان تحوتمس الثالث جهز ثلاث عشرة حملة على سوريا بعد معركة مجدوليكي يجمع الفتن ويجمع الجزية اي انه كان مضطراً الى ان يأتي بعساكره تقريباً مرة في كل سنة . وفي احدى هذه الحملات تقول الآثار انه ضرب مدينة ارواد ضربة قاضية واخضع المدن الفينيقية وكان اذ ذاك فصل الخريف «فكانت جنائهم ملائمة بالاثار والخمر المتروكة في المعاصر كثير كالماء والحنطة على البيادر اكثر من الرمال على شاطئ البحر . فكان لافراد الجند من ذلك نصيب وافر . فاخذوا يسكرون يومياً ويمسحون اجسادهم بالزيوت كما يعملون في ايام الاعياد في مصر» . فنهب المصريون كميات كبيرة من خيرات ذلك السهل . وفي حملة اخرى على سوريا الثائرة تبين الآثار المصرية اعجابها بمحاصيل البلاد الزراعية وخيراتنا فتقول «وكانت الجنود حيثما حلت

ياتيها نصيبها الكافي من الحبز الممتاز والحبز العادي الخ ٠٠٠ وكان من جملة الاسلاب التي حملوها الى مصر ستة الاف جرة خمر ٠ ولكن الاضطرابات والثورات بقيت مستمرة في سوريا الى ان سقطت مدينة قادش في يد تحوتس كما سيأتي ٠

(٥٢) **انقاض مدينة قادش** ٠ كانت مدينة قادش تقع في مثلث من اليابسة يحيط به من الشرق نهر العاصي ومن الغرب ساعد صغير يصب في هذا النهر ومن الجنوب ترعة تصل النهرين احدهما بالآخر ٠ ويحيط بسور المدينة داخل المثلث خندق كبير يجري فيه الماء فيزيد المدينة منعة ويجعلها من احصن مدن سوريا ٠ ولا تقل اهميتها الحربية عن مدينة مجدو التي صرف تحوتس الجهد الجهد في الاستيلاء عليها كيف لا وهي تقع على مفرق الطريق المؤدية من البحر شرقاً الى داخلية البلاد ومن الجنوب شمالاً الى بلاد ما بين النهرين ٠ ولا بد من ان تحوتس اضطر الى حصار المدينة عند ما قدم اليها سنة ١٤٧١ ق م ٠ وقطع الاشجار لتضييق الحصار كما فعل في مجدو حيث تقول الاثار « ووصل جلالته الى مدينة قادش وقهرها وقطع غاباتها وحصد خنطتها » ٠

ويقول احد قواده انه قبض على اثنين من اعيان المدينة فكافأه
فرعون بجائزتين جميلتين: اسد من الذهب الخالص وحشرتين من
الذهب ايضاً هذا ما عدا الحلى الثمينة . وقدم له ذلك بحضور
الجيش .

وبعد ان انهى الملك حروبه في المنطقة الشمالية واخضع
الشائرين متع نفسه بصيد الافيال في تلك المقاطعة حيث يقول
احد قواده انه خلص حياة جلالته من احدى هذه الحيوانات
الهائلة فكافأه على خدمته مكافأة لائقة .

غير ان مدينة قادش لم تخضع لمصر خضوعاً تاماً هذه المرة
في سنة ١٤٥٩ ق . م . نجدها مركزاً لثورة كبيرة ترتبت في
شمالي سوريا . وكان الاهالي هذه المرة قد جددوا بناء اسوارها
فعلم تحوتس بذلك واتى بجيوشه لانزال العقوبة بها ولما اصبحت على
مقربة منها اطلق الاهالي فرساً ثائراً فهجمت بسرعة فائقة بين
الجيوش المصرية . وكاد الذعر يدب الى قلوبهم (ولا بد من
ان ذلك حصل ليلاً) . ويقول احد قواد تحوتس انه لما رآها
هجم عليها وشطرها بسيفه وقطع ذنبها وقدمه الى الملك فكافأه

بالشكر الجزيل . وبعد حرب عنيفة سقطت مدينة قادش في يد المصريين وبسقوطها خضعت كل بلاد سوريا وركنت الى السكينة والهدوء . واخذت تدفع الضريبة كالعادة الى ان توفي تحوتس . وكانت هذه آخر حملة قام بها الملك تحوتس الثالث الى سوريا .

(٥٣) كيفية عقوبة الثأربين . ولما كان يتهم احد الامراء بالعصيان على فرعون يطالب اليه فرعون ان يحضر الى مصر بنفسه ليبرر ساحته فيصرف في سبيل ذلك النفقات الطائلة اذ انه كان مضطرا ان يستصحب حاشية كبيرة وبظهر بظهر عظيم يليق بمقامه ووظيفته ويحمل معه الهدايا الفاخرة ليرشوبها المامورين والحجاب . وبعد كل هذه المشقة والمصاريف لا تضمن سلامته . فكثيرا ما كان يحجر على الامراء فيمضون ما تبقى من ايامهم في زوايا السجون المظلمة في مصر وعليه فلا غرو اذا وجدنا مكاتيب تل العمارنة ملانة بالاعذار عن عدم المثول بين يدي فرعون . اما المدينة الثائرة فقد كانت تلاقي من العذاب اشده . فككتسحها الجنود المصرية وبعد ان تنهب وتساب تحمل معها من

تلك المدينة مهرة الصناعات الى مصر حيث يباعون عبيداً . اما الامير
 الثائر فياتون به الى طيبة ليقبل امام فرعون ، بعد ان يعينوا
 مكانه احد الامراء المسلمين ويضاعفوا الجزية . واذا ثارت هذه
 المدينة بعد ذلك تدمر تدميراً حتى لا يبقى فيها حجر على حجر .
 (٥٤) مجرى الحوادث بعد موت نحو نمس . لقد كان
 السوريون كما رأينا لا يخضعون الا للقوة وكانوا كلما اشتموا رائحة
 اضطراب داخلي في مصر وخصوصاً عند تغير الفراغة او لاحت
 لهم بارقة أمل بالنجاح هبوا واعلنوا عصيانهم بامتناعهم عن
 دفع الجزية . هذا ما عقب موت تحوتس الثالث حتى اضطرب
 ابنه امنهوتب الثاني عند اعتلاء العرش الى تجهيز حملة كبيرة
 لاختضاع الثائرين فالتقى بهم في شمالي الجليل ثم لبنان وكسرهم
 شر كسرة . ثم تقدم الى شمالي سوريا وهناك حاصر احدى
 المدن وبعد ان اخضعها بالقوة الى القبض على سبعة من زعمائها
 وضربهم بببوتة حتى اهلكهم ثم ربطهم الى مقدمة مركبه الخاص
 واخذهم معه الى طيبة حيث علق ستة منهم على اسوار المدينة
 وامر بارسال السابع الى نوبيا ليلقي به درساً على الثائرين .

هناك . فعاد السوريون اذ ذاك الى الخضوع والسكينة .

(٥٥) عداوة مصر بملوك آسيا الغربية وتأثير ذلك على

سوريا . لقد تمكنت العلاقات الودية بين البلاط المصري وملوك آسيا الغربية في عصر خلفاء توحتمس وخصوصاً امنهوتب الثالث الذي صاهر ملوك ما بين النهرين . ويظهر ان الاسيويين كانوا ينظرون الى الفراعنة نظر اعتبار مقرون بالخوف ويعتقدون انهم من جيلة اطيح عرقاً من سواهم حتى انهم كانوا يتسابقون على ارسال بناتهم ليكون بين حريم الفراعنة . اما هؤلاء مع انهم كانوا يطلبون ايدي البنات الاسيويات فانهم كانوا يتحفظون جداً التحفظ في تزويج بناتهم الى الخارج مما يدلنا على ترفعهم وخضوع الاسيويين لهم ونظرهم اليهم نظر المسود الى سيده . على ان الاسيويين كانوا يرتضون بما يرسله اليهم الفراعنة من الهدايا الثمينة كالذهب والفضة .

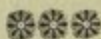
اما السوريون فبعد ان يثسوا من الثورات وتهدمت مدنهم مراراً عديدة وعلموا بالعلاقات الودية الموجودة بين مصر وبلاد ما بين النهرين قطعوا كل امل من التملص من نير الفراعنة

واقبلعوا عن الفتن فساد الامن في البلاد جميعها وبقيت سوريا مدة تزيد عن الستين سنة في هدوء تام ولا بد ان سكانها حينذاك الفوا الحكم المصري واعتادوا دفع الجزية فلم يشعروا بثقلها بعد كما كانوا من قبل . فازدادت العلاقات التجارية وتبدلت الافكار والعادات بين القطرين .

(٥٦) **التاثير السوري في مصر** . لقد سعى الفرعنة وخصوصاً تحوتمس الثالث كما راينا الى تمصير البلاد السورية وبث العقائد واللغة والعادات المصرية بين السوريين . وذلك بتهديب ابناء الامراء السوريين في مصر وتشريهم الروح المصرية في الصغر . لكن اعمالهم لم تات بالنتيجة المرغوبة لان الذين كانوا موقوفين من اجل هذا العمل هم افراد قلائل لا يؤبه لهم اما التأثير السوري السامي في مصر فقد كان عظيماً للغاية فان بقايا الهكسوس والاسرائيليين الذين اقاموا في مصر على عهد الامبراطورية كان لهم من التأثير والنفوذ في البيئة الاجتماعية ما لا ينكره التاريخ . ولا بد انهم عقدوا الاتفاقات التجارية والفوا المصريين على رغم التباعد الجنسي بين الفريقين . ولو لم يكن ذلك لما بقي قسم

منهم في مصر وفضل المعيشة هناك على بلاد اجداده وارض
الميعاد . وقد ظهرت هذه التأثيرات السامية في ملامح المصريين
وفي لغتهم .

وقد كان فتح سوريا عن يد تحوتس سبباً في توثيق عرى
الاختلاط وازدياد العلاقات بين الشعبين وادخال التمدن
السوري الى مصر . فالنساء اللواتي دخلن عن طريق السبي
والزواج كان لهن نصيب وافر في بث العقائد السامية بين
المصريين فضلاً عن ادخال دم جديد في عروق اولادهم .
والمصنوعات السورية التي دخلت عن طريق السلب والجزية
كانت سبباً في تحسين الصناعة المصرية ، والرجال الذين هبطوا
مصر عن طريق الاسر والارتزاق اشتغلوا في مصانع المصريين
ورقوا الصناعات عندهم هذا عدا الافكار السامية والمعتقدات
والروحيات والتجارة التي ادخلوها معهم . وهكذا فان التأثير
السامي ازداد في مصر وبقيت آثاره ظاهرة في الملامح وفي اللغة
والعقائد الاجتماعية والمدنية .



اسئلة

اين ابتدأت الثورة على حكومة الهكسوس في مصر؟ لماذا؟ من قام بها؟ ما الذي حدا بالمصريين الى مطاردة الهكسوس في سوريا؟ ماذا كانت نتيجة ذلك؟ كيف تم امتيلاء المصريين على سوريا؟ من هي حثشبوت؟ ما الذي خولها حق اعتلاء العرش؟ كيف كانت الحالة السياسية على عهدها؟ لماذا كان ملك ميتاني يحرص السوريين على الثورة في وجه الفراعنة؟ صف مسير تحوتس الثالث الى سهول مجدو . ارسم ياناً لمعركة مجدو حسب الوصف الذي قرأته . ماهي الفرصة التي اضاعها السوريون في اثناء حرب مجدو؟ ماهي الفرصة التي اضاعها المصريون؟ اذكر بعض الاسلاب التي وقعت في ايدي المصريين بعد سقوط مجدو . ماذا تستنتج منها عن حالة سوريا في ذلك العصر .

ماهي التنظيمات التي اجراها تحوتس الثالث في سوريا بعد اخضاع الثارين في مجدو؟ كيف كانت الجزية تجمع من السوريين؟ لماذا لم تخضع سوريا خضوعاً تاماً في زمن سيادة مصر عليها؟ كم حملة قام بها تحوتس الثالث على سوريا؟ ماذا تستنتج من هذا؟ صف مركز قادش الجغرافي . ارسم شكلاً يمثله . صف معركة قادش التي قام بها تحوتس الثالث . كيف كانت عقوبة الثارين؟ صف مجرى الحوادث السياسية في سوريا بعد موت تحوتس الثالث . ماذا كانت تأثير علاقة ملوك مصر بملوك ما بين النهرين في حالة سوريا السياسية؟ اذكر ما تعرفه عن التأثير

السوري في مصر • هل نجح المصريون في نشر العقائد والعادات والمدنية المصرية في سوريا؟ لماذا؟

الفصل الخامس

المصريون في سوريا

— دور تاخر نفوذهم فيها —

عصر الاضطرابات في سوريا

(كما نعرفه من مراسلات تل العمارنة)

(٥٧) دفلول الحثيين الى سوريا • لقد توطن الحثيون في

آسيا الصغرى منذ ٣٠٠٠ سنة ق م • واسسوا هناك فيما بعد ملكاً
 ضمناً جعلوا عاصمته مدينة خاطي الواقعة بالقرب من بوغاز كوي
 الحديثة • وقد ظهروا في سوريا في القرن الرابع عشر قبل المسيح على عهد
 امنهوتب الثالث وطفقوا يدسون الدسائس بين الامراء السوريين
 وتجيّبون اليهم ويغضونهم بالحكم المصري • وما زالوا كذلك حتى
 اصبحت جميع انحاء سوريا الشمالية حتى حماة جنوباً تحت نفوذهم

المصريون في سوريا
 انظر ق ١٧
 تولى علي أحمد
 احمد قنار احمد قنار
 سنة ١٩٠١ (احمد قنار)
 رئيس السلي

وسلطانهم . وكانت عاصمة ملكهم في سوريا مدينة قدس بالقرب من حمص . ولا بد انهم اجتاحوا البلاد جنوباً حتى بلغوا لبنان . وكان الحثيون فضلاً عن الحروب التي قاموا بها في سوريا ينفخون نار الثورة في صدور الامراء السوريين ويحرضونهم على قلب الحكم المصري في بلادهم فهب فريق وثار على مصر وانتصر لها الفريق الاخر فكانت النتيجة ان حدثت منازعات عديدة بين الحكام الوطنيين بعضهم مع بعض .

(٥٨) رفل بعض القبائل الفقيرة الى سوريا . وزاد القلق والاضطراب دخول بعض القبائل البدوية الى سوريا الجنوبية وتجوّلها فيها كقبيلتي خبيري وسوتي وغيرهما من القبائل الارامية . وكانت قبيلة خبيري اشهر هذه القبائل واكثرها عدداً وقد خدم رجالها في الجيش المصري مستأجرين . وكذلك استخدمهم الامراء السوريون في حروبهم بعضهم ضد بعض . وكانوا احياناً ينظمون فرقاً ويغزون بها المدن السورية طمعاً بالغنائم والاسلاب حتى ساد الفساد في البلاد وعمت الفوضى .

(٥٩) موقف الفراعنة تجاه هذا الاضطراب . واخذ

الامراء السوريون يرسلون البلاط المصري معربين عن
 اخلاصهم وخضوعهم الى مصر متوسلين الى فرعون ان يمد
 بالعساكر ليصدوا بها الاغراب عن بلادهم . ولو كان لامنهوتب
 الثالث فرعون مصر آتتذ حكمة سلفه تحوتس الثالث ونظرة البعيد
 في الامور السياسية والحربية لكان بدون شك مشي على راس
 جيش عرمرم وانقض على الثائرين في سوريا وبدد جموعهم
 واخضعهم كما فعل تحوتس في مجدو . غير انه لم يفعل بل وكل
 ذلك الى قواد قديرين ومع ان هؤلاء لم يجدوا صعوبة في رد
 المهاجمين على اعقابهم فانهم لم يتمكنوا من توطيد اركان السلام
 في البلاد الا وقتاً قصيراً . فالسوريون وان كانوا قد رضخوا
 للحكم المصري واحبوه لما نتج عنه من حفظ الامن وقمع مطامع
 الامراء الوطنيين وصددهم عن التعدي على صغار المزارعين فانهم
 لم يرضخوا لذلك الرضوخ الا لانهم كانوا من حين الى آخر يشاهدون
 بأم عينهم قوة مصر وبطشها في قدوم فرعون بجيوشه الى سوريا
 لقمع الفتن والقيام بالدورات التفتيشية وما يرافق ذلك من
 المظاهر الخارجية مما يبعث الرهبة في النفوس ويولد الخوف من

الحكومة المصرية في قلوب الاهلين .

وحدث ان امنهوتب الثالث الذي بلغت الامبراطورية اعلى درجاتها في ايامه لم يرَ داعياً مهماً للقدوم بنفسه الى سوريا فتغيب عنها زمناً طويلاً فزعزع ذلك التغيب هيبة مصر في قلوب السوريين واخذ بعضهم ممن طبعت نفوسهم على الطمع وحب الرئاسة يمثلون دورين في آن واحد فيكاتبون البلاط المصري ويطمئنون به الى اخلاصهم وتفانيهم في سبيل خدمته ثم يبدلون قصارى مجهوداتهم في نيل استقلالهم وتحقيق امانهم في حين أن آخرين حافظوا على ولائهم لمصر وحبهم لها .

(٦٠) الانقلاب الديني في مصر ونائبره في سبائس سوريا .

وبينا كانت المستعمرات المصرية تُنخبط في دياجي الفوضى والاعداء تحديق بهامن كل جانب قام على تخت الفراغة سنة ١٣٧٥ ق . م . الملك الشاب امنهوتب الرابع المعروف باختاتون خلفاً لابييه امنهوتب الثالث . وكانت مصر تنتظر منه ان يقضي على الفتن والثورات ويعيد اليها مجدها السابق . غير انه كان صاحب احلام كبيرة فضرب بالامور العملية وادارة الملك

عرض الحائط وحول همه الى نشر دين جديد يقضي بتترك الآلهة
والمعتقدات القديمة ويبحث على عبادة اله واحد الاله آتون اله الشمس
العظيم . ولكي يعزّز مكانة هذا الرأي نقل عاصمة الملك من طيبة
الى مكان في صعيد مصر بين المنيا واسيوط يدعى العمارنة وبني
هناك هيكلًا للاله آتون الذي كان يعبده وقصد بهذا الانتقال
التخلص من التأثيرات الدينية السائدة في طيبة العاصمة القديمة . وقد
كرّس وقته لعبادة هذا الاله ونظم الاغاني والتسابيح الروحية
واهمل شؤون الملك الامر الذي كانت مصر في حاجة ماسة
اليه . ولا شك ان هذه الفكرة التي جاء بها كانت راقية جداً
غير ان الشعب لم يكن في ذلك العصر البعيد على استعداد
لقبولها .

فثار عليه الجند لعدم اعتناؤه بهم والكهنة حسداً وانتقاماً لما
فقدت ايديهم من النفوذ والسيادة وانتصاراً للدين القديم واخذ الجميع
يحرضون الشعب على خلع مليكهم فعمت الفوضى واخذ الاضطراب
مأخذه في سائر انحاء القطر المصري . فاستغنم سكان المستعمرات
الفرصة وقاموا يحملون اعلام الثورة على اسيادهم المصريين وكانت

سوريا من جملة من فعل ذلك .

و كثر التعدادات على الامارات السورية من الخارج ومن الداخل فاحد الحكام الذين حافظوا على ولائهم لمصر يكتبون البلاط يستجدونه على الاعداء ويشكون اليه ويلائهم وقد عرفت مكاتباتهم هذه بمراسلات تل العمارنة .

(٦١) مراسلات تل العمارنة . ان هذه الرسائل وجدت مؤخراً في اطلال مدينة اخناتون في تل العمارنة اثر عليها بعض الفلاحين سنة ١٨٨١ ب . م . صدقة منها الان قسم في المعرض البريطاني وقسم في معرض باريس وعددها يزيد على الثلاثمائة وهي منقوشة بالخط المساري البابلي على الواح خزفية كما ذكرنا آنفاً وتمثل اقدم المراسلات الدولية وتمتاز بلهجتها الخاصة التي تدلنا على خضوع السوريين وتذللهم لملكهم . فبينما نرى حكام بابل في العصر نفسه يدعون الملك اخي وصديقي نرى حكام سوريا يدعونه سيدي ومولاي ان خادمكم وغبار ارجلكم وكلبكم يعرض لديكم كذا وكذا

(٦٢) رب عدي بتظلم الي فرعون من ازبرو الاموري وايد عبد الشري . وكتب رب عدي ملك جبيل الي فرعون

قائلاً « الى والدي امنيا ، ولدكم رب عدي ، على اقدام والدي
 اطرح نفسي ايضاً وايضاً توسلت اليكم . اما كان يمكنكم ان
 تنقذوني من يدي عبد الشري ، قبيلة خيبري جمعها انضمت اليه ،
 الامراء لا يصغون الى نصائحي بل اتحدوا معه فاصبح قويا . فاجيتني
 ارسل خادمك الى البلاط وحينئذ اذا لم يكن من مانع ارسله اليك
 ومعه الجيوش الملوكة . وعليه اجبتكم اني لا اتاخر عن ارسال
 الرجل وارجو ان لا يعرف عبد الشري ذلك لان ينهامو
 (رسول البلاط) قد ارتشى حتى انه بأقل اشارة من عبد
 الشري لا يبلغ الرسالة الى صاحبها . قلت لي لا تخف اذ عندما
 تسير مركباً الى « يرموتا » (ميناء في مصر) ارسل اليك مالا
 وملابس . ولكن اخبرك ان الجيوش التي ارسلتها الي لا ذت بالفرار
 لانك اهملتني في حين اني اطعتك . ويلاه !!! ماذا ينجيني وانت
 تغاضى عما يلحق بي من الاهانات الواحدة تلو الاخرى . وليكن
 معلوماً انه اذا لم تنجذني بالجيوش اترك المدينة وانجو بنفسي .

(٦٣) ازبرو برفع النهرمة الموجهة اليه . وعندما علم
 ازبرو بايصال خبره الى الملك كتب قائلاً : - « الى الملك

العظيم! سيدي! الهي! شمسي المنيرة! خادمكم ازيرو سبع مرات وايضاً
سبع مرات يعفر الارض بين اقدامكم! يا سيدي انني خادمكم
بلا جدال ولا اجسر على عرض مالدي الا اذا كنت معفراً
التراب قدام ملكي وسيدي . الرجاء ان لاتصني يا سيدي الى
الاعداء الذين يريدون خفض منزلتي لديكم . اني ابقى خادمكم
الى الابد» .

(٦٤) ازيرو يعتذر عن عدم موافقه بين بدي فرعون .
واخذ رب عدي يرسل المكتوب تلو الآخر الى البلاط المصري
يشكو اليه خيانة ازيرو الاموري وانضمامه الى الحثيين وتخريبه
مدن جلالته فارسل فرعون في طلب ازيرو لينفي عنه هذه التهم ،
وكان هذا داهية دهما فاحتاط الامر واخذ يث العيون
والارصاد لتأتيه بالاخبار كل يوم . وعند ما علم بقدوم الرسول
المصري تعيب وبقي متخفياً الى ان عاد الرسول الى مصر فرجع
الى بلده وكتب الى البلاط معتذراً عن عدم تمكنه من مقابلة
الرسول الملوكي بالرغم عن اسراعه بالرجوع عند ما علم به لانه
كان مشغولاً بمحاربة الحثيين في الشمال وصدهم عن بلاد جلالته .

وكانت كئناته لا تفرغ من الاعذار لنفي التهم الموجهة اليه
 فيقول مثلاً ان لا شيء يسره اكثر من مشاهدة وجه سيده
 الملك والمثول بين يديه لكنه مشغول بدفع خطر الحشيين عن
 اراضي جلالته ولا يريد ان يضيع الفرصة في الذهاب الى مصر .
 اما من جهة تخريبه بعض المدن فلانه لا يريد ان يسلمها عامرة
 للعدو ، وانه مستعد ان يحدد بناءها في وقت قصير . وكتب
 ايضاً يشكور رب عدي ملك جبيل قائلاً انه باعماله التي
 يجريها يعاكس مصلحة البلاط ويرجو ان يعزل ويعين من هو كفوء
 للقيام مكانه في هذه المواقف الحرجة .

فلم يتردد اخناتون عند سماع هذه الاعذار ان يكتب الى
 ازيرو يخبره انها كذب بكذب . لكنه كان محباً للسلام فلم
 يفعل شيئاً لايقاف هذه التعديات في ولاية سوريا بل بقي
 مهتماً بنشر الدين الجديد الامر الذي فسح المجال لسكان
 المستعمرات كي يتمادوا في عصيانهم على البلاط .

(٦٥) الخاتمة في الجنوب . اما حالة سوريا في الجنوب فقد
 كانت لا تقل اضطراباً وقلقاً عما كانت عليه في الشمال فان

قبيلة خبيري التي مرَّ ذكرها عاثت في البلاد فساداً واخذت
 تهول من مكان الى آخر في ارض فلسطين تقلق راحة الاهلين
 وتخرب مدنها وتستولي على املاكهم . فهب فريق من الامراء
 الذين كانوا كرب عدي في اخلاصهم لمصر واخذوا يكتبون
 البلاط ليساعدوهم على الاعداء ويرسلون اليه اولادهم واخوتهم
 وفوداً ليفهموه خطورة الموقف شفياً . وهجر آخرون الى مصر
 مستبشرين بها واخذ الحكم المصري يتقلص تدريجياً عن بلاد
 سوريا الشمالية والجنوبية معا وفرعون مهمم بنشر الدين الجديد .
 (٦٦) عبد فبا حاكم اوروسليم يحذر فرعون من الخطر .
 وكان عبد خبا في الجنوب يلعب دور رب عدي في الشمال .
 وقد وجد في تل العمارنة تسعة مكاتيب بعث بها الى مصر يشكو
 خطورة الموقف ويطلب النجدة من فرعون . وفي احدى هذه
 الرسائل يقول : - « بلاد الملك تدمر ، اذا لم يصغ الي سيدي
 الملك يخسر جميع قواده ولا يكون لسيدي ومليكي قواد بعد .
 لياق سيدي الملك نظره على شعبه ويرسل قواصة فان فعل ذلك
 فجميع الاراضي تبقى تحت حكم جلالته وان لم يفعل فسيدي

الملك يخسر جميع اراضيهِ» .

ويظهر ان عبد خبا كان له معرفة شخصية بكاتب البلاط فكان يختم مكاتيبه بهذه العبارة: - «الى كاتب سيدي الملك - عبد خبا خادمكم - اقرأ هذه الكلمات بوضوح لسيدي الملك ، جميع اراضي سيدي الملك تتلاشى وتضمحل » .

(٦٧) خلاصة مجرى الحوادث بعد موت اخناتون . لم يكن لـ اخناتون اولادٌ ذكرٌ خلفه في الملك صهره الاول ثم صهره الثاني توت عنخ امون الذي اكتشف قبره حديثاً فاعاد هذا الاخير عبادة الاله امون عوضاً عن الاله آتون الذي ادخله حموه وارجع العاصمة الى طيبة فتهدمت الهياكل التي بناها اخناتون في تل العمارنة واطمحل معها الدين الجديد . اما سوريا فقد كانت لا تزال في حالة الفوضى على انه جاء في الآثار المصرية ان بعض مقاطعاتها كانت تؤدي الجزية الى البلاط المصري وان احد خلفاء اخناتون ، ويرجح انه توت عنخ امون ، حارب وقعة في اسيا الغربية فتمكن بواسطتها من اخضاع بعض الثائرين وارغامهم على دفع الجزية . لكن توت عنخ امون لم يبق طويلاً على العرش .

خلفه احد قواد اخناتون وكان صاحب ذكاء وبأس وشدة فسعى في اعادة تنظيم المملكة وسنّ القوانين لمنع تعدي رجال الحكومة على العامة وظلمهم . ولتسهيل القيام باعمال التنظيم الداخلي عقد معاهدة مع ملك الحثيين في شمالي سوريا تعين بواسطتها الحدود بين المملكتين . وقد كانت اصلاحاته هذه التي قام بها حجر الزاوية في البناء الذي استعاده خلفاؤه كما سيلي .

انتعاش الامبراطورية المصرية واستردادها

بعض ما فقدته في سوريا

(٦٨) سبي الاول نخضع فلسطين (١٣١٣ - ١٣١٤ ق. م) .

وانقضى عهد الاضطراب الداخلي في مصر بقيام السلالة التاسعة عشر فانتعشت الامبراطورية على عهدها واستعادت بعض قواها المعنوية . وهب سبي الاول ثاني ملوكها فجهز على سوريا حيث كان امراء القبائل ، فضلاً عن خروجهم على البلاط المصري يذبح واحدهم الاخر طمعاً بالاستيلاء على املاكه وحياً بالسيادة والنفوذ فالتقى بقبائل الشاسو (البدو) في جنوبي فلسطين فحاربهم وبيد شملهم . ثم تقدم شمالاً الى مرج ابن عامر ومنها شرقاً الى جهات

الأردن وبعدها الى حوران حيث نصب رقيماً تذكراً لانتصاراته ثم عاد الى منحدرات لبنان الجنوبية واستولى هناك على مدينة «مطوقة بالاحراش» كانت سابقاً وقفاً لهيكل الاله امون منذ استولى عليها تحوتس الثالث قبل ذلك بمئة وخمسين سنة . فاسرع اذ ذاك الامراء المجاورون في لبنان وطرخوا انفسهم بين اقدام فرعون معلنين خضوعهم وطاعتهم وذلك بعد عصيان طويل دامت مدته خمسين سنة لم يروا في خلالها وجه فرعون آتياً على راس جيوشه لانزال العقوبة بهم كما اعتادوا ان يروا من قبل ذلك .

واستولى ستي على بعض موافي فينيقيا فعاد بذلك المواصلات البحرية بين سوريا ومصر واعد الطريق لاسترجاع الحكم المصري وثبثته في سوريا . وطلب الى الامراء الوطنيين ان يقدموا له خشب الارز ففعلوا، وشحنه الى مصر بجرأ قبل ان يغادر البلاد السورية . وانتشر خبر انتصار الملك في مصر فسارع النبلاء ورجال الحكومة الى لقائه وتجمهروا عند البحيرات المرة بالقرب من قناة السويس وعند ما شاهدوا فرعون عائداً على راس جيشه يسوق امام عربته الامراء السوريين وقد علا

الغبار وجوه الجميع وبانت علامات التعب والعياء على ملائمتهم
تذكروا اجماد ملوكهم الغابرة فتهللوا فرحين ورفعوا اصواتهم
بالهتاف ترحيباً بالملك المنصور .

ولما وصل الموكب الى طيبة أُقيم هناك احتفال آخر تمّ
فيه استعراض الاسرى وتقديم الاسلاب قدام الاله امون كما
كان يحدث في ايام الفتوح على زمن الفراعنة العظام وفي سياق
الحفلة قدم الملك بعض الاسرى ذبايح للآلهة .

(٦٩) بدء العراق بين مصر ودولة الطيبين على امتلاك

سوريا . وبعد ان اقام سني الاول بضع سنين في مصر قضاها
بجارية الليبيين عاد الى سوريا مجدداً قواه ليتم اخضاعها ففسار
بجيوشه في وسط فلسطين ولبنان الى ان بلغ وادي العاصي حيث
التقى بالحثيين فاشتبك معهم في الحرب وابتدأ ذلك العراق
الشديد على امتلاك سوريا الذي دام بينهم وبين مصر زمناً
طويلاً . على ان موقف الحثيين الحربي كان اضعف وقدمهم اثبت
رسوخاً في سوريا لانهم كانوا محتلين البلاد احتلالاً عسكرياً
بينما المصريون كانوا يتكبدون الخسائر الفادحة في نقل الجيوش

من مصر الى سوريا لما بين القطرين من طول المشقة . ولم يكن
ستي يحبل خطورة موقفه وعجز حكومته عن مقاومة الحثيين
واجلائهم عن سوريا . فرضي بعقد صلح معهم كان من نتائجه
ايقاف تقدمهم جنوباً . ثم قفل راجعاً الى مصر بعد ان اخضع
كل بلاد فلسطين قاطبة والساحل الفينيقي الى مصب نهر الليطاني
شمالاً وارغم الناس على دفع الجزية .

(٧٠) رعمسيس الثاني في سوريا . خلف ستي الاول على

عرش الفراعنة ابنه رعمسيس الثاني وكان هذا شديد البأس
خبيراً بالفنون الحربية فحارب الليبيين الذين كانوا لا يزالون
يقلقون الامن على حدود ملكه . وبعد ان قهرهم ووضع حداً
لتعديهم على مصر وجه اهتمامه الى سوريا فجهز عليها في السنة
الرابعة من حكمه (سنة ١٢٨٨ ق . م) وسار بجيوشه على الساحل
الفينيقي الى ان بلغ مصب نهر الكلب حيث نقش على الصخور
الكسبية هناك كتابة بالهيروغليفية لم يبق منها سوى اسمه والتاريخ
الذي جاء فيه وصورة تمثله يقدم شيئاً بيده للاله امون اله مصر
العظيم .

واخضع رعمسيس جميع الموانئ الفينيقية حتى نهر الكلب
وامن المواصلات البحرية بين سوريا ومصر استعداداً للحروب
التي ازمع ان يقوم بها ضد الحثيين . وبني مدينة على مصب نهر
الكلب او قريباً منه جعلها مركزاً حربيّاً يستمد منه العساكر
والذخائر ثم عاد الى مصر ليجهز جيشاً لمحاربة الحثيين .

(٧١) رعمسيس الثاني يحمل على الحثيين . وغادر رعمسيس
الثاني الحدود المصرية في اواخر شهر نيسان في السنة الخامسة من
حكمه (سنة ١٢٨٧ ق . م .) على راس جيش عمر مرم مؤلف
من المصريين والليبيين والمستأجرين من سائر انحاء البحر المتوسط
وقسمه الى اربع فرق سار بها في وسط فلسطين دون ان يصادف
مقاومة . فعسكرت الفرقة الرابعة حول بحيرة بلاد الاموريين
(ربما كانت بحيرة الحولة) وسارت الثلاث الباقية شمالاً الى شبطونا
(ربله) في وادي العاصي حوالى ثمانية اميال الى الجنوب من
قادش حيث عسكرت الثانية والثالثة . وتابعت الفرقة الاولى مسيرها
شمالاً بقيادة فرعون لتستكشف اخبار العدو . وبينما كان فرعون
في طريقه الى قادش جيء اليه باثني من البدو . ولدى استنطاقهما

اخبراه انها هاربان من صفوف الحثيين وان ملك الحثيين تراجع
 بجيوشه شمالاً الى منطقة حلب خوفاً من فرعون ملك مصر
 العظيم ، فلم يتردد في تصديق قولها . ورائت له قادش المهجورة
 كما لو كان في حلم وقد طوقتها عساكره ووضع يده عليها فعبّر النهر
 الى الجهة الغربية بسرعة فائقة واخذ يجد في السير شمالاً ليحقق
 تلك الامة .

وكان الجيش الحثي قد تحصن في الجهة الشمالية الغربية
 من قادش اما متالاه ملك الحثيين ففرح جداً في سلوك الحيلة
 على فرعون وكان غرضه ان لا يقاتل المصريين في الحال فاخذ
 يدور بجيشه حول قادش الى الجهة الشمالية الشرقية مجتهداً في
 جعل المدينة بينه وبين العدو كي لا يراه .

وضرب الجيش المصري بقيادة رعمسيس خيامه شمالي
 قادش واقام الحواجز والعراقل حول مضاربه وكانت الفرقة
 الثانية قد تابعت سيرها شمالاً لتنضم الى فرقة فرعون . وبينما
 الحال كذلك اذا بالكشافه المصرية جاءت الى خيمة رعمسيس
 باثنين من جواسيس الحثيين وبعد ان اوسعها رعمسيس ضرباً

عنيفاً اخبراه ان متالله وجيشه مخبئي خلف المدينة . فايقرن
رعمسيس بالخطر القريب وجمع قواده ووجنهم على عدم تمكنهم من
اكتشاف اخبار العدو واخذ في الحال يستعد للقتال .

(٧٢) معركة قادش . وقبل ان تصل الفرقة الثانية الى
المعسكر المصري باغتها شردمة من الحثيين جنوبي قادش ودخلت
في وسطها ففرقتها . ودب الذعر بين افرادها فولوا هاريين بعد
ان قتل منهم خلق كثير وخسروا اشياء لا تعدد . على ان قسماً
منهم تمكن اخيراً بعد تعب شديد من الوصول الى مضارب
فرعون حيث انتشلهم المصريون من مركباتهم ورفعوهم فوق
الحواجز وادخلوهم الى المعسكر وبينهم اثنان من اولاد رعمسيس .
وكان الجيش الحثي قد اطبق على المصريين وطوقهم كما
يطوق السوار المعصم . فلما علم رعمسيس بذلك ووصلته اخبار
تشتيت الفرقة الثانية ايقن بفشل الخطة ولم يبق امامه الا ان
ينجو بجيشه من مخالب الموت الزوأم . فجمع حاشيته في الحال
وقسما من الجند ممن تيسر له الوصول اليهم وجعلهم ككتلة واحدة
وانقض بهم على صفوف الاسيويين من جهة الشرق انقضاضاً

عنيفاً ومزقهم وشتهم ، فاختلط حابلهم بنابلهم وولوا امانهم
 هارين ورموا بانفسهم في نهر العاصي ليعبروا الى الجهة الشرقية
 حيث كان متالله ومعه ثمانية الآف من المشاة يشاهد انكسارهم
 الفطيع . فرأى بام عينه غرق كاتبه الخاص وحوزيه ورئيس
 حرسه . وكان من جملة الذين نجوا من الغرق ملك حلب انقذه
 جنده بعد ان كاد يفارق الحياة . ولو تنبه الحثيون للامر
 واطبقوا على المصريين مرة ثانية من الجنوب ومن الغرب لكانوا
 اهلكوهم عن بكرة ابيهم . لكنهم هجموا على خيمة رعمسيس
 واعتاضوا عن المحاق به بالاشياء الثمينة التي وجدوها هناك .
 وبينما كانوا لاهين بالسلب والنهب باغتتهم فرقة من الجنود المصرية
 وامعنت فيهم ذبحاً وقتلاً حتى تكرست القتلى تسلاً ، فنجوا
 رعمسيس ومن معه من الهلاك ووصلت اليهم الفرقة الثالثة
 فانقلبت خيبتهم الى نصر مبين واسرع الحثيون الى قادش
 لا تدين بها .

وفي اليوم التالي جاءت رسل الحثيين الى رعمسيس تلتس
 الصلح فرأى رعمسيس ان من الحكمة ان لا يعرض بنفسه لحرب

ثانية طويلة لا يعلم من امر نهايتها شيئاً ففقد معهم هذنة وعاد الى مصر . لكن الحرب بقيت بينه وبينهم سجلاً مدة ست عشرة سنة حتى ملَّ الفريقان في نهايتها كل الملل فابرمأ صلحاً وانقضى النزاع بينهما ولم تتم الغلبة لاحد .

(٧٣) المعاهدة بين رعمسيس والحثيين . وخلف متالده على

العرش اخوه خيتا سار وكان هذا ميالاً الى عقد الصلح مع المصريين فخرت المخابرات بينه وبينهم بخصوص ذلك وفي سنة ١٢٧٢ ق م . ظهرت رسله في الدلتا تحمل الى فرعون صورة من المعاهدة التي جرى الاتفاق عليها منقوشة على لوح من الفضة ومحتومة بخاتمه وخاتم ملكة الحثيين . ولا بد من ان رعمسيس ارسل اليه ايضاً نسخة مثلاً ليحفظها عنده . وهي تبتدي بوصف العلاقات بين البلاط المصري واجداد خيتا سار ثم تبين رغبة ملك الحثيين في توطيد اركان السلام بينه وبين ملك مصر ثم تعدد البنود التي يجب على الملكين مراعاتها واليك اهمها .

(١) اذا وقعت حرب بين احد المتعاهدين ودولة اخرى

او ثار عليه افراد رعيته يجب على الثاني ان يحضر بنفسه على راس

جيش للمساعدة وان تعذر عليه ذلك يرسل جيشاً بقيادة احد رجاله الذين يعتمد عليهم .

(٢) لا يقدم احد الملوك المتعاهدين على توسيع نطاق ملكه على نفقة الآخر .

(٣) يجب على كل من المتعاهدين ان يسلم المجرمين المتجئين في بلاده الى الآخر الا في بعض احوال خصوصية .

(٤) جميع المعاهدات التي جرى الاتفاق عليها قبل ذلك بين ملوك الحثيين والفراعنة تبقى معمولاً بها .

اما مسألة الحدود بين المملكتين فلم تنص المعاهدة عنها شيئاً . لكن ربما كانت بحسب احدى المعاهدات التي سبقت . وقد بقيت بنود هذه المعاهدة متبعة مدة طويلة ، وعاش الامتان بسلام تام طيلة ايام رعمسيس الى سنة ١٢٢٥ ق م . وما بعد موته ايضاً .

وتزوج رعمسيس في السنة الرابعة والثلاثين من حكمه اي سنة ١٢٥٨ ق م . ابنة ملك الحثيين واحتفل بزواجه احتفالاً عظيماً فقدم ملك الحثيين بنفسه الى مصر بزيارة رسمية

ومعه حاشيته ورجاله وحضر عرس ابنته وكان لزيارته معنى
عظيم لان الملوك في العصور القديمة قلما كان يفتكروا احدهم
بزيارة الآخر .

(٧٤) هالة سوريا العمومية في ايام رعمسيس الثاني .
وعاش السوريون بعد ابرام المعاهدة بين مصر والحثيين في
سلام تام وكانوا يقدون الى مصر بالمئات قصد الارتراف .
فمنهم من اشتغل في التجارة ومنهم من انخرط في سلك الجندية
ونال المناصب العالية . ومع ان حروب رعمسيس في سوريا لم
ترجع لمصر هيبتها في قلوب السوريين فاننا نجد سائر سكان
فلسطين وبعض سكان الشمال يدفعون الجزية لمصر كما
كانوا سابقا .

ولدينا قصة حصلت حوادثها على عهد رعمسيس الثاني عن ساحل
مصري طاف في سوريا ، مكتوبة على ورق البردي يصف بها
هذا الساحل مغامراته في سوريا . وهي تبين لنا ان سوريا كانت
آنذاك في نظر المصريين بلاد الغرائب والعجائب وان التجول في
ارجائها والتعرف بسكانها وبعوادئهم من الامور التي تستحق الافتخار

والمباهاة . فيقول انه قدم بلاد الحثيين حيث الظلام يحجب وجه السماء في منتصف النهار واشجار السديان والارز الباسقة تكسو وجه الارض وتكثر فيها الاسود والديبة واللصوص وقطاعو الطرق . ويقول انه افاق في احدى الليالي عند منتصف الليل فوجد جميع حوائجه مسروقة ووجد ان الدليل لحق باللصوص خشية اللوم والتأنيب . وقد كان غرام السواح في ذلك العصر الاكثار من ذكر اسماء المدن التي يرون بها فيقول صاحبنا انه مر في جبيل وبيروت وصيدا وسر بتا وصور . ويذكر عن الاخيرة انها في البحر وينقلون اليها مياه الشرب بالقوارب والسّمك فيها اكثر من الرمال . ثم يقول انه عرج بطريقه من هناك على الادغال الكثيفة حيث تربض الاشبال الشرسة . ثم يشكو من وعورة المسالك والاخاديد التي مرّ بها فيقول انها ملائنة بالصخور ومحاطة بالغابات الغضة ومنظرها مخيف للغاية حتى انه لما اصبح في وسطها اعتراه الوجل فقفّ شعره وخارت عزائمه فلم يجسر ان يتقدم ولم يجسر ان يتأخر .

ثم يأتي الى يافا حيث الجنائن الجميلة وفيها الاشجار المثمرة من

كل نوع . اما الفتاة التي تقوم بحراسة الكرم فهي جملة للغاية
وتسحر بنظراتها الالباب » .

ويختتم وصف سفرته بطريقة مضحكة فيقول ان سيفه سرق
وكائنه تلفت ودرعه تخرب وخيله هربت وعربته تحطمت
فانتهى من سياحته وعاد الى مصر بالسلامة .

انحطاط الحكم المصري في سوريا وزواله عنها

(٧٥) مجرى الحوادث في عهد خلفاء رعمسيس الثاني .

وانتهى خلفاء رعمسيس الثاني في صد القبائل النازحة من
شمالى البحر المتوسط عن بلادهم واملاكهم . فخار بها رعمسيس
الثالث على الساحل السوري برأوى مجرأ وقتل منها خلقاً كثيراً واقفها
عن مهاجمة الدلتا والنزول فيها . لكنه لم يقدر ان يمنعها عن استيطان
فلسطين وساحل سوريا فنزل منها القبائل الفلسطينية في سوريا
الجنوبية فاطلق اسمها على سائر تلك المقاطعة . وكانت خطة الفراعنة
دفاعية لاهجومية ، فارتضوا بمابقي لهم ولم يهتموا بعد ذلك
باسترجاع ما كان لهم في آسيا الغربية لان عوامل الفساد كانت
قد تسربت الى دولتهم فاخذت تضعف وتنحل خارجياً وداخلياً .

وخفت هيبة الفراعنة من قلوب سكان المستعمرات كثيراً وانخفضت منزلتهم حتى ان امير جبيل حجر على وفد من الرسل المصرية ما بين سنة ١١٤٢ وسنة ١١٢٣ ق م . مدة سبع عشرة سنة . واخيراً ماتوا ودُفِنوا هناك .

اما العلاقات التجارية بين سوريا ومصر فازدادت كثيراً لان التجار الفينيقيين كانوا قد عدلوا عن تدوين حساباتهم على الواح الخرف واخذوا يستوردون ورق البردي من مصر ويوردون الى هناك بضائعهم ومصنوعاتهم وازداد عدد الرقيق السوري في مصر زيادة كبيرة حتى ان معظم خدم رعمسيس الثالث وحشمه كانوا من السوريين .

والآن نضرب صفحاً عن الحوادث السياسية ونعود بالبحث الى قصة رسول من رسل الفراعنة على عهد رعمسيس الثاني عشر وما حدث له اثناء قيامه بمأموريته في سوريا .

(٧٦) و ن آمون في طريقه الى جبيل . ووافد رئيس الكهنة في هيكل الاله امون في طيبة رسولاً الى مدينة جبيل زوده بكميات قليلة من الفضة والذهب كي يشتري له خشباً لبناء

زورق آمون المقدس . واراد ان يؤم ملك جبيل ويؤثر على عقله بواسطة الدين فارسل اليه صورة آمون الذي « يهب الحياة والصحة » . وبعث مع الرسول ايضاً كتب توصية الى حاكم الدلتا ليسهل سفره . فاقلع الرسول ون آمون من الدلتا في مركب كان متوجهاً الى سوريا . وبعد مسير بضعة ايام رسا المركب في ميناء مدينة دور قريباً من جبل الكرمل حيث تسكن قبائل الزكالة فنزل ون آمون ضيفاً على رئيس هذه القبائل فاكرم وفادته وقدم له كميات وافرة من الخبز والخمر ولحم البقر .

ونهض ون آمون في اليوم الثاني فوجد امواله مسروقة من المركب فاسرع الى بدر رئيس قبائل الزكالة وشكا اليه امره فوعده بدر بالتفتيش عن السارق لكنه لم يضمن له ارجاع المبالغ لان السارق لم يكن من رجاله .

ومكث ون آمون مدة تسعة ايام في انتظار الخبر وبعد ان يس غادر المدينة قاصداً صور ومنها توجه شمالاً الى جبيل . وبينما هو في الطريق ابصر مركباً من اراكب الزكالة ففتشه واخذ منه كمية من الفضة رهناً ليسترجع ما سرق منه في دور .

(٧٧) ون آمون في جبيل . واخيراً رسا المركب في ميناء جبيل فنزل ون آمون الى البرّ وخبأ هناك في الرمل صورة الاله آمون مع ما كان لديه من الفضة وامر بارجاع المركب الى مصر لانه لم يكن صالحاً لنقل الخشب . لكنه حالما فعل ذلك تلقى خطاباً من ملك جبيل يامره فيه ان يغادر المدينة . (ولا نعلم ماذا كان جواب ون آمون على ذلك لان الكتابة مقطوعة في هذا المكان) . واقام مدة في جبيل يتلقى كل يوم من ملكها امراً يامره فيه ان يبرح المكان . على انه اخيراً قام احد اتباع ملك جبيل مدعياً النبوة ونصح للملك ان يستقبل ون آمون ويكرمه ثم يصرفه فرضي الملك بذلك وطلب ون آمون في اليوم الثاني لمقابلته .

(٧٨) ون آمون في حضرة ملك جبيل . ودخل ون آمون على ملك جبيل فوجده « متكئاً على احدى النوافذ وامواج البحر العظيم تتلاطم على الشاطئ الكائن خلف قصره » فياه بقوله « يا لطف الاله آمون » . ثم اخذ ملك جبيل يساله عن الشهادات وكتب التوصية التي يحملها معه من رئيس كهنة هيكل آمون .

ولما علم بأنه تركها عند حاكم الدلتا غضب كثيراً وعهد ذلك
امتهاناً لشخصيته وتحقيراً لمقامه . ثم سال ون آمون عن حاجته
فاخبره انه آتٍ لاختذ الخشب . وذكر له القيمة التي استحضرها
ليدفع ثمن ذلك فاستقلها الملك واستشاط غيظاً . ثم عمد الى
سجلاته القديمة واخذ يبين لون آمون بواسطتها ان الكميات التي
كان يرسلها الفراعنة لاجل ذلك هي اضعاف ما يحمله اليه في هذه
المرة . فاعتذر الرسول بقوله ان الاله آمون الذي ارسله قادر
ان يعوض عن الخسارة المادية « باعطاء الحياة والعافية » .

(٧٩) **نحضر الحطب** . واخيراً ارسل ون آمون الى مصر

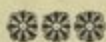
يطلب اموالاً وكتب توصية . فلم يمض اسبوعان حتى عادت
المراكب الجبيلية تحمل معها ثمانية مثاقيل من الذهب واربعة قطع
من الآنية الفضية وعشرة اثواب كتان وخمسمئة لفة من ورق
البردي وخمسمئة جلد ثور وخمسمئة جبل وخمسمئة كيس عدس
وكمية كبيرة من السمك . فسرَّ ملك جبيل بذلك كثيراً وامر
للحال بتشغيل ثلاثمئة عامل وثلاثمئة ثور في قطع الخشب واعداده
للشحن الى مصر .

وفي احد الايام بينما ملك جبيل وون آمون يطوفان بين الفعلة اراد الملك ان يعرج على قبور الرسل المصريين ليرىها لـون آمون ويبين له عجز الحكومة المصرية عن حفظ هيبتها وتنفيذ اوامرها في سوريا وان ما فعله هذه المرة من قبول كمية زهيدة لقاء الخشب الذي يهتم بتحضيره هو كرم اخلاق منه ليس الا . فاعتذر الرسول بلطف ولم يطاوع الملك في رغبته .

(٨٠) وون آمون في قبرص . وبعد ان تم قطع الخشب تهباً وون آمون للسفر الى مصر . لكنه شعر بقدم مراكب الزكالة وعلم بعزمها على القبض عليه فرفع امره الى ملك جبيل فوعده الملك خيراً وارسل اليه كبشاً وكمية من الخمر ومغنية مصرية ليتسلى عن همومه . وفي اليوم التالي قابل الملك رجال الزكالة وطلب اليهم ان يتركوا وون آمون وشانه فاجابوا طلبه . عندها اقلع وون آمون متوجهاً الى مصر غير ان ريحاً معاكسة قذفت به الى ساحل قبرص حيث قبض عليه سكان الجزيرة وهددوه بالقتل ثم جروه الى ملكتهم وكان لا يعرف لغة البلاد يخاف كثيراً . على انه توفق اخيراً الى رجل يتكلم اللسان المصري

حكى قصته للملكة ثم توسل اليها لتعف عن حياته ففعلت واد
الى مصر وكتب لنا هذه القصة على ورق البردي وهي تمثل
انحطاط النفوذ المصري في سوريا بعد موت رعمسيس الثالث
بنصف قرن .

وما زال ذلك النفوذ يتأخر شيئاً فشيئاً حتى اصبح الحكم
المصري في سوريا اسماً لا فعلياً وتأسست على انقاضه دويلات
صغيرة مستقلة سيأتي الكلام عنها في الفصول الآتية .



اسئلة

من هم الحثيون ؟ اين انشأوا ملكهم ؟ ما هي علاقتهم بسوريا ؟ اذكر القبائل القفرية التي قدمت الى سوريا في زمن سيادة مصر عليها . ماذا احدثت في البلاد السورية ؟ ماذا كان موقف الفراعنة تجاه هذا الحدث ؟ ماذا تعرف عن الانقلاب الديني في زمن اخناتون ؟ ماذا كان تأثيره في سوريا ؟ ماذا تعني براسلات تل العارنة ؟ ما هي اهميتها التاريخية ؟ صف الروح التي كانت تتجلى فيها . ماذا نستدل منها عن حكم مصر في سوريا في ذلك العهد ؟ اذكر خلاصة مجرى الحوادث بعد موت اخناتون .

ما هي اعمال سبي الاول في سوريا ؟ اذكر ما تعرفه عن حروب رعمسيس الثاني مع الحثيين . ما هي شروط المعاهدة التي عقدها معهم ؟ ما هي اهميتها التاريخية ؟ كيف كانت حالة سوريا على زمن رعمسيس الثاني ؟ ماذا تستنتج عن احوال سوريا من قصة السائح المصري على عهد رعمسيس الثاني ؟

اذكر قصة ون آمون . ماذا تستدل منها عن النفوذ المصري في سوريا ؟

الفصل السادس

زمن ازدهار المدن الفينيقية

منشأ الفينيقيين واستيطانهم الساحل السوري
ووصف بعض مدنتهم وعاداتهم

(٨١) فروم الفينيقيين الى ساحل سوريا . لقد ورد سابقاً ان الموجات السامية يمتد القطر السوري ليس من الجنوب فقط بل من الشرق ايضاً وان قبائل عديدة بعد ان توطنت بلاد بابل وشواطيء خليج العجم لم يطب لها المقام هناك فزحفت عبر الصحراء وبعد ان تجولت في الطرف الغربي من الهلال المخصب استقرت في سهوله الخصبه و بين جباله الشاهقة .

ولدى البحث يترجح لدينا ان الفينيقيين هم من جملة الشعوب التي اتبعت هذه الخطة . فقد كانوا يسكنون اولاً على شواطيء خليج العجم حيث اتسع لهم المجال لممارسة الملاحة والتجارة . ولا بد ان تيار المهاجرة الذي قذف بسواهم من الشعوب

الى سوريا جاء بهم ايضاً فتوجهوا اليها حوالى القرن الثامن
والعشرين قبل المسيح ، وذلك من باب الترجيح ، فزلوا على
ساحل البحر المتوسط الممتد من جزيرة ارواد شمالاً الى جبل
الكرمل جنوباً .

(٨٢) بلاد فينيقيا ونائبها الجغرافي في تاريخ شعربها .
وكانت هذه المنطقة الضيقة من البلاد لا تكفي لاعاشتهم . ووجدوا
انفسهم محصورين من الشرق بسلسلة جبال تقف بينهم وبين
السهول الداخلة فاضطروا الى اتخاذ البحر وجهتهم طلباً للرزق
وسعيّاً وراء المعيشة فحاضوا البحار وذللوها بعد ان كانت عصية
وفتحوا اسواقاً لتجارهم على جميع شواطئ البحر المتوسط كما سيجي
معنا . وتوغلوا في الاوقيانوس الانلنتيكي الى بلاد الانكليز شمالاً
والى خليج غينا على ساحل افريقيا الغربي جنوباً . واتخذ الفينيقيون
مراكز لبناء مدنهم الجزر كجزيرتي ارواد وصور والروّوس
الداخلة في البحر كراس بيروت وراس عكا وراس حيفا فانشر
على الساحل عدد من المدن كل واحدة وارباضها توءلف مملكة
صغيرة مستقلة عن رفيقاتها . ذلك لان الاتحاد متعسر لما يحول

دونه من الموانع الجغرافية . فكانت هذه المدن لا تتحد الا وقت الضيق عندما يهاجمها عدوٌ خارجي فتتضمُّ تحت سيادة اكثرها سبقاً وتقدماً . فاذا كان العدو ضعيفاً تحاربه وتامن شره واذا كان شديداً الباس قوياً تاتيه عن طريق اللين والخضوع فتدفع له الجزية وتخلص من الحرب فيستأنف صاحب العمل عمله والتاجر تجارته .

(٨٣) صفات الفينيقيين . يرجع الفينيقي باصله الى الشعوب السامية وليس بغريب عنها كما زعم بعض المؤرخين فهو نسيب العبراني والكنعاني والبابلي والاشوري والعربي يتكلم لغة هي شقيقة للغاتهم ويتصف باخلاق وعادات هي شبيهة في الغالب باخلاقهم وعاداتهم وهو على وجه الاجمال معتدل الطول ، ممتليء الجسم ، عريض الانف معكوفه ، ضخمة الشفتين ، بارز الذقن ، كثيف الشعر ، ابن العريكة ، صلب الارادة ، كثير الاحلام ، قوي العزيمة ، مثابر ، كنوم ، جلود في الاعمال الشاقة ، مهال الى الخيال ، متدين جداً ، التدين ، شديد الاعتقاد بالله ، قدير على مخالطة الناس على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ، لا يميل الى الاختراع

لكنه مبدعٌ في تحسين المخترعات ايما ابداع . وبكلمة واحدة كان للفينيقي مميزات جمة اهله ان يكون صاحب الفضل في حفظ اشياء كثيرة من مدينة الاقدمين وتحسينها ونشرها في سائر انحاء العالم الغربي كحروف الهجاء وصناعة السفن والاواني الفضية والذهبية والصباغة والزجاج وغيرها . والان قبل ان نصف كل صناعة على حدة ننتقل بالبحث الى ذكر شيء من اخبار اشهر المدن الفينيقية .

(٨٤) مدينة صور . تقع مدينة صور في الجنوب من مصب نهر الليطاني وقد كانت من اشهر المدن الفينيقية واكثرها منعة وتحصيناً . وكانت تتألف من مدينتين الاولى قائمة على البر وتعرف بالمدينة البرية او صور القديمة وفيها المزارع والبساتين ، وكانت تمتد من نبع راس العين جنوباً الى مصب نهر الليطاني شمالاً . والثانية قائمة على جزيرة مقابل المدينة البرية وتعرف بالمدينة البحرية . وكان لمدينة صور مرفأان المرفأ الصيداوي الى الشمال والمرفأ المصري الى الجنوب وكانت تربطهما ترعة يبلغ عرضها في اضيق مكان نصف ميل . وهي توأم من سائر السفن بين المرفأين وخصوصاً

عند اشتداد الحصار على المدينة . (وقد بنى فيها الاسكندر سداً ووصل المدينتين معا (فقرة ١٦٩) . وكانت المدينة البحرية مسورة يبلغ علو سورها من البرمئة وخمسين قدماً كما جاء في التواريخ اليونانية على زمن الاسكندر الكبير . وكان في اعلى السور شرفات كبيرة لتحصن فيها العساكر عند اندفاع عن المدينة وكانت مياه المدينة مجرورة من نبع رأس العين الى المدينة البرية ومن هناك كانوا ينقلونها بالقوارب الى المدينة البحرية . اما البيوت فقد كانت تتألف من عدة طبقات لتتخللها البساتين والحدائق ويظلها الكرم والزيتون فوصفها حزقيال النبي (٣ : ٢٧) « بالمدينة الكاملة الجمال » وقال عنها يشوع (١٩ : ٢٩) « المدينة المحصنة » . والحق يقال ان صور كانت من اجمل المدن الفينيقية واحصنها ، فنالت ثقة الممالك الفينيقية جميعها وترأستها في الحروب مراراً عديدة وعليه يمكننا ان نعتبرها عاصمة فينيقيا معنوياً .

(٨٥) مدينه صيدا . تقوم مدينة صيدا على هضبة صغيرة داخله في البحر وتبعد عشرين ميلاً الى الشمال من صور وهي اقدم المدن الفينيقية . وقد كانت في باديء امرها مزرعة صغيرة

يعيش سكانها من صيد السمك . وكان قريباً من البر وموازياً للشاطئ على ساحل المدينة ثلاثة اربعة من الصخور الكلسية ذات منافذ عديدة حولها الفن الفينيقي الى مرفأ هادي . فزادت تجارتها وازدهرت ومع ان مركزها التجاري والحربي لا يساعدانها على مزاجمة مدينة صور فقد اشتهرت صناعتها وتجارها وعلا شأنها حتى انها في مدة قصيرة تفوقت على سائر المدن الفينيقية وقبضت على زمام القيادة وقد كانت زمن نفوذها السياسي في الحقبة التي سبقت القرن الثالث عشر قبل المسيح .

وبعد ان حاصرها الفلسطينيون مراراً عديدة ونكبوها بين سنة ١٢٥٠ وسنة ١٢٠٠ ق م . خلفتها شقيقتها وجارتها صور في التجارة والسياسة .

(٨٦) مربة ميبيل . لقد كانت جبيل في طليعة المدن التي سكنها الفينيقيون الاولون وقد تالفت فيها حكومة مستقلة عن حكومتي صيدا وصور (٧٤٥ - ٦٦٠ ق م) . حاربت حروباً عديدة وورد اسمها اكثر من مرة في الكتابات الاشورية وقد قرأنا عنها في مراسلات تل العمارنة وعن ملكها رب عدي

الذي ذهب ضحية اخلاصه للفراعنة . (فقرة ٢٢) وكانت جبيل
مرکزاً دينياً حيث كانت تقام حفلات الاعياد والمواسم للاله
ادونيس وهي قائمة على تلٍ صغير بجانب البحر شمالي نهر الكلب .
وقد برع اهلها كثيراً بقطع الحجارة الكبيرة ونحتها وتريعها
(الملوك الاول ٥ : ١٨) واستخدمهم الصوريون قلايين
ليزفوا لهم مراكبهم (حزقيال ٢٧ : ٩) .

(٨٧) مدينة ارواد . ان مدينة ارواد تشابه مدينة صور
في مركزها الطبيعي فهي مؤلفة من مدينتين برية وبحرية فالبرية مدينة
زراعية فيها مياه غزيرة وبساتين جمّة واما البحرية فهي تقوم في
البحر على جزيرة صخرية يبلغ طولها حوالي ٣٤٠٠٠ قدم وتبعد
عن البر ثلاثة اميال وهي لا تزال كذلك الى يومنا الحاضر .
وكان اهلها يعتمدون على مياه الامطار يجمعونها في الابار وعلى
الينابيع المالحة التي يسحبونها بانابيب الجلد من قاع البحر الى
احواض خشبية عائمة على سطح المياه . اما بيوتها فقد كانت
كبيوت صور مؤلفة من عدة طبقات لكنها مزدهمة وملصقة
بعضها ببعض .

وقد كان من المدن الفينيقية غير ما ذكرناه عكا، وبيروت،
وطرابلس، واللاذقية التي اشتهرت بعد زمن ازدهار التمدن
الفينيقي .

صناعات الفينيقين وفنونهم وتجاراتهم

(٨٨) الصباغة في صور . اشتهر الصوريون كثيراً في الصباغة
على اختلاف انواعها والوانها وخصوصاً اللون الارجواني الذي
اتخذهُ الملوك شعاراً لهم في ملبوسهم . واصبحت كلمة « ارجواني »
مرادفة لكلمة ملوكي . وقد كانت معامل الصباغة منتشرة في
احياء المدينة بكثرة حتى اصبحت صور مدينة عمل لامدينة سكن .
وكان الصباغون يستخرجون مادة الصبغ من اسماك صدفة
يصيدونها من الشواطىء الصخرية الممتدة بين حيفا وصور . اما
كيفية اكتشاف هذه المادة واستعمالها في الصباغة فقد جاء في
الاقاويل الفينيقية ان هرقل اله صور الخاص كان يوماً من الايام
يتمشى على الساحل السوري ومعه حورية نعيم بحبها . وكان
يرفقتها كلب صغير ، فعثر الكلب على صدفة بين الصخور واكلها
فاصطبغت شفتاه بلون احمر قان . ولما رآته الحورية اعجبها جداً

وطلبت الى هرقل ان ياتيها بثوب من اللون ذاته او تضطرَّ ان ترفض حبه . فجد هرقل في البحث عن الامر ثم جمع كمية من تلك الاصداف واستخرج منها العصير وصبغ ثوباً لحبيته .

وقد كان الصيادون يصيدون هذه الاصداف في اواخر الشتاء او باكراً في الربيع قبل فصل وضع البيض . فكانوا يضعون الطعم في قفف يربطونها بالجمال ويدلونها الى قاع البحر . وكانت هذه القفف مصنوعة بطريقة يسهل على الحيوان الدخول اليها لكنه لا يقدر على الخروج منها . وبعد ان يجمعه على هذه الطريقة يستخرجون منه مادة الصبغ وهو حي اذ ان لونها يفسد عند موته . وهي موجودة في وريد لولبي يمتد من راس الحيوان الى اسفل . وكان يوجد نوع آخر من الاصداف لا يكبر حجمها كثيراً . فهذه يسحقونها سحقاً ويستخرجون منها العصير بطريقة مخصوصة .

وقد كان الصوريون محافظين على اسرار هذه الصنعة لا يفشونها الى احد ، منها استعمال المشتات وتعريض الافة المصبوغة الى النور في مدات معينة وفي اوقات مخصوصة . وقد

جرب كثير من ان يقلدوا صناعة الصبغ الصورية لكنهم
 قصروا عن مجاراتها وبقيت مدينة صور المحلية في هذا المضار .
 وقد جاء في التواريخ ان الارجوان السوري كان من جملة انواع
 الكماليات التي اعتاد تجار البندقية ان يحملوها معهم من بلاد
 الشرق الى الغرب في ايام شارلمان حوالي سنة ٨٠٠ ب . م .
 (٨٩) صناعة الزجاج في صيدا . وكما ان صور اشتهرت
 بالصباغة على اختلاف انواعها هكذا اشتهرت صيدا بصنع الزجاج
 وتلويحه . ومع ان الزجاج كان معروفاً في مصر قبل ان يتوطن
 الفينيقيون الساحل السوري فان اكتشافه في فينيقيا جرى مستقلاً
 عن مصر وغيرهما من البلدان التي كان يصنع فيها الزجاج . وذلك
 ان تجاراً كانوا يحملون معهم رماد الصودا او القلي نزلوا على الرمال
 القريبة من صيدا وارادوا ان يوقدوا ناراً لطبخ طعامهم فلم يجدوا
 حجارة ليصنعوا منها جوانب الموقد فاستعاضوا عنها بقطع من
 القلي . ولما شبت النار وارتفعت درجة الحرارة ذاب قليل من
 القلي واختلط مع المادة الصوانية (سيليكون) الموجودة في
 الرمل فتكون قطع زجاجية براقه اعجبهم . فاخذوا من ذلك

الحين يهتمون بصناعة الزجاج . ومع رجاحة هذه القصة وقربها من المعقول فانه لا يمكننا ان نعتبرها حقيقة تاريخية .

وقد كان الصيدونيون يستوردون رماد الصودا لصنع الزجاج من مصر . ولم يكن في بلادهم سوى الرمال الصافية الخالية من كل غش . واشتهروا كثيراً في هذه الصناعة وتفننوا في عمل الآنية الزجاجية من خرز وفناجين وكؤوس وقناني واساطين فارغة وملائة يستعملونها للزينة في البيوت والهاكل . واهم من كل ذلك المرايا التي كانوا يصنعونها من الواح الزجاج المصقفة بصفائح من المعدن . وقد انتشرت مصنوعاتهم الزجاجية في جميع انحاء البحر المتوسط وفي سائر البلدان التي كانت تؤمها مراكزهم وتجارهم .

(٩٠) صناعة الجبانة . وقد اشتهر الفينيقيون ايضاً بصنع المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية ، وكان تجار الفرس يأتونهم بمواد الحرير الاولى فيصبغونها في مصابغهم ثم ينسجونها على انوالهم فياخذها تجارهم الى سائر الجهات . وكانت بضائعهم مشهورة جداً ليس لدقة صنعها او تفوقها على غيرها من البضائع في المتانة

انما لجودة الوانها وزر كشتها وتخريمها وتطريزها . وكانت صيدا
المجلىة بين المدن الفينيقية في هذا المضمار فاشتهرت منسوجاتها
الفاخرة عند اهل التنعم والرخاء .

(٩١) سليمان الملك بطلب الصناع الفينيقين الى اورشليم .
وكان حيرام ملك صور صديقاً لداود الملك حاكم اورشليم فاهدى
اليه خشب الارز ليبنى له بيتاً وارسل اليه مهرة الصناع الصوريين
ليساعدوه في ذلك . وخلف داود ابنه سليمان فكتب الى
حيرام قائلاً « كما فعلت مع داود ابي اذ ارسلت له ارزاً ليبنى له
بيتاً يسكن فيه فها نذا ابني بيتاً لاسم الرب الهى لاقدسه له
ولاوقد امامه بخوراً عطراً الخ . فالان ارسل لي رجلاً
حكيماً في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والارجوان
والقرمز والاسمانجوني ماهراً في النقش مع الحكماء الذين عندي
في يهوذا واورشليم الذين اعدتهم داود ابي . وارسل لي خشب
ارز وسرو وصندل من لبنان لاني اعلم ان عبيدك ماهرون في
قطع خشب لبنان وهوذا عبيدي مع عبيدك ليعدوا لي خشباً
بكثرة لان البيت الذي ابنه عظيم وعجيب وهاء نذا اعطي لقاطعي

الخشب عشرين الف كره من الخنطة طعاماً لعبيدك وعشرين
الف كره شعير وعشرين الف بث خم وعشرين الف بث
زيت» (اخبار الايام الثاني ۲ : ۳ - ۱۰)

(۹۲) مبرام ملك صور برسل الصناع والنحسب الى سليمان .
« فقال حورام ملك صور بكتابة ارسلها الى سليمان لان الرب
قد احب شعبه جعلك عليهم ملكاً . وقال حورام مبارك الرب
اله اسرائيل الذي صنع السماء والارض الذي اعطى داود الملك
ابناً حكيماً صاحب معرفة وفهم الذي يبنى بيتاً للرب وبيتاً لملكه .
والان ارسلت رجلاً حكيماً صاحب فهم حورام ابي ابن امرأة
من بنات دان وابوه رجل صوري ، ماهر في صناعة الذهب
والفضة والنحاس والحديد والحجارة والخشب والارجوان
والاسمانجوني والكتان والقرمز ونقش كل نوع من النقش
واختراع كل اختراع يلقى عليه مع حكمائك وحكماي داود ابيك .
والآن الخنطة والشعير والزيت والخمر التي ذكرها سيدي
فليس لها لعبيده . ونحن نقطع خشباً من لبنان حسب كل احتياجك
ونأتي به اليك ارماتاً على البحر الى يافا وانت تصعده الى اوروشليم . »

« وعدَّ سليمان جميع الرجال الاجنبيين الذين في ارض اسرائيل بعد العد الذي عدَّهم اياه داود فكانوا مئة وثلاثة وخمسين الفا وست مئة . فجعل منهم سبعين الف حامل وثمانين الف قطاع على الجبل وثلاثة الاف وست مئة وكلاء لتشغيل الشعب » .
(اخبار الايام الثاني ١١ : ٢ - ١٨)

(٩٣) اشغال الفينيقين في هيكل سليمان . وقام حيرام الفنان باعمال في هيكل سليمان لم يسبق لها مثيل حتى انها كانت تعد من معجزات الفن القديم فاشرف على بناء الهيكل وتزيينه بالنقوش المتنوعة . واشتغل بمساعدة الصناع الفينيقين بحراً مسبوكة من النحاس ليغتسل فيه الكهنة قطره خمسة عشر قدماً مرتكزاً في وسط الهيكل على اثني عشر ثور من النحاس كل ثلاثة منها متجهة الى جهة من الجهات الاربع وجميع اعجازها الى الداخل . « وعمل حيرام عمودين من نحاس طول العمود الواحد ثمانية عشر ذراعاً وخط اثنتا عشر ذراعاً يحيط بالعمود الآخر وعمل تاجين ليضعهما على راسي العمودين من نحاس مسبوكة طول التاج الواحد خمسة اذرع وطول التاج الاخر خمسة اذرع وعمل للعمودين صفيين من الرمان في مستديرهما

على الشبكة الواحدة لتغطية التاج الذي على راس العمود وهكذا
عمل للتاج الآخر ٠٠٠ واقف العمودين في رواق الهيكل فاوقف
العمود الايمن ودعا اسمه يا كين ثم واقف العمود الايسر ودعا اسمه
بوعز ٠ (الملوك الاول ٧ : ١٥ - ٢٢)

« وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب المذبح من ذهب
والمائدة التي عليها خبز الوجوه من ذهب والمنائر خمساً عن اليمين
وخمساً عن اليسار امام المحراب من ذهب خالص والازهار
والسرج والملاقط من ذهب والطسوس والمقاص والمنافخ والصحون
والمجامر من ذهب خالص ٠ والوُصل لمصاريع البيت الداخلي
اي لقدس الاقداس ولا بواب البيت اي الهيكل من ذهب واكمل
جميع العمل الذي عمله سليمان لبيت الرب ٠ (الملوك الاول
٧ : ٤٨ - ٥١)

وتمَّ صنع جميع هذه الاشياء على يد حيزام الفنان الصوري
ومهرة الصناع الفينيقيين ٠

(٩٤) صنع الحلبي وادوات الزينة ٠ وبرع الفينيقيون
ايضاً في صنع الحلبي وادوات التزين والتظرف من كؤوس

وعقود ، واطواق ، وخواتم ، وشماعد ، وثريات ، وغارق ، وموائد
مرصعة بالحجارة الكريمة ، وكراس ، وتمائيل ملوك وآلهة مصنوعة
من الذهب والفضة والرخام ، وحلي شتى من العاج والياقوت
والزمرد وغيرها من الادوات التي تستعمل في فرش البيوت
وتزيينها . وقد ذكر هومر الشاعر اليوناني عن الحلي الفينيقية انها
« اجمل ما في العالم » وقد كانت هذه المصنوعات رائجة جداً بين
الشعوب المتعدنة وخصوصاً بين الطبقات الراقية من الامم المختلفة .
فكان احدهم اذا اراد ان يزين بيته لا يجد انفر واجمل من المفروشات
الفينيقية وكانت اجمل الجوائز واثمن الهدايا والتقدمات للهيكل
من صنع معامل صيدا وصور . واقتبس الفينيقيون كثيراً في هذا
الفن من جيرانهم المصريين والبابليين لكنهم فاقوا معلمهم في
تحسينها والابداع فيها . وكانوا يستوردون المعادن وخصوصاً الذهب
والفضة والنحاس والحديد الى معاملهم من انحاء مختلفة كقبرص
وبلاد اليونان وصقلية وفرنسا واسبانيا والجزر البريطانية وغيرها .
(٩٥) فمن استقرايج المعادن . وقد ذكر لنا رجل يوناني
صوري ساح في القرن الثاني للميلاد عن المناجم الاسبانية التي

كانت حينئذ تحت سيطرة الرومان ، وكيفية استخراج المعادن .
ولا شك في ان الطريقة الرومانية في استخراج المعادن لم تختلف
كثيراً عن الطريقة الفينيقية لان الرومان اخذوا هذه الصناعة عن
القرطاجنيين والقرطاجنيون اخذوها عن الفينيقيين واليك
وصفها .

يخرقون دهليزاً عمودياً الى عمق هائل حيث يتفرع اروقة
افقية الى سائر الجهات . وقد كانوا «يهوون» هذه الاروقة بواسطة
كوى عمودية تمتد الى سطح الارض . وكانوا يصنعون المجاري
المنحدرة ليحولوا عنها المياه المتجمعة واذا تعسر عليهم ذلك يحفونها
بالدافع اللولبي الذي اخترعه ارخميدس (ولا بد ان هذا من
تحسينات الرومان) . وبعد ان يستخرجوا الفلز على هذه الطريقة
يعرضونه الى درجة معينة من الحرارة ثم يسحقونه بالمطاحن المائية
وبعد ذلك يغربلونه وينقونه . على انهم ما كانوا يعرفون طريقة ينفصلون بها
الذهب عن الفضة او الفضة عن النحاس والرصاص . فقد كانت معادنها
في الغالب مزيجاً من اثنين او اكثر . وفي خلاف ذلك فان
طريقهم لا تقل ضبطاً ودقة عن الطرق المستعملة اليوم .

(٩٦) صناع المراكب وفن الملاحة . لم تكن المراكب الفينيقية في اول عهدها سوى زوارق صغيرة مدورة في بعض الاحيان ومستطيلة في غيرها ، مصنوعة من خشب الارز او الشربين المجلوب من غابات لبنان . وقد كانت هذه الزوارق مطلية بالحمّار ومسقوفة في بعض الاحيان لكنها لم تكن صالحة لمخر البحار الكبيرة ووسق المشحونات الثقيلة . غير ان الفينقيين المطبوعين على تحسين المخترعات اصلحوا فيها كثيراً . فكانوا اول من اخترع المراكب ذات الصفين من المجاذيف الواحد فوق الاخر . وقد ظهر في النقوش الاشورية رسوم تمثل المراكب الفينيقية من هذا النوع على عهد سنحاريب (حوالي سنة ٧٠٠ ق م) . ويظهر انها كانت مستعملة قبل ذلك بزمان طويل . وكان هذا التحسين فاتحة عصر جديد في فن الملاحة اذ زاد بواسطته محمول السفينة وازدادت سرعتها .

وكان للملاحين الفينقيين في تلك الازمنة البعيدة المام واسع برسم الخرائط وتعيين الاماكن والجزر في البحار وقياس المسافات بين الامكنة المختلفة ومعرفة حالة الجو وعلم الفلك

والحساب والجغرافيا واوقات المد والجزر وغير ذلك كثير من الامور التي كانوا يحتاجون اليها في فن الملاحة .

(٩٧) الفينيقيون بطوفون بمرآ حول افريقيا . ومن جملة الاعمال الخطيرة المنسوبة الى الفينيقيين التي لا يمكن التغاضي عنها هي الطواف بمرآ حول افريقيا وذلك نزولاً عند رغبة احد الفراغنة في اواخر عهد الامبراطورية المصرية حوالي سنة ٦٠٠ ق . م . فقد جرب هذا الفرعون ان يصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط بمجر قناة السويس لكنه لم يقدر على القيام بهذا المشروع فعدل عنه ولجأ الى نخبة من البحارة الفينيقيين وطلب اليهم ان يطوفوا بمرآ حول افريقيا .

فاقلعوا من احدى موافي البحر الاحمر متوجهين جنوباً الى بوغاز باب المندب ثم الى ساحل الصوملي فنزبار فموزامبيك الى ان وصلوا الى راس الرجاء الصالح . ثم تابعوا شمالاً الى بوغاز جبل طارق فالبحر المتوسط فمصر . وقد كانت مراكبهم في سفرها تلاصق الشواطيء خوفاً من الضياع في البحر . وكانت مؤونتهم قليلة فاضطروا ان ينزلوا الى البر في كل خريف ليزرعوا الحبوب ،

ثم يمشون هناك الى وقت الحصاد ليستغلوا ما زرعه . وبعدها يتابعون سفرهم . وقد دامت سفرتهم هذه ثلاث سنوات .
ومع ان كثيرين من المؤرخين لا يسلمون بصحة هذه الرواية لما يحول دون الطواف حول افريقيا في تلك الايام من الاخطار والصعوبات ، فانها محتملة الوقوع ، لان التفاصيل جميعها تنطبق بعضها مع بعض وتدل على ارجحية حدوثها .

(٩٨) مخاوف الاسفار . وكان الملاحون الاقدمون يعانون من الاهوال والصعوبات اشدها واقساها لما كان يعرض لهم في طريقهم من الصخور الناثئة والرفارق اذ انهم كانوا مضطرين ان يلزموا السواحل خوفاً من الضياع في عرض البحار . زد على ذلك ان البحار كانت ملانة بالقرصان الذين اتخذوا القرصنة حرفة لهم فكانوا يسلبون المراكب التجارية امتعتها ورجالها فياخذون الامتعة ويبيعون الرجال عبيداً . وكانت السفن الفينيقية اكبر جاذب لهم لما فيها من الادوات والحلي والبضائع الثمينة . غير ان جميع هذه الاخطار والمخاوف لم تكن الفينيقيين عن عزيمتهم ومجازفتهم فقد كانت سفنهم تجول بين سائر انحاء البحر المتوسط

وكان تجارهم يتعاطون التجارة مع جميع سكان هذه الانحاء فضلاً عن المغامرات والاكتشافات التي قاموا بها كما مر معنا في طوافهم حول افريقيا (فقرة ٩٧) وذهبهم الى بلاد الانكليز وغيرها من البلدان البعيدة .

(٩٩) **مهاجرة الفينيقيين في زرعيب الشرايين** . وكان التجار الفينيقيون من سائر المدن المهمة على الساحل الفينيقي وخصوصاً صور وصيدا يتسوقون المصنوعات الوطنية المختلفة من المعامل العديدة المنتشرة في احياء المدن الفينيقية كالزجاج الملون والاقمشة المصبوغة ، والمفروشات ، وادوات الزينة وغيرها ، ويضيفون اليها بعض السلع المصرية والاشورية ويحملونها في سفنهم الى سائر الجهات كبلاد اليونان وساحل افريقيا الشمالي واسبانيا وبلاد الانكليز حيث ينزلون بها على الشاطئ ويعرضونها عرضاً متقناً يجذب الابصار ويفتن العقول فتاتيهم الرجال والنساء لشراء ما يلزمهم ، فيساومونهم عليها ، ولا يشترون منهم السلعة الا بعد التزليل من سعرها الاول . وكان الفينيقيون اصحاب ذكاء وحكمة في الامور التجارية فقد كانوا يحملون الى زبائنهم عدداً

كبيراً من القصص والحكايات الغربية عن بلادهم وعن تاريخ
المصنوعات والبضائع التي يحملونها معهم . وكانوا بطلاوة
حديثهم ورقته يحتذبون الشرائين اليهم ويستميلونهم حتى انهم
حازوا قصب السبق في التجارة في العالم المتمدن المعروف في
عصرهم .

(١٠٠) **الثغاة في زمن الفينيقيين** . وكان التجار
الفينيقيون لا يقوون على مقاومة التجارب التي تعرض لهم اذ كانت
تعود عليهم بالارباح الطائلة . فكانوا في بعض الاحيان يسرقون
الغلمان والغيد الحسان ويبيعونهم عبداً في اسواق الرقيق في
آسيا الصغرى ومصر وفارس وغيرها .

ولدينا قصة وردت في تاريخ هيرودوتس ، وهي مع عدم
ارجحية وقوعها فانها تمثل لنا ما كان يحدث في تلك الازمان .
وهي ان تجاراً فينيقيين يحملون بضائع مصرية واشورية نزلوا على
ساحل ارغولس في بلاد اليونان ومكثوا هناك ستة ايام يبيعون
ما يحملونه معهم . واخيراً جاءهم رهط كبير من النساء اليونانيات
الجميلات ومعهن ابنة الملك المدعوة « أبو » . فانزلهم التجار الى

المركب ليروهن البضائع الجميلة الباقية هناك . وفيما كنَّ مشغولات بتقليب البضائع واستعراضها هجم عليهن البحارة الفينيقيون واوثقوا بعضهن وبينهن ابنة الملك . وهرب القسم الآخر فعلا الضجيج واتي الرجال اليونانيون لتخليص نساءهن لكن المركب سار بسرعة فائقة . وعبثا حاول الاهلون ان يوقفوه برشق النبال لانه لم يمض برهة قصيرة حتى غاب عن الابصار . ولا بد ان الفينيقيين حملوا النساء ومعهن ابنة الملك الى اسواق الرقيق اما في اسيا الصغرى او في مصر حيث كانت تدفع لهم الاسعار العالية ثمن من يسبونهم .

(١٠١) الفينيقيون ينشرون بذور النمدن مع فجار نهرهم .

وكان الفينيقيون مستقيمين في معاملاتهم التجارية لا يميلون الى الغش والخداع حتى ان جميع الشعوب التي تعاملت معهم وثقت بهم . يظهر لنا هذا من « التجارة الحرساء » التي كانت تجري بين فينيقيي قرطجة وشعوب القسم الشمالي الغربي من افريقيا . وذلك ان المركب التجاري كان يرسو قريبا من الشاطئ فينزل التجار بضائعهم الى البر ويرتبونها هناك بطريقة جذابة ثم يتركونها

ويعودون الى الشاطئ من حيث يشيرون الى ان بضائعهم معروضة على الساحل فيأتي الاهلون ويشاهدونها فاذا اعجبتهن وضعوا كمية من الذهب بقربها وتراجعوا الى الورا . فينزل التجار ويحسبون الذهب فاذا كان كافياً ياخذونه ويذهبون فيأتي الاهالي ويستلمون البضائع . واذا كان قليلاً عادوا الى المراكب ومكثوا هناك حتى تزداد كميته .

وقد كان الفريقان يلجآن الى الامانة والصدق فلا يحرب الواحد منها ان يسرق الآخر او يخدعه ، فالاهالي لا يمسون البضائع حتى يؤخذ الذهب والتجار لا ياخذون شيئاً من الذهب حتى تكمل قيمته . ولا بد من ان فينيقيي سوريا كانوا لا يقلون امانة واستقامة عن فينيقيي قرطجنة . وقد كانوا معلمين خفياً ومهذباً عملياً للشعوب التي خالطوها بمعاملاتهم التجارية . اصف الى ذلك ان مصنوعاتهم الجميلة الراقية كانت انموذجاً نسج على منواله اهل الغرب واستفادوا منه كثيراً . وقد انتشرت حروفهم الهجائية في سائر اقطار العالم وكانت من اهم الوسائل لنشر التمدن وترقية التجارة .

آداب الفينيقيين وديانتهم

(١٠٢) حروف الهجاء الفينيقية . لقد كانت حروف الهجاء

معروفة عند المصريين والبابليين قبل ان يستعملها الفينيقيون
 بيزمن طويل . غير ان الحروف الهيروغليفية المصرية كان يربو
 عددها على الالف . والحروف المسارية البابلية كانت اكثر من
 مئتين وخمسين حرفاً وعليه فقد كان طالب العلم يقضي زمناً
 طويلاً في تعلم الحروف الهجائية قبل ان يبرع في الكتابة وتدوين
 الحسابات . لكن الفينيقيين نزّلوا عدد هذه الحروف الى اثنين
 وعشرين حرفاً فقط . وقد كانت حروفهم اسماء لاشياء معينة
 فالحرف الاول اي الف معناه ثور وقد اكتفى الفينيقيون بتصوير
 ثلاثة خطوط تدل على راس الثور . وحرف الباء معناه بيت
 وحرف الجيم معناه جبل الخ . وكانت حروفهم سهلة حتى ان
 جميع الشعوب المتقدمة أخذت عنهم فكان اختراعهم هذا من
 اهم الاسباب لترقية مسك الدفاتر وتسهيل الامور التجارية ونشر
 التمدن في جميع اقطار العالم . ولا نعلم اذا كانت علامات هذه
 الحروف من اختراعهم غير ان اليونان ينسبونها اليهم وهذا الرأي

هو الأرجح .

(١٠٣) الاداب الفينيقية . ان الاداب الفينيقية تنحصر جميعها في الكتابات المختصرة المحفورة على القبور ، والاساطير المنقوشة على التقدّمات والنذور في الهياكل ، وقصة خلق العالم الفينيقية الاصل والافكار واليونانية اللغة . ولا يمكننا في هذا المقام ان نبحث في جميعها انما نكتفي بذكر كتابة وجدت في قبر تبنيث احد ملوك مدينة صيدا والهك ماجاء فيها .

« انا تبنيث كاهن عشروت وملك صيدا ، ابن اشمون كاهن عشروت وملك صيدا الراقد في هذا القبر اقول استخلفك ايها القاري ان لا تفتح الغرفة التي اضطجع فيها وان لا تزعجني لانه ليس معي ذهب ولا فضة ولا اشياء ذات قيمة سوى نفسي المستريحة في مقرها الاخير . لا تفتح مرقدتي ولا تزعجني لانك ان فعلت تكون ممقوتاً من عشروت . لا تفعل ذلك ولكن اذا حدثتك نفسك وفعلت فليقطع نسلك عن وجه الارض الى الابد ولا يكن لك مقرّ مع الراقدين » .

ونوجد كتابة ثانية من هذا النوع لملك آخر من ملوك صيدا

وهي مطولة كثيراً لكنها بنفس المعنى . ومن الغريب ان الذين واروا الراحلين في رمسيها وضعوا الكتابة داخل القبر مع الجثة فاصبح الواحد لا يتمكن من قراءتها وفهم معناها الا بعد ان يكون قد فتح الغرفة وازعج الراقيدين .

(١٠٤) وبانه النوبي عند الفينيقيين تنقلب الى عبارة الارضام . لقد راينا فيما تقدم ان الفينيقيين كانوا يهتمون في العالم المادي ولذا كانوا شعب نشاط وعمل لا يهتمهم عالم الغيب والخيال كثيراً . لكنهم مع هذا كانوا كسائر الشعوب السامية ميالين الى الروحانيات متمسكين بامور الدين فكنت ترى ملوكهم يعتنون بالهياكل اعتناءً فائقاً . وقد كانت فكرة التوحيد سائدة بين الشعب في باديء الامر . فكانوا يعتقدون باله واحد يلقبونه بالقب شتى كالعلي والعظيم والملك والبعل (اسي سيد) وغير ذلك . وكانوا يعتبرونه مترفعاً عن المادة وكل ما في السماوات والارض من صنع يديه . لكنه ما فتئت ان انقلبت هذه الفكرة الى عبادة الاوثان وظنوا هذه الالقاب المختلفة لآلهة مختلفة . فادخلوا آلهة جديدة الى دياناتهم كما من او امون المصري

وعشتار البابلي . ثم على تكرار الازمان اصبح اله السموات (وهو في عرف الكثيرين الشمس الطبيعية) اهم الالهة كلها فعبدوه ودعوه باسماء مختلفة كملقارت وادونيس وصادق وغيرها . وكان لكل اله اوبعل بعلة وقد اشتهرت بين هؤلاء . عشتروت بعلة صيدا . هكذا تحولت ديانة التوحيد الفينيقية الى عبادة الاوثان .

(١٠٥) نقديم الاولاد ذبائح . لكن الشعب الفينيقي لم يقف عند هذا الحد بل اوغل في الفظاعات والمحرقات التي لا طائل تحتها فاخذ الوالد يقدم ابنه البكر بل وحيدته ذبيحة الى الاله . وكانت طرق التقدم في نهاية من الفظاعة . هذا تمثال الاله كرونس او ملوك اله قرطجنة وهو من آلهة الفينيقيين بهيأة انسان له راس ثور ، واقف في الهيكل باسطاً يديه كأنه يتناول شيئاً وفي جوفه نار مضطربة . يأتي الوالد بطفله الطاهر ويضعه على كفي التمثال الحاميتين ويسد فمه بيده ليمنعه عن الصراخ خوفاً من غضب الاله العظيم وعدم قبول الذبيحة . ثم يدفعه الى جوف التمثال حيث النار تلتهب . وعندها يهتف القوم ويعزفون على الآلات الموسيقية فيخفي صراخ الضحية بين الضجيج . كل هذا

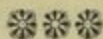
والام واقفة خارج الهيكل متخشعة متحذرة . من ان يسقط الدمع
من عينيها فلا تقبل الضحية .

(١٠٦) هبكل اففا . قرب مغارة افقا حيث نبع نهر
ابراهيم قام في قديم الزمان هيكل عشتروت نائبة النجوم وملكة
السموات وربة القمر وام الطبيعة والحياة . وكان عدد التقدّمات
التفيسة في هذا الهيكل من العرب والبابليين والاشوريين
والفنيقيين وغيرهم من الشعوب السامية يفوق الاحصاء حتى ان
احدهم صرف بضعة ايام يزن الذهب والفضة والاشياء الثمينة
المقدمة الى الهيكل . وكانت الحيوانات الاليفة المقدسة لا اعداد
لها . والسماك في البرك في ساحة الهيكل اكثر من رمال البحر .
وكان الكهنة والوكلاء في الهيكل كثيرون حتى ان احد المتفرجين
احصى ثلاثئة منهم يشتغلون في تقديم ذبيحة واحدة . وكان
الناس يقيمون عيداً في ايام الربيع يعرف بعيد الشموع يحضره
الرجال والنساء والعذارى من كل ناحية فيقدمون الذبائح
والحرقات ويتضرعون لربة الهيكل لترفع عنهم الضربات والويلات .
وكانوا يلفون المحرقات من الاطفال بجلود ويرمونها عن سطح

الهيكل او يربطونها الى غصن ثم يطرحونه في النار وكثيراً ما كان يتميخ احدهم فيثخن جسمه بالجراح .

(١٠٧) عبد قبانة ادونيس . وكانت نساء جليل وجوارها يذهبن في اوائل كل خريف ، عندما تنعكر مياه نهر ابراهيم بواسطة الامطار الاولى ، الى حافة النهر ويبكين ويندبن ادونيس اله الشمس الذي زعموا ان خنزيراً برياً افترسه وهو يصطاد في اعالي جبال لبنان فجرى دمه في النهر وصار لون المياه احمر . وعند ما ياتي الكاهن ويقول «لقد قام ادونيس» ينقلب ذلك الماتم والصراخ الى عرس وهتاف .

وقد كان لهذه الطقوس الفينيقية تاثير عظيم في ديانات الشعوب المجاورة كالعبرانيين واليونان وغيرهم . فامتدت هذه الديانة الى بلاد اليونان بواسطة التجار الفينيقيين والى بني اسرائيل بواسطة اثبعل ملك صور اذ انه اراد ان ينشر هذه الديانة الجديدة فزوج ابنته ايزابل الى اخاب ملك اسرائيل (ملوك اول ١٦ : ٣١)



اسئلة

اين كان منشأ الفينيقيين ؟ في اي قرن هاجروا الى سوريا ؟ ما هي الادلة على ذلك ؟ صف جغرافية بلاد فينيقيا الطبيعية . ما هو تأثيرها في تاريخ الشعب الفينيقي . ما هي بعض الصفات التي يتصف بها الفينيقي ؟ صف اشهر المدن الفينيقية . ايها استحققت ان تكون عاصمة فينيقيا ؟ ما هي اهم الصناعات الفينيقية ؟ صف كل واحدة منها على حدة . اذكر عن مهارة الفينيقيين التي ظهرت في بناء هيكل سليمان . ماذا تعرف عن فن الملاحة عند الفينيقيين ؟ ماذا اضافوا عليه من عندياتهم ؟ ما هي البراهين التي ترجع انهم طافوا حول افريقيا ؟ ما هي المخاوف التي كانت تعترضهم في اسفارهم ؟ كيف كانوا يتغلبون عليها ؟ ما هي الطرق التي كانوا يستعملونها في ترغيب الشرائين ؟ ما هي الامور التي كانت تساعدهم لرواج تجارتهم ؟ هل تحتقر التجار الفينيقيين لمعاطاتهم النخاسة ؟ لماذا ؟ ماذا نشر الفينيقيون مع تجارتهم ؟

هل علامات الحروف الهجائية من اختراع الفينيقيين ؟ سيفي اي بلدان انتشرت الحروف الهجائية الفينيقية ؟ كيف ؟ ماذا تعرف عن الآداب الفينيقية ؟ كيف اقبلت ديانة التوحيد الفينيقية الى عبادة اوثان ؟ ماذا تعرف عن هيكل افقا ؟ اي اعياد كانت تقام هناك ؟ من هو ادونيس ؟ ماذا كانت منزلته الدينية في بلاد جبيل ؟

الفصل السابع

ملحق تاريخ الفينيقيين

الاستعمار الفينيقي

(١٠٨) اسباب الاستعمار الفينيقي . تُختصر اسباب

الاستعمار الفينيقي في ثلاثة امور :

١ أن البلاد الفينيقية محصورة من الشرق كما تقدم
بسلسلة جبال عالية تصعب المواصله بين الفينيقين وسكان
الداخلية ، وقد كانت علاقات الشعب الفينيقي مع جيرانه
الفلسطينيين عدائية فاضطر بحكم الطبع ان يحول في عرض البحار
سعيًا وراء الاتجار .

٢ بما ان الشعب الفينيقي كان يعيش من الصناعات فقد
اهتم كثيراً بالتفتيش عن اسواق تجارية في مختلف الجهات يورد
اليها بضائعه ومصنوعاته ، وعن بلدان غنية بالمواد الاولية ليستورد
منها ما يحتاج اليه في معاملته الوطنية فقصد قبرص لجلب النحاس

وبلاد قيليقية جلب الحشب واسبانيا جلب الفضة والذهب وبلاد
الانكليز جلب التنك والرصاص . وفتح اسواقاً تجارية في
مصر وشمالى افريقيا وجزر بلاد اليونان وبحر إيجه وكورسيكا
وسردينيا وغيرها .

٣ لم تخل بلاد الفينيقيين يوماً من المنازعات السياسية التي
كانت تؤدى الى قيام الاحزاب والثورات الالهية . وكان
الحزب الضعيف الذي يغلب على امره يهجر وطنه ويفتش عن
بلاد جديدة يقيم فيها كما كان يحدث في بلاد اليونان في القرن
السادس قبل المسيح . فكنت ترى الشعوب الفينيقية تهاجر
بالمئات لان هذا الملك او ذاك لم يرق في نظرها . واليك فيما
يلي قصة بناء قرطجنة على ساحل افريقيا الشمالي وهي مثال مما
كان يحدث في تلك الازمنة .

قصة بناء قرطجنة على ساحل افريقيا الشمالى

(١٠٩) السارو اكملون . ان متان حفيد اثبعل وحاكم
مدينة صور توفي في شرح الشباب بعد ان ملك تسع سنين

تاركا ولدين احدهما بكمليون وهو صبي في التاسعة من عمره
والسار وهي ابنة كانت غاية في اللطف والرقه وربة من ربات
الجمال فذاع صيتها في مدينة صور واخذ الناس في مدحها وفي
الثناء على تعقلها . وكان لها خال من اغنى نبلاء المدينة يدعى
الكرباس . وكان متقلداً منصب رئيس الكهنة في هيكل الاله
ملقارت احب الفتاة فتزوجها . وكان بكمليون خلفا لبيه فطمع
بثروة صهره وخاله وحدثه نفسه ان يكيد له مكيدة يقتله بها
وياخذ امواله . فبينما كان الكرباس ذات يوم يصلي دخل عليه
بكمليون وقتله غدرآ داخل الهيكل فخرنت عليه السار حزناً لا
مزيد عليه لانها كانت شديدة التعلق به ولم تعد قادرة ان تتصور
الاماكن التي كان يمرح فيها زوجها المحبوب . فآثرت الذهات
الى بلاد بعيدة حيث تغيب تلك التذكارات المزعجة عن بصرها .
(١١٠) الهبة . و ارادت ان تمنع المال الذي كان سبباً في
قتل زوجها من ان يقع بين يدي اخيها فدبرت الحيل لذلك .
فتظاهرت لـ اخيها بحب الاقامة في قصره وطلبت منه مراكب
لتنقل امتعتها واموالها فامر لها بما طلبت . لكنه ارسل الضباط

التدبيرين من قبله مع المراكب واوصاهم بان يعتنوا بالاموال اعتناء تاماً . وكانت السارق قد خبأت الاموال في محل امين ووضعت مكانها اكياساً من الرمل فانطلت الحيلة على الضباط والبحرية ولما بعدوا عن الشاطئ امرت بتوقيف السير وتنحت في احدى زوايا المركب وركعت واخذت تصلي من اجل روح زوجها الطاهرة . ووقف الضباط حولها خاشعين وقد علا وجوههم شيء من جلال ذلك الموقف المؤثر . ولما تمت صلاتها اقتربت من خدامها وامرتهم ان يلقوا الاكياس المملآة رملآ في البحر ففعلوا . ولما فرغوا اطلت من نافذة المركب ورفعت يديها الى السماء وصرخت قائلة « ايها الروح الطاهرة والنفس البريئة اقدم اليك هذه الاموال التي كانت سبباً في هلاكك » . ووقف الضباط باهتين لم يبدوا حراكاً مشاركين السارق في حزنها شاعرين معها في تلك الساعة الرهيبة .

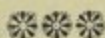
(١١١) الذهاب الى سماي افريقيا . وبعد ان انتهى تمثيل

هذه الرواية الهزلية دنت السار من كانوا معها وقالت لهم ان اخي لقائكم اذا عدتم اليه بدون المال فالأوفق ان تهجروا معي

يصيبي ما يصيبكم ان خير أو ان شراً . فاستصوبوا رأيها واذعنوا
لامرها فافلعت السفينة بهم تمخر عباب اليم الى ان وصلت الى
جزيرة قبرص حيث انضم اليهم رئيس الكهنة في احد الهياكل
وغمانون جارية اصبحن فيما بعد نساء لاتباع السار وتوجهوا من
هناك غرباً الى ان وصلوا الى شمالي افريقيا فنزلوا واستقروا هناك
وبنوا مدينة قرطجنة التي اصبحت فيما بعد من اهم المستعمرات
الفينيقية .

(١١٢) المحرر . هذه هي القصة كما وردت في الاشعار
اللاتينية وكما رواها المؤرخون اليونان والرومان لكن التواريخ
الفينيقية لم تذكر عنها الا تلميحاً بسيطاً . اما نسبة بناء قرطجنة
الى الصوريين فمسألة لا يختلف فيها اثنان . ولا بد من انه وجد
احزاب سياسية في المدينة كما كان في غيرها حسبما جاء آنفاً
(فقرة ١٠٨) فاضطر حزب الملكة السار الى ان يهجر ويفتش
عن مكان جديد وذلك عند ما غلبت الملكة على امرها وخسرت
العرش . اما تفاصيل القصة فلا تعلم مكانتها من الحقيقة . ولكن
كفما كانت الحال فقد كانت قرطجنة واحدة من كثير من

مستعمرات الفينيقيين .



اسئلة

ما هي اسباب الاستعمار الفينيقي في بلدان البحر المتوسط ؟ ما
الذي ساعد الفينيقيين على نشر مستعمراتهم في هذه البلدان ؟ ماذا كان
تأثيرها على تجارتهم ؟
اذكر قصة بناء قرطجنة على ساحل افريقيا الشمالي . ما هي الاسباب
التي دعت لبناء هذه المدينة ؟ هل تعتبر هذه القصة حقيقة تاريخية ؟
لماذا ؟ ماذا تستنتج منها ؟

الفصل الخامس

الآراميون والعبرانيون وايام زهوهم في سوريا

ممالك الآراميين ومدنيتهم

(١١٣) تمهيد في نوطن الآراميين والعبرانيين اراضي
سوريا . لقد ظهر الآراميون والعبرانيون اولاً في بلاد ما بين
النهرين . وهم من القبائل السامية التي نزحت من بلاد العرب

حوالى سنة ١٥٠٠ ق م . كما جاء سابقاً . وبعد ان نزلوا في بلاد العراق ومكثوا فيها مدة اضطروا بسبب الضغط الخارجي الى ان يهجروا موطنهم ويفتشوا عن مكان آخر ينزلون فيه بعيالهم وقطعانهم ومواشيهم ، فتجولوا في اراضي الهلال المخصب الى ان استقر بهم المقام اخيراً في بلاد سوريا فاستوطن الآراميون القسم الشمالي وخصوصاً مقاطعات لبنان وتوطن العبرانيون القسم الجنوبي المعروف بفلسطين . واسس الآراميون عدة ممالك في القسم الشمالي اهمها مملكتا دمشق وسامال .

(١١٤) مملكة دمشق الارامية . وكانت دمشق عاصمة لمملكة ارامية كبيرة قامت في سوريا الداخلية وحاربت الاشوريين مراراً ووقفت في وجههم سداً منيعاً وصدتهم مدة طويلة عن التوسط غرباً نحو البحر المتوسط . وقد كانت كما فرغت من محاربة الاشوريين هبت للاقتصاص من العبرانيين الذين كانوا يكثرون لها من الوعود الفارغة عند تقدم الاشوريين عليها ثم ينقطعون عنها في ساعة الضيق ويقفون على الحياذ . وهكذا نجد ان تاريخ دمشق كان سلسلة منازعات وحروب قامت بينهم وبين

الاشوريين والعبرانيين .

هذا جل ما نعلمه عن هذه المملكة ولا يزال القسم الاكبر من تاريخها مجهولاً لان مدينة دمشق الحديثة مبنية فوق دمشق الارامية فلا امل الان باجراء الحفر لكشف الحجاب من آثارها .

(١١٥) مملكة سامال . تقع سامال في شمالي سوريا في منتصف الطريق بين البحر المتوسط ونهر الفرات . وقد كانت قاعدة مملكة ارامية عظيمة الشأن تأسست في شمالي سوريا . وقد دلت اعمال الحفر انه كان للمدينة سور مزدوج مبني من اللبن المجفف في الشمس لكنه كان يقوم على اساس متين من الحجارة الضخمة . وكان يمتد على السور حول المدينة عدد من الابراج الحصينة بعد البرج الواحد عن الاخر خمسين قدماً . وكان قصر الملك يقوم على هضبة في وسط المدينة . اما بيوت العامة فقد كانت منتشرة حول القصر وهي مبنية من اللبن ايضاً . وقد درست آثارها ولم يبق من المدينة شيء سوي اساس سورها الضخم وبقايا قصر ملكها . وقد استمدت هذه المملكة اشعة المدينة من الحثيين الذين كانوا يقطنون في اسيا الصغرى ومن

المصريين ، فالأروقة المعمدة في مقدمة القصر مبنية من الطراز الحثي بينما العواميد تنم عن الفن المصري . وقد كانت سامال من جملة الدويلات التي حاربت الآشوريين وأخزتهم عن التقدم غرباً .

(١١٦) انتشار تجارة الآراميين وفترهم في الهلال الممخص .
وكان الآراميون ، لتوسطهم بين الفينيقيين وبين مملكة آشور الفتية رجال النشاط والعمل ، يحترفون التجارة البرية ويعتاشون منها . فقد كانت قوافلهم تخترق الصحراء بين سوريا والعراق تحمل معها البضائع المختلفة . ومع ان الآراميين لم يؤلفوا وحدة سياسية تدعم تجارتهم فقد قبض تجارهم على زمام التجارة البرية في غربي اسيا . وقد وجد في خرائب نينوى عددٌ من الاوزان الآرامية المصنوعة من البرونز على هيئة الاسد ومكتوب عليها باللغة الآرامية مما يدل على استعمال اوزانهم في البلدان التي كان يؤمها تجارهم .

وقد نشر الآراميون مع تجارهم حروف الهجاء التي اخذوها عن جيرانهم الفينيقيين في القسم الشرقي من الهلال الممخص حيث انتشر

استعملناها شرقاً الى ان بلغ حدود بلاد الهند . فكذا نجد ان الحروف الهجائية التي اخترعها الفينيقيون كانت اساساً لجميع الحروف في سائر لغات العالم . وقد انتشر استعمال اللغة الارامية في اراضي الهلال المخصب حتى في بلاد اشور نفسها وزاحمت اللغة العبرانية في سوريا وفلسطين وحلت محلها . وقد تكلمت بها زنوبيا في تدمر والسيد المسيح في فلسطين وسكان لبنان عموماً ولا يزال اثرها باقياً في اللهجات المحكية في جميع جهات لبنان وخصوصاً القسم الشمالي منه .

قيام الممالك العبرانية

(١٠٥٥ - ٥٨٦ ق . م .)

(١١٧) العبرانيون في الاستعباد . وحدث ان قسماً كبيراً

من العبرانيين هجر الى مصر بسبب ازدياد عدد السكان في اسيا الغربية وعجز البلاد عن اعاشتهم وخصوصاً عند قلة الامطار في ايام الشتاء كما هو مألوف في هذه المقاطعة . وما كان دخول يوسف وبني اسرائيل الى مصر الا من قبيل ما كان يحدث من هجرات العبرانيين اليها . نزلت هذه القبائل النازحة في مصر واصبحت

بتوالي الايام جزءاً مهماً من شعب البلاد وكان لها تأثير عظيم على تاريخ مصر ومدينتها . ويقرب الى العقل ان المصريين اخذوا فكرة الاعتقاد بالله واحد على زمن اخناتون عن الشعب الاسرائيلي . غير ان الفراعنة استعبدوهم واخذوا يشغلونهم في الاعمال الشاقة لتذليلهم خوفاً من قيامهم عليهم . واخيراً قام على تخت الفراعنة احد الملوك القساة وهو على الارجح رعمسيس الثاني فاخذ يعاملهم معاملة لا تطاق فاتجهت افكارهم نحو بلاد اجدادهم وارض الميعاد .

(١١٨) خروج بني اسرائيل من مصر ونزولهم في فلسطين .
 فخرجوا من مصر بقيادة موسى ثم يشوع بن نون فقادهم يشوع بعد موت موسى في وادي الاردن الى اريحا المدينة الكنعانية المسورة وبعد ان سقطت في يدهم جدوا في اخضاع المدن الكنعانية الباقية فافلحوا وحاربوا الفلسطينيين وفي مدة قصيرة سقطت جميع بلاد فلسطين ما عدا الساحل في قبضتهم وامتزجوا بعد عهد طويل بالكنعانيين بالزواج واخذوا عنهم المدينة واصبحوا جميعاً شعباً واحداً حتي لم يعد ثمة فرق بينهم لافي الجنس ولا في المدينة . غير

ان الاسرائيليين دخلوا الى فلسطين قبائل واسباطاً متفرقة وبقوا
 كذلك مدة طويلة لا تجمعهم رابطة . وكان يدير شؤونهم
 قضاة ينتخبون من بينهم باعتبار الوجاهة والمقدرة الحربية .
 وقد ساعدت وضعية البلاد الجغرافية على تفريقهم وشقاقهم ،
 فالذين سكنوا المنطقة الجنوبية حافظوا على حياة البداوة وتربية
 المواشي والسكن في الخيام لان البلاد تطلب ذلك ولم يكن
 عندهم لاحضارة ولا تجارة بل كانوا شعباً فقيراً ، ساذجاً ، قوياً
 نشيطاً ، ورعاً ، متديناً ، محافظاً على عبادة يهوه اله اليهود الخاص .
 بينما الذين سكنوا في المنطقة الشمالية حيث الاراضي خصبة ،
 والمياه غزيرة ، استبدلوا حياة البداوة بحياة الزراعة والتجارة
 فأثروا وبنوا المدن وتحضرروا وقادهم الغنى الى الانغماس بالملذات
 واقتبسوا آلهة جديدة عن جيرانهم وخصوصاً الفينيقيين .
 مما اوغر صدر سكان الجنوب حقداً عليهم فاتهمهم بالكفر
 والاحاد . وهذا يفسر لنا انشقاق مملكة العبرانيين الى مملكتين
 مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا . (فقرة ١٢٢)

(١١٩) انما بني اسرائيل نحت امره ساول . واخيراً وجد

بنو اسرائيل انه لا ثبات لملكهم والاعداء تحقق بهم من كل جانب
الآ اذا جمعوا كلمتهم وانضموا تحت قيادة رجل حكيم في الفنون
الحرية يكفهم شرمحاريهم فنصبوا عليهم شاول ملكاً فنزل
اعداء اليهود وقهرهم «وكانت كل ايامه حرباً على الفلسطينيين»
(صموئيل الاول ١٤: ٥٢) وقد مرض في آخر حياته مرضاً
شديداً افضى به الى نوع من الجنون فخطر بنفسه في وقعة جرت
بينه وبين الفلسطينيين في مرج ابن عامر فانكسر جيشه وقتل ثلاثة من
اولاده واصيب هو بجراح خطيرة. ولما خاف ان يقع اسيراً بين
ايدي اعدائه طلب الى حامل سلاحه ان يطعنه فلم يشأ ان
يفعل فاخذ شاول السيف وسقط عليه فمات (صموئيل الاول
٣١: ٤).

وكان من جملة من خدم في جيش شاول داود بن يسي
البيتلحمي. وكان داود يحسن العزف على آلات الموسيقى حتى
انه امتلك قلب شاول فعينه حامل سلاحه، فبرز في هذا المنصب
وظهرت مقدرته ومواهبه امام الجميع وخصوصاً في حروب
الفلسطينيين فاحبه الشعب وتعلق به ابناؤه شاول وكانوا يقولون

ان شاول قتل اعداءه بالالوف اما داود فبعشرات الالوف
(صموئيل الاول ١٨: ٧) غير ان شاول كان يصاب بصراع
شديد في بعض الاحيان فنقم على داود وجرب مراراً ان يقتله
فاضطر داود ان يهرب الى الجبال وينضم الى العصابات . واخيراً
انضم الى اعدائه الفلسطينيين .

(١٢٠) داود الملك (١٠٢٥ - ٩٩٣ ق م .)

وحالما علم داود بموت شاول اسرع الى جبرون حيث مسح ملكاً
على قبيلة يهوذا . ووافد الرسل من هناك الى القبائل الاسرائيلية
التي تسكن في الشمال يدعومهم الى مبايعته فرفضوا وتحركت فيهم
عاطفة الاستقلال فنصبوا عليهم احد ابناء شاول ملكاً واخذوا
في محاصرة داود وسكان الجنوب في باديء امرهم لكنهم ما فتئوا
ان انفرط عقدهم وانشقروا . وها هم بعضهم على بعض وقتل ملكهم
فاجمع شيوخ اسرائيل على الاعتراف بـداود ملكاً على اليهود .
(صموئيل الثاني ص ١-٥)

وكان داود رجل حزم وسياسة وتقوى فأسس ملكه على
دعائم متينة وحارب العمونيين والادوميين والفلسطينيين اعداء

اليهود الالءاء فقهرهم . وراى انه قد حان الوقت لترك الخيام والسكن في مدن حصينة فشيء اورشليم وجعلها قاعدة ملكة وافرغ كنانة جهده في تحصينها وتقويتها . ووطد علاقاته التجارية مع الفينيقيين (فقرة ٩١) ووضع الخطة لبناء هيكل كبير يحمله محل خيمة الاجتماع ويجعله قبلة انظار اليهود لكنه مات قبل ان يحقق هذه الامنية خلفه ابنه سليمان واتم هذا ما رسمه ابوه .

وقد كان داود فضلاً عن شجاعته ومقدرته السياسية موصوفاً بقواه العقلية والروحية يشهد له بذلك رثاؤه لشاول واولاده (صموئيل الثاني ١: ١٩٠ - ٢٧) . واما مزاميره فهي انفس ما قيل في الروحيات . وقد كان فوق ذلك كله ملاحظاً ومغنياً من اشهر الموسيقيين .

(١٢١) سليمان الحكيم (٩٩٣-٩٥٣ ق.م) . لم يكن سليمان كايه داود في المقدرة الحربية غير ان اياه كان قد جمع كلمة اليهود وقهر اعداءهم ومحاربهم وذل جميع العقبات التي تقف في طريقه فسلم ابنه سليمان مملكة واسعة الاطراف مرتكزة على اساس متين لم يكن لها مثيل في سائر انحاء سوريا . فلم ير سليمان

داعياً للقيام بالحروب وتوسيع نطاق الملك بل حول همه الى تحسين اورشليم وتزيينها . وكان ميالاً الى البناء والفنون والتجارة فجدد علاقاته التجارية مع حيرام صديق والده الحميم وباشر بمساعدته في بناء الهيكل الذي رسمه ابوه داود واتمه على غاية ما يرام من الدقة والجمال (فقرة ٩١ - ٩٣) . وشيد في عاصمته البنايات العديدة واقام لها سوراً كبيراً فتقاطرت اليها اليهود من جميع انحاء فلسطين . وقد استلمها من ابيه بلدة صغيرة وتركها مدينة كبيرة تضاهي اكبر عواصم الشرق في تلك الايام . وقد كانت العظمة الشرقية والابهة والفخفة تجلي في قصره ولم يبق احد الا سمع بعظمته وحكمته التي كان يتصف بها . وزارته يوماً ملكة سبا في قصره باورشليم بموكب عظيم وبعد ان بحثت معه بامور عديدة قالت « جئت وابصرت عيناى فهذا النصف لم اخبر به » (الملوك الاول ١٠: ٧) .

وصادق فرعون مصر سليمان وازوجه احدى بناته واعطاه مدينة جازر على حدود سوريا مهراً « وكان لسليمان عدا عن ابنة فرعون سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من

السراري فامالت نساؤه قلبه . (الملوك الاول ١١: ٥ - ١٣)
 وفسدت اخلاقه واتبع الهوى والمعاصي . واضطر لكي يقوم
 بنفقات البناء والبلاط وتحسين اورشليم الى ان يعتمد على التجارة فبنى
 اسطولا بمساعدة صديقه حيرام وكان يرسله الى السواحل
 الفينيقية والافريقية فيأتيه بحاصيل تلك البلدان الغنية . وجعل
 له ميناء على البحر الاحمر من حيث كانت المراكب الفينيقية تقلع
 الى الجنوب وتأتيه بالذهب والحجارة الكريمة وخشب الصندل
 لصنع الدرازين لبيت الرب وصنع اعواد المغنين .
 غير ان التجارة وحدها لم تكفه لدفع النفقات العظيمة
 فاعطى صديقه حيرام من المملكة التي تركها ابوه عشرين
 مدينة في ارض الجليل . واخيراً عمد الى جيوب الاهلين فارهقهم
 بالضرائب مما جعل اسباط اسرائيل تنقم عليه وتضمر الغضب
 والشر له ولسكان الجنوب .

(١٢٢) انتقامه الملكة . وخلف سليمان ابنه رحبعام .

وعاد الاسرائيليون الذين يسكنون في الشمال الى احقادهم على
 سكان الجنوب وجاء اناس منهم الى رحبعام وطلبوا اليه قائلين

« ان اباك قسى نيرنا واما انت نخفف الان من عبودية ابيك القاسية ومن نيره الثقل الذي جعله علينا فنخدمك » . فاجابهم قائلا « ابي ثقل نيركم وانا ازيد على نيركم . ابي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب » (الملوك الاول ١٢ : ١٤) .

فلما سمعوا هذا الجواب شقوا عصا الطاعة وكانوا عشرة اسباط يسكنون في الشمال وملكوا عليهم يربعام . وكانت عاصمتهم فيما بعد مدينة السامرة . اما السبطان الباقيان بيت يهوذا وسبط بنيامين اللذان كانا يسكنان في الجنوب فالق مملكة بقيت عاصمتها مدينة اروشليم . وهكذا انشقت مملكة داود وسليمان العظيمة الى توأم . مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب واصبحت كل واحدة عرضة لهجوم الطامعين من ابناء النيل وابناء الفرات .

(١٢٣) مملكة اسرائيل . (٩٥٣ - ٧٢٢ ق م .) . ان

تاريخ مملكة اسرائيل هو سلسلة حروب دينية ومنازعات لا طائل تحتها . قسم يعزز عبادة يهوه (الله) وقسم يعزز عبادة الاوثان . وقام عدد من الانبياء كعاموس واليشع ووعظوا

الشعب لكنه لم يتعظ وفسدت المملكة وضعفت . واخيراً سقطت في يد الاشوريين على عهد الملك سرجون الثاني سنة ٧٢٢ ق م . وسبي الاشوريون الشعب اليهودي الى ما وراء الفرات واتوا بشعب اخر الى فلسطين واسكنوه هناك حيث اختلط بالزواج مع الطبقة الضعيفة من اليهود فعرف المزيج بالسامريين على عهد المسيح . (١٢٤) مملكة يهوذا (٩٥٣ - ٥٨٦ ق م) . وما ذكرناه عن مملكة اسرائيل من النزاع يصح على مملكة يهوذا فقد ضعفت قوة هذه المملكة فغزاه شيشق احد فراعنة مصر ودخل اورشليم عنوة فنهب هيكلها وحمل آتية الذهبية التي صنعها سليمان الى مصر وخرَّب كثيراً من مدن يهوذا . واخيراً حاربها الملك نبوخذنصر الكلداني فحاصر اورشليم سنة ونصف سنة فسقطت في يده وسبي شعب يهوذا الى بابل وكان ذلك سنة ٥٨٦ ق م . بعد سبي اسرائيل ب ١٣٦ سنة فاضمحت مملكة يهوذا واصبحت خيراً من الاخبار .

هكذا ذهبت المملكة العبرانية ضحية الاضطراب الداخلي وتعذب اهلها في الاسر مدة طويلة حتى فرَّج ازمهم كوروش

ملك الفرس . فانه لما غزا بابل وفتحها اطلق سراح اليهود
فعادوا الى اورشليم لكنهم بقوا شعباً منقسماً لا يقوى على ارجاع
مجده السابق .

(١٢٥) مآتي المزمينة العبرانية . لم يتحفظ العبرانيون
العالم بشيء من الفنون ولا العلوم ولا النقش انما كانوا رسول
التوحيد في هذا العالم فقد نشروا فكرة يهوه بين الشعوب المختلفة
وكان الههم رحيمًا قديرًا رؤوفًا يعامل جميع الناس على السواء .
فيجازي الخير خيراً والشر شراً . وهم ابضاً اول من نشر فكرة
السلام في العالم حيث يقول اشعيا النبي . . . « فيقضي الله بين الامم
وينصف لشعوب كثيرة فيطبعون سيفوفهم سكاكاً ورماحهم مناجل .
لا ترفع امة على امة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » .
(اشعيا ٢ : ٣ - ٤)

وبما ان اللغة والاداب مظهر من مظاهر الشعور الرقيق
بالعزة الالهية فقد كانت ادابهم من اشهر اداب الامم القديمة
فالعهد القديم اساس قام عليه العهد الجديد ومن ثم التعاليم المسيحية .
اما زماير داود وسفر الامثال ومراثي النبي ارميا على اورشليم فلا

يضاهيها اداب حديثة او قديمة . ولا يقل كتاب التلمود وسفر المكابيين
اهمية عن التوراة . ولا بد من ان حياة العبرانيين الملائنة بالمتاعب
والحروب والضربات ثم الخلاص والفرح اثرت على حياتهم
الروحية ووطدت ايمانهم بالله واحد اله اسرائيل . من تحت نير
العبودية في ارض مصر الى ارض الميعاد ، الى الاسر البابلي ثم الى اورشليم
ثانية ، ضيق ففرج مما يجعل الانسان متمسكا بالامل والرجاء
شاعراً بقوة خالق السموات والارض وبمحبه الخالدة لبني البشر .



اسئلة

من اين اتى العبرانيون والاراميون ؟ اين نزلوا اولاً ؟ اين استقروا
اخيراً ؟ اذكر اهم ممالك الاراميين في سوريا . ماهي الادلة على شيوع
اللغة الارامية في الهلال المخصب ؟ لماذا عم انتشارها اكثر من سواها
من اللغات ؟

لماذا كان الفراعنة يعاملون العبرانيين في مصر معاملة قاسية ؟
ماذا استفادوا من العبرانيين ؟ على عهد من من الفراعنة خرج العبرانيون
من مصر ؟ من قادم في ارض فلسطين ؟ اين توطنوا ؟ ماذا كان تأثير

وضعية البلاد في تاريخهم ؟ من هو اول ملك عبراني ما هي اهم الاعمال التي قام بها داود الملك ؟ قابل بين داود وابنه سليمان . ما هي اسباب الانشقاق بين اسباط بني اسرائيل ؟ ما هي مآقي المدينة العبرانية ؟

الفصل التاسع

حكم الاشوريين والكلدانيين في سوريا

زمن سيادة الاشوريين في سوريا

(١٢٦) نبسط الاشوريين نحو البحر المتوسط . بعد ان اسس الاشوريون ممالك ضخمة في وادي دجلة والفرات على انقاض الدولة البابلية شرعوا في التوسيع نحو اراضي البحر المتوسط . وكان في سوريا اذ ذاك كما راينا في الفصل السابق عدة ممالك صغيرة تقف في وجههم اهمها حكومات الاراميين في الشمال وحكومة العبرانيين في الجنوب والمدن الفينيقية على شاطئ البحر المتوسط . وكان الاشوريون في توسعهم نحو البحر يصطدمون بهذه الممالك الصغيرة التي بقيت حجر عثرة في سبيلهم زمناً طويلاً . غير ان الاشوريين

كانوا يخرجون من حين الى آخر صفوف الاعداء فيسرحون ويمرحون في طول البلاد وعرضها وينهبون ما تصل اليه ايديهم .

(١٢٧) تغلت فهد سرفي شمالي سوريا . ان اول ملك اشوري تذكر عنه الاثار انه بلغ البحر هو تغلت فلاسر الاول . فانه غزا سوريا في بداية القرن الحادي عشر . فقد جاء في احدى كتاباته عن اعمال الصيد التي متع نفسه بها في شمالي سوريا انه « نزل في مركب من ارواد الى البحر العظيم حيث قتل دلفيناً وانه ذبح ثيراناً قوية ومخيفة في جوار مدينة « ارازق » التي تقع في سفح لبنان قرب بلاد الحثيين . وانه قبض على قطعان كثيرة من الحيوانات البرية حية وقتل افيالاً بقوسه وامسك كثيراً منها حياً وجاء بها الى مدينة اشور » . ولما علم فرعون مصر بقدم تغلت فلاسر وانتصاراته في سوريا « اهداه برنيقاً (فرس النهر) وتمساحاً فاخذهما معه الى اشور واراهاما لشعبه هناك » .

(١٢٨) ثاني ملك اشوري بلغ البحر المتوسط . وفي سنة ٨٢٦ ق م . ظهر الملك اشور ناصر بال في اعالي جبال لبنان

وهو ثاني ملك اشوري شاهد البحر وكان في طريقه قد قهر كل مدينة مر بها وهدم مبانيها وانزل باهلها جميع اصناف العذاب . فمشی الخوف يتقدم الجيش الاشوري وكان ذلك داعياً الى تسليم كثير من المدن الساحلية وخضوعها للنير الاشوري . ويذكر هذا الملك انه بلغ البحر المتوسط حيث « غسل حرا به في مياه العدو » وفرض الجزية على الملوك الذين يعيشون بجانب البحر فسارع اهالي صور وصيدا وبلاد الاموريين وارواد « الواقعة في وسط البحر » وقدموا له الجزية والهدايا خوفاً من ان يسير بجيوشه عليهم . وهذا يبرهن عن السياسة التي اتبعها الفينيقيون عموماً . (فقرة ٨٢)

وكانت الجزية من الذهب والفضة والرصاص والبرونز والملبوسات والآلي وغيرها . ويذكر اشور ناصر بال ان الناس كانوا ياتون اليه ويقبلون اقدامه . وكان ياخذ اولاد الامراء رهائن فاذا ثاروا ضده وعصوا يفتح البلاد ثانية وبعد ان يقمع الثورة يزيدها الجزية . فاذا تكرر العصيان ينزع الحكم الذاتي من المقاطعة ويضمها الى ملك اشور مباشرة . وكان عندما تعيه الحيلة يستعمل الناز والسيف فيقتل الصغير والكبير ويهدم المزارع

والبيوت وقد كانت العساكر الاشورية المقيمة في المحطات العسكرية موقوفة على هذا العمل . وما كانت الثورات تحدث الا لان الجزية كانت ثقيلة لا يتحملها الاهالي لكن البطش الاشوري كان يبتزها من ايديهم ابتزازاً .

(١٢٩) وقفة قرقر سنة ٨٥٤ ق.م . وتعددت هجمات الاشوريين على بلاد سوريا . وكان الاشوريون في غزواتهم هذه فضلاً عما يبدونه من القساوة الوحشية ينهبون المدن والمزارع التي يعمرون بها ويحملون الاسلاب والغنائم الى بلادهم . فشق هذا الامر على السوريين لما كان يلحق بهم من الاهانة والخسارة المادية من جراء هذه الغزوات فاتحدوا جميعاً رغم الحزازات السائدة بينهم وخصوصاً بين مملكتي اسرائيل ودمشق وهبوا هبة واحدة ليردوا عنهم الخطر المهدد فتصادموا مع شلناصر الثاني في قرقر قرب حماة على نهر العاصي سنة ٨٥٤ ق.م . لكن شلناصر على ما يذكر في كتاباته بدد شملهم وقتل عشرين الفا منهم ورمى القتلى في النهر «فاوقفوا مجراه» وحمل غنائم كثيرة . ويقول ان هذا التحالف السوري كان مؤلفاً من اثنتي

عشرة مملكة بقيادة ملوك دمشق وحماة واسرائيل . وتعدد الكتابات الاشورية وقعات اخرى جرت بعد وقعة قرقر . لكن عقلية الملوك الاشوريين التي تآبى الاقرار بالذل والانكسار منعتهم من التصريح بالحقيقة فوضعوا النصر بجانبهم . واننا نعلم علم اليقين ان شلناصر الثاني عاد الى بلاده مراراً عديدة لتجديد قواه وجمع العساكر . ولا بد من ان السوريين صدوا الاشوريين مراراً عديدة وهذا الذي جعل شلناصر عند عودته الى سوريا ومعه الجيوش الجرارة (٨٥٠ - ٨٣٩ ق م) يشفي غليله بهدم المزارع والقرى وقطع الاشجار واحراقها بالنار في البقاع وفي جوار دمشق .

(١٣٠) سقوط دمشق . على ان دمشق بقيت ممتنعة على الاشوريين رغم ما حاولوه من الحروب لفتحها . وفي سنة ٧٣٣ ق م . التي تغلث فلاسر الثالث الحصار على المدينة حيث يقول انه « حبس ملكها كما يحبس العصفور في القفص » . وهدم مزارعها وجنائنها وحول مدنها الى كوم من الحجارة اما سكان هذه المدن فقد اقامها على الخوازيق حول اسوار دمشق » . ولا

شك في ان الملوك السوريين الذين حالفوا دمشق وعاهدوها على تقديم المساعدة انسحبوا عنها في ساعة الضيق وتراجعوا عن معاضدتها . وفي سنة ٧٣٢ سقطت دمشق في يد الفاتح الاشوري فذبح ملكها وسبي اهلها وجعلها مقاطعة اشورية . فهرول ملك صور وطلب الامان على نفسه ودفع مائة وخمسين وزنة من الذهب فدية . اما ملك عسقلان فعندما سمع بخبر سقوط دمشق فقد رشده نخلع وخلفه ابنه . وبعد هذا الانتصار الهائل الذي حازه تغلث فلاسر خاب امل الملوك السوريين من الوقوف امام وجه اشور وصدها عن ملكهم فتوافدوا جماعات ووحدا يهتفون الملك الاشوري ويقدمون له الهدايا معلنين بذلك خضوعهم وتسليمهم . وساد السلام اذ ذلك في البلاد وبقي ناشراً اعلامه مدة ست سنوات .

(١٣١) خضوع سوريا للاشوريين . وما كاد ينقضي النصف الاول من القرن الثامن قبل المسيح حتى اصبحت سوريا الشمالية ومدن فينيقيا ومملكتنا اسرائيل وحماة كلها في قبضة الاشوريين تدفع الجزية وتعترف بسلطة اشور وتمنح الجيوش

الاشورية حق المرور في مناطقها لكنها كانت لاتزال مستقلة في شؤونها الداخلية . وكان حد مملكة اشور الغربي البحر المتوسط من خليج اسكندرونة شمالاً الى يافا جنوباً .

وبما ان الدولة الاشورية كانت دولة حرب ، كانت اشد اعتمادها على الجندية . ولكي تقوم بنفقات الجند والحروب فرضت الجزية على البلدان التي عنت لسلطانها ولكي تزيد قدمها رسوخاً في البلاد حاولت نزع السلطة من ايدي الحكام الوطنيين وازادت استبدالهم بحكام اشوريين فصعب ذلك على اهل البلاد فجاهروا بعصيانهم .

(١٣٢) ثورة الفينيقيين ومصار مدينة صور . وكانت مدينة صور زعيمة الثورة فانضمت اليها صيدا وعكا وجبيل وغيرها من المدن الداخلية . وكانت صور حينئذ ذات علاقة متينة بجزيرة قبرص فاخذت تستمد منها المعونة على الحرب . فسار على اثر هذه الثورة الملك ثلثا صر الرابع واحتل بجيوشه السواحل السورية واخذ يقتص من المدن الثائرة فهدم حصونها وقطع تجارتها ودك بيوتها ولم يترك صنفاً من صنوف العذاب الا

انزله باهايا وقتل منهم خلقاً كثيراً .

ولما رأى الصوريون ما حل باخوانهم هربوا الى المدينة البحرية واعتصموا بها فحاصرهم الاشوريون من جهة البر لكنهم لم يتمكنوا من دخول المدينة لعدم وجود السفن والمراكب لديهم . وبعد حصار ثمانية اشهر سنة ٧٢٥ ق م . لم يقدر شلمنصر ان يصيب المدينة باقل اذى . فاستعان اخيراً بالصيدونيين وبقية سكان المدن الفينيقية فقدموا له اسطولا مؤلفاً من ستين مركباً فاخذه وهاجم المدينة بجرأ . لكن مهارة الصوريين بالفنون الحربية مكنتهم من تفريق شمل هذا الاسطول باثني عشر مركباً لا غير وتمكن الصوريون من اسر خمسمئة مقاتل اشوري . فسمّ الاشوريون مقاتلة هذه المدينة المحصنة وعاد ملكهم الى بلاده بسبب اضطراب داخلي بعد ان ترك القوى الكافية في البلاد واوصى بمتابعة الحصار من جهة البر وبقطع الماء العذب عن المدينة المجلوب من نبع راس العين فبقيت خمس سنوات على تلك الحالة . لكن جلد الصوريين وثباتهم في الصعوبات مكناهم من تحمل هذا الحصار فحفروا الابار

وجمعوا مياه الشتاء للاستقاء وقضاء الحاجات .
 وبقيت مدينة صور على عصيانها مدة عشرين سنة واخيراً
 سقطت في يد الاشوريين لكنها كانت من حين الى آخر تشق
 عصا الطاعة هي ورفيقاتها المدن الفينيقية تخلصاً من الضرائب
 الكثيرة . فعندها لاتجد اشور صعوبة في اخضاع الثورة وتذليل
 العصاة . فاننا نقرأ عن اشور پنبال انه غزا مدينة صور واخضعها
 حيث يقول انه حمل في المرة الثالثة على بعل ملكها الذي خالف كلامه
 ولم يطمعه فبنى حوله الابراج واقام الاسوار برآ وبحراً وحاربه حتى
 اخضعه . وعندها اتى الملك بعل بيناته وبنات اخوته ليسلمهن
 للملك الاشوري فيصبحن من سراريه وحريمه وذلك ارضاء
 له واخذاً لغضبه .

(١٣٣) معاملة اشور للسوريين . لما رأت اشور ان
 معظم القلق كان يحصل لها من طرفي الهلال المخصب اخذت
 تعامل اهالي هذه البلدان بالشدة والقساوة . وكانت مصر في
 جميع الثورات التي حدثت في سوريا صاحبة اليد الطولى . ولما
 كان لا بد للجيش الاشوري من اجتياز بلاد سوريا في

طريقها الى مصر حيث تنزل العقوبة بسكان وادي النيل فلا تسلك هناك عن المعاملة القاسية لاهالي المدن والقرى التي يبرون بها . فكانوا يسخرون السكان ويضربونهم ويسلبونهم الاكل والامعة حتى من داخل بيوتهم . وقيل ان الملك الاشوري كان عندما يريد تذليل حاكم ثار ضده يستعمل اشد انواع التعذيب . فكم كانت تقام الاجتماعات التي يحضرها الحكام الوطنيون ليقدموا خضوعهم للملك الذي يرغمهم على تعفير التراب بين يديه وتقبيل حذاءه بين الجماهير .

(١٣٤) **مصار مدينة السامرة** . علمنا فيما مضى كيف ان المملكة العبرانية انقسمت الى مملكتين تشتعل كل واحدة بنار النزاع الداخلي وفوق هذا كله اصبحت كل مملكة فيما بعد تتظلم تحت نير الاشوريين الثقيل . وكثيراً ما كانت الثورة تحلوي في عين الشعب فيثور ولكنه لا يلبث ان يلقى العقاب الصارم .

وفي سنة ٧٢٤ ق م . نجذ السامرة عاصمة مملكة اسرائيل نائرة ضد الاشوريين . وكان لمصر اليد الطولى في هذه الحركات فحاول ثلثا مصر الرابع بجنوده الكثيرة اخضاع المدينة ولكنه

وجد صعوبة فحاصرها ثلاث سنوات ضيق عليها من الخارج ومنع عنها المؤن . ومات ثلثا ناصر في اثناء الحصار وانقضَّ خلفه سرجون الثاني على البلاد واتم حصار المدينة فسقطت في يده واقتص من اهلها وسبي منهم سبعة وعشرين الفا حملهم الى بلاد اشور وعيلا مومادي واتى بشعب آخر من الارمن والعيلا ميين والاراميين واسكنه موضعهم . هذا فضلا عما حمله من الغنائم من مركبات مرصعة واثاث وغير ذلك . ثم اقام على المدينة خاكما وفرض الجزية وجمع ما فرط من الضرائب في السنين السابقة وهكذا حول عاصمة اسرائيل الى مدينة حقيرة وجعل اهلها صغارا لا يكثر ثلهم . لكن مملكة يهوذا بقيت تدفع الجزية فحول همه عنها وقنع بخضوعها وتسليمها .

(١٣٥) الاضطراب الدائم . وقد كان السوريون اجمالا

يتحينون الفرص عند تغيير الحكام في اشور وانتقال السلطة من ملك الى اخر وما يرافقهما من القلق والاضطراب السياسي . وقد حصل من نوع هذا الاضطراب سنة ٦٨١ ق . م . حيث قام على سنجاريب الملك الاشوري اثنان من ابنائه فقتلاه عندما

كان راعماً يصلي في الهيكل . وخلفه ابنه اسرحدون فوجد مدينة صيدااء نائرة بتواطوء مع ملك مصر فجرد اسرحدون عليها . لكن ملكها عندما وجد ان فرعون مصر نقض عهده ولم يده بالاسعاف هرب الى قبرص من حيث امل ان يمد المدينة بالجيوش . لكن الخوف من الجيوش الاشورية المتأصل في القلوب هناك منع الناس من الاصغاء اليه وتلبية دعوته . فتقدم اسرحدون الى صيدااء وهدمها ورمى حجارها في البحر وشت اهلهما وقبض على ملكها النائر وقطع راسه وجعله عبرة لمن سواه .

(١٣٦) انحطاط الدولة الاشورية . لم يسبق الاشوريين دولة في التاريخ اتسعت اتساع دولتهم وبلغت المجد الذي بلغوه فانهم نالوا على ايام اربعة من امبراطرتهم الاشدااء - سرجون الثاني سنخاريب واسرحدون - وامثور بنبال - ما لم ينله غيرهم في مئات السنين . واتسع سلطانهم حتى عم جميع اراضي الهلال المخصب وما جاوره كمصر وعليلام وارمينيا وغيرها . ومع انهم لم يفلحوا في حفظ الامن في هذه الاملاك الشاسعة الاقطار ولم يقدروا على توحيدها توحيداً سياسياً فلا شك في انهم خطوا خطوة كبيرة

في هذا المضمار مهدوا بها السبيل لمن جاء بعدهم كالفرس واليونان والرومان .

ولكي يحفظوا سلطانهم وسيادتهم على هذه البلدان المتفرقة والمنتشرة يحشدون الجيوش الكثيرة ويقيمون المخافر والمعسكرات في سائر الانحاء ولا تسئل عن النفقات الباهظة التي كانت تصرف في هذا السبيل مما جعلهم يضاعفون الجزية على سكان المستعمرات . واضطروا اخيراً الى استخدام الجيوش المستاجرة للقيام بالحروب والغزوات فاضعف ذلك من شانهم وحط من المهابة التي كانت للجيش الاشوري في القلوب وخصوصاً بين سكان الجهات الشرقية وشواطئ الخليج الفارسي . وكان اذذاك قد تسرب سوس الضعف والتلف الاقتصادي الى جسم الامبراطورية فنقره وما زال كذلك حتى ضعفت الامبراطورية مادياً وادبياً ومياسياً . الامر الذي اعجزها عن القيام في وجه المهاجمين .

(١٣٧) سقوط نينوى في يد الكلدان والماريين . وكان بين الشعوب الساكنة شرقي نينوى امة قوية شديدة البأس

تتبعي الى الشعب الهندي الاوروبي وتعرف بمادي زحفت من الشمال وتوطنت قلب البلاد المعروفة بارض فارس . وقوي شأنها وعز نفوذها حوالى سنة ٦٥٠ حتى ضمت تحت لوائها قسما كبيرا من بلاد العجم ومقاطعة عيلام . وكان يسكن في بابل وقرب خليج العجم قبيلة سامية عرفت بالكلدان اغتنم احد امرائها المدعو نبوبلاسر انقلاب الحكم في نينوى عند موت اشور بنبال فخلع نير طاعة الاشوريين ونادى بنفسه ملكا على بابل .

وجرت المخابرات بينه وبين ملك مادي بشأن الهجوم على نينوى وتم الاتفاق بين الاثنين على ذلك . واتحد لأول مرة في التاريخ الساميون والعنصر الهندي الاوروبي فتقوضت بواسطة هذا الاتحاد اركان اعظم دولة سامية ، وانتقل الحكم في الشرق الادنى الى العنصر الهندي الاوروبي ولم يرجع بعد ذلك الى الساميين الا على ايام العرب .

وطلب نبوبلاسر اميرة مادية زوجة لابنه نبوخذنصر الذي اصبح ملكا على بابل فيما بعد توطيدا للعلاقات السياسية بين البلاطين .

وفي سنة ٦١٢ ق . م . هجمت الجيوش الكلدانية والمادية
معاً على نينوى عاصمة الاشوريين فدخلتها عنوة وهدمت صرح
عزها وودكت اسوارها المنيعة فصيرتها اطلالاً وخرائب بعد ان
ازدهرت زماناً طويلاً كانت في خلاله عروسة اسيا الغربية
وخزينة الهلال المخصب تتوارد اليها الخيرات من كل صوب .
ولا تزال آثارها ماثلة على نهر الدجلة غربي الموصل الى يومنا هذا .
حكم الكلدان في سوريا

(١٣٨) « من هالك الى مالك الى قباض الارواح » .
لم تكد سوريا تخلع عن عنقها نير الاشوريين الثقيل حتى سقطت
في قبضة الكلدان كما يسقط العصفور بين يدي الولد الصغير .
وقد جرب ملوك مصر ان يسترجعوا نفوذهم فيها لكنهم عاودوا
بالخية والفشل لان الكلدانيين كانوا لا يزالون في دور الفتوة
فوضعوا يدهم على املاك الاشوريين وورثوهم في سائر اسيا الغربية .
على ان ملك مصر لم تقتله عزيمة عن تحريك السوريين وتزيين الثورة
في اعينهم كما سنحت له الفرصة . فعندها يرسل الكلدانيون
جيوشهم ، كما كان يفعل اسلافهم ، وينزلون بالثأرين جميع

اصناف العذاب . وبالرغم مما كان يحل بالسوريين من القصاص الموت لم فانهم لم يهدأوا يوماً عن العصيان والثورات وعدم تادية الجزية لانها كانت ثقيلة للغاية .

(١٣٩) ملك اورشليم يعتمد على مصر فيقتل . وبعد ان قنط ملك مصر من استرجاع سوريا وعادت مياه الامن الى مجاريها اخذ يستشير همم السوريين بالوعود الفارغة فوجد اذن صاغية وخصوصاً في اورشليم اذ ان ملكها ركن الى تلك الوعود واستند عليها فاعلن عصيانه بعد قليل . وعندما بلغ الخبر بابل وافى ملكها نبوخذ نصر على عجل ومعه الجيوش الكلدانية والمادية لانزال القصاص بالتأثرين . فمر بمدينة صور سنة ٥٩٨ ق م . فوجدها نائرة على انه علم عجزه وافتقاره الى معدات الحصار وخصوصاً الاساطيل لان السوريين كانوا في كل ثوراتهم يعتصمون في مدينتهم البحرية التي كان يحميها اسطولهم القوي . فعزل نبوخذ نصر عنها وتقدم الى اورشليم بعد ان ترك فرقة من جيشه وامرها ان ترابط على البر تجاه المدينة البحرية . وبقيت صور ثابتة في وجه الكلدانيين مدة ١٣ سنة كما ورد عنها في كتب

المؤرخين الصوريين .

لم ير ملك مصر بوعوده فعدل عن ارسال النجدات الى اليهود خوفاً من ان يصل موسى الخلاقة الى ذقنه فانسحب ومن معه من فلسطين وترك اورشليم تحت رحمة الكلدان . فاضطر ملكها عندئذ الى التسليم لكنه عوقب بالقتل كما تنبأ عنه ارميا النبي « ويدفن دفن حماري مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن ابواب اورشليم وتكون جثته مطروحة للحرنهاراً وللبرد ليلاً » .

وقبل ان يغادر نبوخذ نصر مدينة اورشليم اقام عليها ابن الملك المعدم حاكماً على انه لم يثق به ايضاً فعزله بعد تنصيبه بثلاثة اشهر وحمله معه اسيراً الى بابل وعين مكانه عمه صدقيا اخا الملك السابق . (ارميا ٢٢ : ١٩ و ٣٦ : ٣)

(١٤٠) ثورة اورشليم . وبقي صدقيا بعد تنويجه ملكاً على اورشليم مدة ثماني سنوات موالياً لسيده الكلداني . لكنه اخيراً تعب من اخلاصه لملك بابل وخيلت له الاوهام انه قادر على الاستقلال والتملص من دفع الجزية فكتب ملك مصر بجاري العادة يستغيث به على الامر لكنه لم يدر في خلد ان الشقاء كتب

على جبين اليهودية ان تبقى امة مستعبدة في يد ابناء النيل وملوك
 الفرات . وقد استهوت الوعود كما استهوت اسلافه سابقاً فهب سنة
 ٥٨٨ ق م . واعلن الثورة على الكلدان ، وهذه رابع مرة ثارت
 فيها اورشليم في ايام نبوخذ نصر . فغضب هذا الملك وقرر
 عندئذ ابادتها عن وجه الارض وجعلها عبرة في اعين الثائرين .
 فشد جيشاً عظيماً ومشى على راس ذلك الجيش يحف به
 الاعوان والقواد والوزراء . مِمَّا اورشليم . وحالما وصل الى فلسطين
 جاءته الاخبار ان ملك مصر آتٍ لمساعدة صديقاً فلاقاه الى
 جنوبي فلسطين ولا نعلم اذا كان حاربه هناك ام لا انما الذي
 نعلمه هو ان جيش فوعون عاد الى مصر ولم ينفع صديقاً بشيء .
 (١٤١) سقوط اورشليم وغزائها عن يد الكلدان . وعندها
 تفرع نبوخذ نصر لاختضاع اورشليم فشد عليها الحصار وضيق
 عليها تضيقاً . وفي شهر تموز سنة ٥٨٦ ق م . « اشتد الجوع في
 المدينة ولم يكن خبز لشعب الارض فتفترت المدينة (السور) وهرب
 جميع رجال القتال ايلاً من طريق الباب بين السورين اللذين
 لجهة جنة الملك وكان الكلدانيون حول المدينة يطوقونها فذهبوا

في طريق البرية . فتبعت رجال الكلدانيين الملك فادر كوه في
برية اريحا ونفرت جميع جيوشه عنه . فاختدوا الملك واصعدوه
الى ملك بابل في ربله وكموه بالقضاء عليه . وقتلوا بني صدقيا
امام عينه وقلعوا عيني صدقيا وقيده بسلسنتين من نحاس وجاءوا
به الى بابل .

اما بيوت المدينة فقد هدم الكلدانيون اكثرها واحرقوها بالنار
وخربوا هيكل سليمان الفخم وكسروا اعمدة النحاس وبحر النحاس
في الهيكل وحملوا نحاسها الى بابل واخذوا جميع الآنية كالقدور
والرفوش والمقاص والصحون والمجامر الخ . . . والذهب والفضة
الى بابل . وسبي الكلدانيون ٢٥٠ الفا من خاصة اليهود الى بابل
لكنهم ابقوا في المدينة « من مساكن الارض كرامين وفلاحين » .
(الملوك الثاني ص ٢٥)

(١٤٢) اليهود في السبي البابلي . وتشتت اليهود في سائر
انحاء العالم فهبط منهم قسم مصر العليا وسكن في مدينة الالفنتين
وجيء بقسم كبير الى بابل وكان عدد هؤلاء يزداد يوماً فيوماً
وكان يهود السبي من خيرة الشعب العبراني في جميع اقطار العالم

بينهم الملك صدقيا وعائلته والملك يهوياكين وعائلته واشراف اورشليم ورؤساء كهنتها هذا ما عدا اصحاب الحرف والصنائع والفنون . وقد منح الكلدانيون اليهود استقلالاً ذاتياً وسمحوا لشيوعهم ان يحكموهم كما كانوا يفعلون في اورشليم . فاجتهدوا في الاسر وجاهدوا طلباً للمعيشة وعملاً بوصية ارميا النبي القائلة . « ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنت واكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا البنين نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات واكثروا ولا تفلوا » . (ارميا ٢٩ : ٥ - ٦) فبنوا مدناً واسسوا مستعمرات كثيرة وشيدوا المعابد الدينية . ويقال ان احد هذه المعابد بناها الملك يهوياكين . وجاء بججارتها من بقايا هيكل اورشليم . على ان بعض الكهنة والكتبة الذين ضاقت الدنيا في اعينهم وخاب املهم ورجاؤهم باجتماع الشمل لما حل بهم وبقومهم من الذل والاهانة اطلقوا لا نفسهم العنان في ندب حظهم وسوء حالة اليهود المنفيين حيث يقولون .

« على انها ربا بل هناك جلسنا . بكينا ايضاً عند ما تذكرنا صهيون .

على الصفصاف في وسطها علقنا اعدادنا لانه هناك سالنا الذين
 سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سالونا فرحاً قائلين . رنموا لنا من
 ترنيمات صهيون . كيف نرنم ترنيمة للرب في ارض غريبة ؟ .
 ان نسيك يا اورشليم فلتنسيني . يني ! ليلتصق اساني بجنحي ان لم اذكرك
 ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحي . يا بنت بابل المخربة طوبى لمن
 يجازيك جزاءك الذي جازيتنا ! طوبى لمن يمسك اطفالك
 ويضرب بهم الصخرة ! » . (المزمور السابع والثلاثون)

وقد بقي اليهود في الاسر البابلي الى ايام كوروش الفارسي
 الذي قضى على مملكة الكلدان واطلق سراحهم وسمح لهم بالعودة
 الى فلسطين .

(١٤٣) رفي بابل على عهد نبوخذ نصر . لقد حكم
 الملك نبوخذ نصر اربعة وخمسين سنة آخرها سنة ٥٦٠ ق . م .
 برهن في اثنائها عن الملك العامل النشيط والقائد المدرب
 والسياسي المحنك فقد رفع بهيمته الناهضة وجهاده المستمر
 مدينة بابل الى اوج علاها فبنى حولها سوراً تبلغ مساحته
 خمسمائة مليون قدم مربع على اقل تعديل واقام فيها القصور

الشامخة والهياكل الفخمة والجنان المعلقة التي عدها اليونان من عجائب الدنيا السبع وحفر خزاناً كبيراً للمياه محيطه ١٤٠ ميلاً وعمقه ١٨٠ قدماً وجعل فيه السدود المحكمة الصنع ووصلها بالاقنية لجر المياه واستعملها للري . هذا فضلاً عن حفر مجاري المياه العديدة والترع تسهيلاً للأعمال الزراعية . وقد قيل ان واحدة من هذه المجاري بلغ طولها ٤٠٠ ميل .

فما تقدم نرى ان هذه الاعمال كانت تتطلب عدداً كبيراً جداً من العملة ومصارفات باهظة يصعب على اي دولة مها كان غناها ان تقوم بها ما لم تستعن بتسخير الاهالي . وقد كان نبوخذنصر وهو جالس في قصره في مدينة بابل يأمر وينهي فرعون زمانه بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من الظلم والشدة والرغبة في النفوس .

ولا بد من انه كان لكي يقوم باعباء هذه الاعمال الكبيرة التي لم يقدم على مثلها من سبقه الا بناء الاهرام ، يسخر الاهالي تحت الضرب والشدة باجرة زهيدة وخصوصاً الاسرى والمسيبين من سائر البلاد الذين لم يجد لهم شاغلاً عن القيام بالثورات سوى

اجبارهم على تقيم هذه الاشغال الشاقة في بلاد بعيدة عن
اوطانهم . ومما لا ريب فيه ان المسيبين من سوريا وخصوصاً
اليهود كانوا في مقدمة الفعلة والصناع فكان لهم فضل في هذه
الاعمال التي يعزى الفضل فيها كله لنبوخذنصر مدير دفتها

(١٤٤) انخطاظرها بعد مونه . ان كل ملك زمامه في
يد فرد واحد يعظم شأنه بعظمة هذا الفرد ويضعف بضعفه .
فان بابل رعت زماناً في ظل حكم نبوخذنصر ووالده لكنها ما
فتئت ان وقعت في ايدي ملوك ضعفاء وانتقل السلطان فيها
من اسرة نبوخذنصر الى احد الامراء الوطنيين بعد حدوث
اضطراب سياسي كبير . فوجد ملوك مادي بذلك الانتقال
فرصة مناسبة وعذراً مشروعاً لحل اتفاقهم الودي مع ملوك بابل .
واخذ ملك مادي في تدبير الهجوم على حليفته لكنه شغل
بقيام دولة الفرس داخل بلاده . والغريب ان في ذلك الوقت
الحرج عندما كانت الاعداء شاخصة الى بابل من كل صوب
كالذئاب الخاطفة كان احد ملوكها يهتم ببناء الهيكل ارضاء
لشعور الكهنة تاركا الامور السياسية الى القضاء والقدر .

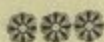
(١٤٥) قبام كوروش الفارسي . كان يعيش ضمن حدود المملكة المادية في الشمال الشرقي من خليج العجم قبيلة فارسية تعرف بقبيلة انشان ، امتاز افرادها بشدة البأس والسطوة والابدان القوية . وكانت هذه القبيلة تحت امره اميرها او مرزبانها خاضعة لحكم الماديين . وكان حوالى سنة ٥٥٠ ق . م . ابن احد امراءها المدعو كوروش يخدم في بلاط الملك المادى اتباعاً للعادة الجارية في ذلك العهد وهي ان الامراء كانوا يرسلون اولادهم ليتربوا في قصور ملوكهم . وكان كوروش على جانب عظيم من الذكاء فشاهد بام العين مفسد البلاط ومواطن الضعف فيه فغرض والده الامير على الثورة ضد الماديين ونيل الاستقلال . فاذعن والده عن غير رضى منه واخيراً هرب من البلاط فانضم لايه ورجاله لكن اباه قتل في الحرب خلفه في القيادة وكسر شوكة الماديين ومع انه لم يطمع في ذلك الوقت الا بنيل الاستقلال اصبح بعد جهاد قصير سيد مادي ومزاحم البابليين . على انه لم يوجه نظره الى بابل بعد ذلك بل تقدم الى آسيا الصغرى حيث كان ملك ليديا فقهره وقبض على ممتلكاته

واراضيه رغم ما حاوله هذا الملك من عقد التحالف مع مصر وبابل .
ولم يمض بضعة سنين حتي أصبح كوروش الفارسي صاحب السلطان
والبطش وبطل اسيا الغربية . وكان الكلدانيون ينظرون اليه
بنظر الخوف والوجل .

(١٤٦) سقوط بابل عاصمة الكلدان سنة ٥٣٨ ق م . بينما كان
كوروش الفارسي يستعد الاستعدادات اللازمة للهجوم على بابل
كان ملك بابل يهتم في ارضاء الكهنة واقامة الهياكل كما جاء قبلاً
مستنداً في الحرص على المملكة ودفع المهاجمين عنها على مناعة
اسوار مدينته وحصارها هائلاً بالاعداء وبقواهم زاعمين انه من
المحال اختراق تلك الاسوار التي صرف السنين الطوال في
تشبيدها . ولكي يامن شر الحصار الطويل وقطع موارد الموءونة
عن السكان جمع داخل الاسوار ما قدر ان يجمعه من الاكل
وعندها امن شر كل مهاجم على زعمه .

لكن كوروش الذي سهر الليالي على تحسين حالة جيشه
اغتنم الفرصة وكان من الحذق والمهارة في الفنون الحربية على
جانب عظيم فقسم جنوده الى فرقتين تراس واحدة منها وترك

رئاسة الفرقة الثانية لاحد مراكزه الاقوياء وزحف بهاتين
الفرقتين من جهتين مختلفتين على بابل . وعند ما بلغ نهر الفرات
صرف الوقت الطويل في حفر الاقنية لتحويل مجرى النهر . وبعد ان
تم ذلك تمكن هو ورجاله من عبده فحاصروا مدينة بابل والتقى
بجيش الكلدان فقهره ودخل هو ورجاله المدينة دون ان يشهر في
وجههم سيف . وصدرت اوامره الى عساكره بمعاملة جميع من
في المدينة باللطف واللين وحرّم عليهم السلب والنهب وسفك
الدماء فشهد سكان اسيا الغربية منه معاملة لم يروا مثلها قبلاً
(راجع فقرة ١٣٠ و ١٣٣) . وبسقوط بابل تقلص حكم آخر دولة
سامية في الهلال المخصب وانحل حكمها في سوريا فدخلت هذه
بعد ذلك في ايدي الفرس .



اسئلة

ما الذي دعا الاشوريين يتبسطون نحو البحر المتوسط ؟ اية
دويلات وقفت في وجههم ؟ من هو اول ملك اشوري شاهد البحر المتوسط ؟
ماذا يذكر عن سفرته في سوريا ؟ من هو ثاني ملك بلغ البحر المتوسط ؟
اذكر المدن التي خضعت له ودفعت الجزية . كيف كان يعامل العصاة ؟
متى حصلت معركة قرقر ؟ من اشترك فيها ؟ ماذا كانت نتيجتها ؟ اذكر
عن سقوط دمشق في ايدي الاشوريين . هل خضعت سوريا تماماً
للأشوريين بعد فتحهم اياها ؟ لماذا ؟ ما الذي ساعد مدينة صور على
الوقوف زمناً طويلاً في وجه الاشوريين ؟ كيف كان الاشوريون
يعاملون السوريين ؟ ماذا كان تأثير ذلك على الحكم الاشوري في سوريا ؟
ماذا تعرف عن حصار السامرة وسقوطها في يد الاشوريين ؟ لمن كانت اليد
الطولى في تحريك الثورات على الاشوريين ؟ ما هي اسباب سقوط الدولة
الاشورية ؟ ما هي اهمية اتحاد الكلدان والماديين ضد اشور ؟ في اي سنة سقطت نينوى ؟
هل استفادت سوريا في انتقالها من ايدي الاشوريين الى حكم
الكلدان ؟ على من كانت اورشليم تعتمد في قيامها على الكلدان ؟ هل
كانت تنجح ؟ ماذا كانت نتيجة هذه الثورات ؟ كيف كانت احوال
اليهود في السبي البابلي ؟ ما هي التحسينات التي قام بها نبوخذنصر في
بابل ؟ ما هو الدور الذي لعبه المسييون في هذه التحسينات ؟ بماذا كان
ملوك بابل يهتمون عند قيام كوروش الفارسي ؟ اذكر ما تعرفه عن سقوط
مدينة بابل في ايدي الفرس .

الفصل العاشر

حكم الفرس في سوريا

احوال سوريا عموماً على زمن الفرس

(١٤٧) اطلق اليهود من الاسر . وحالما استولى كوروش الفارسي على مدينة بابل سمح لليهود بالرجوع الى فلسطين بلاد اجدادهم . ويقال انه اعاد اليهم آنية الفضة والذهب التي عثر عليها في جزينة بابل والتي كان الكلدان قد سلبوها من هيكل اورشليم كما جاء سابقاً (فقرة ١٤١) وقد ساعد اليهود كثيراً وسهل لهم ترميم هيكل سليمان في اورشليم وطلب الى الفينيقيين ان يمدوهم بالمساعدة ويرسلوا لهم الخشب ففعلوا رغبة بالبرج والتجارة . ولا بد من انه فعل كل ذلك مدفوعاً بعاملين : اولاً مكافأة اليهود على مساعدتهم التي قدموها في اثناء حصار مدينة بابل . وثانياً إنشاء مستعمرة يهودية ، في فلسطين بتخذها صديقة له ومركزاً حربياً يمكنه من مهاجمة مصر .

غير ان كثيرين من اليهود كانوا قد بنوا بيوتاً واشتروا املاكاً وراجت تجارتهم جيداً في بلاد بابل فابو العودة الى ارض فلسطين الجرداء وفضلوا الاقامة في العراق ولم يرجع الى ارض الميعاد الا فرقة من المتدينين يقودها ششبصر ابن الملك يهوياكين من سلالة داود .

(١٤٨) الاسطول الفينيقي في خدمة الفرس . وخلف كوروش ابنه كمبيز سنة ٥٢٩ ق . م . فوجه اهتمامه الى مصر التي كانت قد ادعت تملك جزيرة قبرص وارادت ان تسلمها عن الاملاك التي ورثها الفرس عن الكلدان ، وجيش جيشاً كبيراً لكنه كما نعلم كان مفتقراً الى اسطول ينازل به الاسطول المصري ان اقتضى الامر فالتجأ الى الفينيقيين الذين كانوا يملكون اكبر قوة بحرية على شاطئ البحر المتوسط . ولا نعلم اي طريقة استعملها في اقناعهم على مساعدته ، الوعود ام الوعيد . وعلى كل فانه لم يجارهم بل استسلم باللين ومنحهم الامتيازات العديدة منها عدم السماح للجنود الفرس ان يعسكروا داخل مدنها . وخفف عنهم الجزية وابقى لهم استقلالهم القديم فكان لكل مدينة ملكها وبلديتها

لا يتدخل الفرس بشيء من شؤونها .

على هذه الشروط أقدم الفينيقيون على مساعدة الفرس فامدوهم باسطول قوي واذ علم سكان قبرص بانضمام الفينيقيين الى دولة الفرس ثاروا على المصريين وحالفوا الفرس وجعلوا اسطولهم قيد خدمتهم فاصبح الاسطول الفارسي المؤلف من المراكب الفينيقية والقبرصية واليونانية صاحب الحول والطول لا ينازعه منازع في مياه البحر المتوسط .

(١٤٩) كميز يحمل على مصر سنة ٥٢٥ ق.م . ومشى

كميز بجيشه الى مدينة غزة حيث عقد اتفاق مع رؤساء القبائل ليقدموه الماء ويسهلوا عليه عبور الصحراء بين فلسطين ومصر . فارسلوا قوافل الجمال تحمل قرب الماء الى جهات عديدة تنتظر قدوم الجيش الفارسي لتجهزه بالمياه اللازمة .

وتمكن الفرس من عبور الصحراء المحرقة دون ان يصابوا باذى فالتقوا بالمصريين قريباً من بورت سعيد فقهرهم ودخلوا ممفيس عاصمة القراعنة فدانت لهم جميع البلاد المصرية . غير ان كميز لم يقف عنده هذا الحد بل اراد ان يستولي على ساحل افريقيا

الشامي . وكانت مدينة قرطجنة سيدة تلك المقاطعة ، فطلب الى الاسطول الفينيقي ان يساعده على القيام بهذا العمل فابى الفينيقيون عليه ذلك واستنكروه بحجة انه لا طاقة لهم على محاربة اقاربهم واولادهم . فقع كمين هذا الجواب اما خوفاً من ان يثير حرباً على اعوانه الفينيقيين لا يعلم ماذا تكون نتائجها او احتراماً لعواطفهم وتقديرأ لها . لكنه لم يعدل عن عزمه هذا فقد ارسل حملة مؤلفة من خمسين الفا الى واحة آمون في الصحراء شرقي مصر فبادت عن بكرة ابها وقد يكون سبب هلاكها هذا زوبعة هوجاء في وسط الرمال المحرقة . ولم يسمع عنها شيء بعد ذلك .

(١٥٠) فشل كمينز وموته في سوريا بينما كان رابعاً من مصر . ثم حمل كمينز على بلاد النوبة والحبشة لكنه بعد ان توغل جنوباً قلّ لديه الاكل والماء فاضطر الى التقهقر بعد ان كابد مصاعب جمة وخسائر فادحة . وعند وصوله الى ممفيس وجد الاهالي يحتفلون بتكريس ايس (وهو العجل الذي كان يعبداه قدماء المصريين) فسأه الامر وظنهم مغتبتين بانكساره

الفضليخ ، فالقي القبض على القضاة والكهنة وامر باعدامهم ،
وطعن العجل المحتفى به بفخذه فمات بعد ذلك بيضعة ايام وامر
بقتل شقيقته وافراد كثيرين من حاشيته . ولا بد من انه فعل
جميع ذلك مقوداً بعامل جنوبي .

وغادر القطر المصري سنة ٥٢٢ ق م . مسرعاً الى بلاده
ليقتص من احد القواد الذي اغتصب الملك في غيابه وحكم باسم
اخيه الصغير ، وكان كمبيز قد اعدم اخاه قبل قدومه الى مصر وحفظ
ذلك سراً فلم يعلم به احد . غير ان القائد المغتصب كان
يشبه اخا الملك الصغير تمام الشبه فوضع الشعب له ظناً منه انه
اخو كمبيز لكنه لم يفتأ ان اكتشف امره فهاج عليه وقتله .

اما كمبيز فقد قيل انه بينما كان يمتطي جواده جرح في
فخذه في المكان الذي طعن فيه العجل ايبس . وكان ذلك في
مدينة تدعى اكبثانا في شمالي سوريا . وقيل ايضاً انه انخر يأساً
من قهر الملك المغتصب واسترجاع العرش بينما آخرون يظنون
انه اغتيل اغتيالاً .

(١٥١) حكم داربوس الاول ونظيمه الملك . وعقب

موت كمبيز فوضى عمت بلاد الفرس من اقصاها الى اقصاها .
وهب كثير من حكام المقاطعات يطلبون استقلالهم . غير ان
شخصاً من ذوي الشدة والبأس قام في وسط هذا المعترك فضرب
على ايدي الثوار وقهرهم جميعاً وحكم باسم داريوس الاول ولقب
بالكبير . وبعد ان وطد اركان المملكة واعاد مياه الامن الى
مجاريها حول همه الى التنظيم الاداري ومنع الثورات والفتن ،
فقسم المملكة الى عشرين « مرزبانه » (منطقة) وعين على رأس
كل واحدة ثلاثة مامورين يحكمون مستقلين الواحد عن الآخر .
الاول : مرزبان يعين من الرعية الفارسية بقطع النظر عن
جنسيته ودرجته في الهيئة الاجتماعية (الا في المقاطعات الممتازة
فيعين عندئذ ممن لهم علاقة قرابة بالعائلة المالكة) . ولهذا
المرزبان السلطة المطلقة في جميع القضايا المدنية . وكان عليه ان
يحفظ الامن في منطقته ويجري العدل ويجمع الجزية وكان
له قصر فخم وحرس ملكي ومنتزه رحب (فردوس) حيث يتمتع
نفسه بالصيد .

الثاني : وكيل نظارة ، وممثل الملك في ظاهر الامر . واما

وظيفته الحقيقية فكانت تجسس الاخبار وارسال التقارير السياسية الى البلاط .

الثالث: قائد جيش يرأس العساكر الفارسية والوطنية المقيمة في المقاطعة . وقد كان في غالب الاحيان يُنتخب من اعداء الماموريين السابقين وذلك لجعل الاتحاد بين الثلاثة متعسراً . وقد كانت سوريا وفينيقية وقبرص تؤول لفرزبانة الخامسة من المملكة الفارسية . غير ان المدن الفينيقية مع وجود هذا النظام الجديد كانت كل واحدة تتمتع باستقلالها الداخلي وادارة شؤنها، لها ملكها الخاص وحكامها الوطنيون . لكن لم يكن لها الحرية في عقد المعاهدات مع الممالك الاخرى واثارة الحروب . وكان عليها ان تدفع كمية معينة من الجزية في اوقات السلم وان تقدم فوق ذلك الاعانات المالية والتجندات العسكرية في ايام الحروب . (١٥٢)

ماذا استفاد السوربون من الحكم الفارسي . وقد اهتم داريوس في تحسين التجارة وزيادة موارد البلاد الواقعة تحت حكمه فوصل اطراف المملكة المتباينة بطريق سلطانية معبدة تمتد من ساردس في اسيا الصغرى الى مدينة شوشن في بلاد العجم

مسافة ١٥٠٠ ميل هذا ما عدا الطرق الصغيرة التي تتفرع منها الى سائر الجهات . وكان ينتشر على هذه الطريق في مسافات معينة عدد من المحطات العسكرية وفيها مراكز البريد وخيول مضمرة لنقله في اقصر ما يمكن من الوقت .

وقد استفاد الفينيقيون من هذه التسهيلات كثيراً فحملوا تجارتهم الى سائر جهات المملكة . وقد ساعدتهم أيضاً توحيد النقود في سائر الانحاء فان داريوس ضرب سكة النقود الفضية والذهبية باسمه (دارك) . وشاع استعمالها حتي اصبحت اساس المعاملات التجارية آنشد . وفتح داريوس (او اتم فتح) قناة السويس ووصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر فانبرس التجار الفينيقيون يتاجرون مع بلدان البحر الاحمر وسكان الشرق الاقصى .

وبوجه عام كان السوريون وخصوصاً الفينيقيين يعيشون في مجبوحة من العيش والامن وكانت الجزية السنوية المتوجب عليهم دفعها الى الخزينة زهيدة بالنسبة لرواج اشغالهم . فلكمية المفروضة على المرزبانة الخامسة (قبرص وفينيقية وسوريا)

كانت تبلغ ٣٥٠ وزنة من الفضة (٨٤٠٠٠ ليره انكليزية) اي حوالى عشرة غروش ذهبية على الرجل الواحد .

(١٥٣) **مروب الفرس واليونان** . وكان اتساع حكم الفرس غرباً داعياً الى احتكاكهم باليونان واشتباكهم معهم في حرب دامية . وسبب ذلك ان الاثينيين امدوا يونان اسيا الصغرى الذين كانوا من رعايا الفرس بالمساعدة الحربية وحرصوهم على القيام في وجه حكامهم فشق ذلك على داريوس الكبير وعزم على الاقتصاص منهم . وقد قيل انه امر خادمه ان ياتيه مرةً وقت الاكل ويعيد على مسامعه العبارة الآتية . «تذكر يا سيدي الاثينيين» لانه اراد ان يعاقبهم عقاباً شديداً . واخيراً جهز عليهم سنة ٤٩٢ ق م . غير ان الاسطول الذي كان يرافق الجيش ويحمل له المؤن والذخائر تحطم على الصخور قريباً من جبل اثوس فعدل الفرس عن غزيمهم في تلك السنة لكنهم اعادوا الكرة سنة ٤٩٠ ق م . ونازلوا اليونان في وقعة مرثون الشهيرة فاندحروا وعادوا على اعقابهم خاسرين . وعقب هذا الفشل موت داريوس فقام ابنه زر كسيس

و درس الخطة التي رسمها والده ، ثم شرع في تنفيذها فحشد جيشاً يبلغ زهاء ٣٠٠٠٠٠ مقاتل واستعان بالفينقيين والمصريين وغيرهم من الامم البحرية . وجمع اسطولاً كبيراً مؤلفاً من ١٢٠٧ مراكب حربية و ٣٠٠٠ مركب شحن . ثم تقدم بهذه القوات العظيمة الى بلاد اليونان براً وبحراً فوصلها سنة ٤٨١ ق م . ونازل اليونان في بضع معارك برية وبحرية فاستظهرت عليه اليونان اخيراً وتراجعت تلك الموجة الشرقية الى حيث نشأت وترعرعت .

(١٥٤) اعمال الفينقيين في حرب الفرس واليونان . لا شك في ان الفينقيين لعبوا دوراً خطيراً في حرب الفرس واليونان ، فان الاسطول الذي استعمله داريوس كان قوامه من المدن الفينيقية وفي مقدمتها مدينتا صيدا وصور . ولما حمل زر كسيس على اليونان سنة ٤٨٥ ق م . كان ما قدمه الفينيقيون ٣٠٠ مركب حربي اي ربع الاسطول الفارسي ، هذا فضلاً عن المهارة التي اظهروها في اثناء الوقائع الكبيرة كوقعة سلاميس وغيرها .

واراد زر كسيس ان يختبر مقدرة المراكب التي يتالف منها

اسطوله فاقام سباقاً جعل الاشتراك فيه مباحاً للجميع وحضره
بنفسه فكان المجلي فيه مركب صيداوي مما ضاعف ثقة الملك
بمهارة الصيدونيين وكان بعد ذلك كلما اراد ان يحترط لمركباً
صيدونياً .

وظهرت حذافة الفينيقيين ايضاً في بناء الجسر العائم في
بوغاز البوسفور فتمكنت الجيوش الفارسية من العبور عليه الى
الجهة الاوروبية بمعداتها ولوازمها الحربية . وجلس زر كسيس على
عرش من الرخام أعد له ايشاهد عبور الجيش على الجسر .
ولما انتهى سكب زيتاً مقدساً ورمى كأساً ذهبية وسيفاً قصيراً في
البحر مقدمة لاله البحر . ولما وصل الجيش الى جبل اثوس امر
زر كسيس بجفر ترعة في البرزخ الذي يصل الجبل بالبر ليمنع
تكرار الفاجعة التي حصلت في زمن ابيه . واراد بذلك ان
يبقى الاسطول ملاصقاً بالبر ليكون على مرأى من الجيش لتبادل
المعاونة وقت الشدة . وهنا ايضاً اظهر الصانع الفينيقون براعة
هندسية في حفر الترعة فجعلوا عرضها في اعلى ضعفه في اسفل .
وقصارى الكلام ان خدمات الفينيقين للفرس كانت حجة .

انقلاب الفرس على السوريين وحلول عهد التنافر بين الفريقين

(١٥٥) انهمام الفينيقيين بالنجاة . ورغم ما قدمه
الفينيقيون من المساعدة للفرس في حروبهم اليونان كما تبين
(فقرة ١٥٤) فان زر كسيس اتهمهم بالخيانة وذلك بعد ان
شهد انكساره الفظيع في معركة سلاميس البحرية فوجه اللوم
عليهم لان معظم الاسطول الفارسي كان من مراكب الفينيقيين .
وقد كانت سبب انكسار الفرس مراكبهم التي كانت كبيرة
الحجم فلم تقدر ان تتنقل بسرعة في بوغاز سلاميس الضيق .
وقد كانت في اثناء المعركة مرتبة في ثلاثة صفوف الواحد امام
الآخر فلما ارادت مراكب الصف الامامي ان تراجع امام ضغط
العدو اصطدمت بالمراكب الاخرى فخطم بعضها مجاذيف بعض
وغرق منها عدد غير قليل بسبب هذا الاصطدام . وكان مجموع
المراكب الفارسية التي تلفت في هذه الواقعة يبلغ على ما قيل
خمسة مراكب . وقد كانت الراي بشاهد الملاحين البائسين
يتسلقون الصواري البارزة فوق مياه سلاميس فيلاقون حتفهم

ببد عدوهم بينما يحاولون النجاة من الغرق.

ولما تقدم الفينيقيون الى زر كسيس يشكون اليه خيانة اليونان الذين في خدمة الفرس ، وكان زر كسيس آنثذ متحمساً يشاهد شجاعة مر كب يوناني في خدمته ، انقلب غضبه على روه وسهم فقبض على بعض قوادهم وقتلهم . وعندما ادرك الباقون ما حل باخوانهم خافوا ان يمتد غضب الملك اليهم فانسحبوا ليلاً الى شواطئ اتيكا ومن هناك عادوا الى بلادهم . ولم يسمع عنهم بعد ذلك انهم خدموا في الاسطول الفارسي لمدة ١٥ سنة .

(١٥٦) بد ، النفور بين الفينيقين واسيادهم الفرس . وبعد اندحار الفرس في حروبهم مع اليونان اخذت قواهم تضعف شيئاً فشيئاً وهب بعض رعاياهم كالمصريين والقبرصيين واعلنوا العصيان فوجد الفرس صعوبة كبيرة في اخضاع فتنهم .

وبداً الفينيقيون يستخفون بقوى الفرس ، ومع انهم خدموا في الاسطول الفارسي مراراً بعد موقعة سلاميس فانهم لم يخلصوا ذلك الاخلاص الذي اعتادوه قبلاً . وتزعزع وفاءهم السابق لاسيادهم ، فاستقبلوا ملكك قبرص الثائر على

السلطة الفارسية في مدينة صور . وكانت اثينا قد امدته بالمساعدة البحرية ونجده المصريين فاشتد ازره . غير ان الفرس عقدوا صلحاً مع الاثينيين فكف الاثينيون عن مساعدة الملك الثائر وتمكن الفرس من اخضاعه وارغامه على ترك فينيقية لكنهم ابقوه ملكاً على قبرص . وعاد الفينيقيون الى حظيرة الفرس لكنهم لم يخلصوا لهم بعد ذلك .

(١٥٧) هرب المرازبة واستراك الفينيقيين فيها . ولما شعر رعايا الفرس بضعف دولتهم وشاهدوا فشلها في اخماد الثورة في مصر سنة ٣٧٥ ق . م . علموا علم اليقين ان شمس مجدها آذنت بالافول فانثروا عليها حرباً عواناً في المقاطعات الغربية عرفت « بحرب المرازبة » . وعم الاضطراب جميع الانحاء واشترك فيه الفينيقيون فاتحدوا مع الثائرين . واغتنم ملك مصر الفرصة فزحف على سوريا فاستقبله السوريون بالحفاوة والاکرام ولا شك في انه لو كان قوي العزيمة لكان قضى على المملكة الفارسية غير ان الفرس لجأوا الى الدهاء والرشوة والخيانة كما اعتادوا ان يفعلوا ففرقوا الثائرين وتمكنوا من ارجاع جميع البلاد ما عدا

مصر الى حكمهم .

(١٥٨) مو، نمر طرابلس واعلان الثورة على الفرس .
واعتاد الفينيقيون ان يجتمعوا في مدينة طرابلس مرة في كل
سنة ليعثوا في شؤنهم الخاصة دون ان يعترضهم الفرس بامر
من الامور . وفي سنة ٣٥٢ ق م . اجتمعوا كعادتهم وقرروا
اعلان استقلالهم وطرد الفرس من بلادهم لان مراغبة الفرس
وقوادهم كانوا في المدة الاخيرة التي سبقت المؤتمر يعاملونهم
بالشدة والقساوة . وشرعوا يستعدون لتعبية الجيوش وتعمير
الاسطول وخابروا ملك مصر بذلك فانجدهم باربعة الاف من
مرتزقة اليونان .

ولما تهيأت لديهم المعدات الكافية اعلنوا عصيانهم وهجموا
على الموظفين الفرس في مدينة صيدا وذبجهم وقطعوا الاشجار
في الروض الملكي قريباً من صيدا وهدموا قصر الحكومة الكائن
فيها . وسارت الجيوش الفارسية المرابطة في سوريا وقيليقية
لاخضاعهم فنازلوها في الميدان وقهروها .

(١٥٩) قدموم امثوبروش الثالث (اوخس) تارابب العصاة .

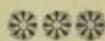
وكان اذ ذاك على عرش الفرس ملك قبيح مستبد غريب الطباع يدعى
احشويروش الثالث ويلقب اوخس . ومما يدل على غرابة طباعه
واستبداده انه عند اعتلائه العرش قتل جميع امراء العائلة المالكة
لكي يامن شر المنازعين .

ولما علم بثورة الفينقيين غضب كثيراً وجيش جيشاً مولفاً
من ٣٤٠٠٠٠ مقاتل وتقدم به الى صيدا وكان ملكها تبنيث
(اوتنيس) قد حصنها وحفر الخنادق خارج السور وجمع مئة
مركب في الميناء للمحافظة وقت الحاجة واعده الموءن الكافية
وتاهب لصد الفرس عن مدينته .

(١٦٠) مربي صيدا واهلاك أهلها سنة ٣٥١ ق . م .
وكان تبنيث ملك صيدا يخاف على حياته كثيراً فلما علم بقدوم
القوات الفارسية الهائلة اعتراه الخوف ووقع في ارتباك عظيم
نجدع مئة من اعيان المدينة وسلمهم الى ملك الفرس واوفد اليه
سراً رسولا يطلب منه ان يوءنه على حياته فيسلمه المدينة
ويساعده على فتح مصر . اما اوخس فقتل المئة شخص والقي
القبض على تبنيث . وخرج اليه وفد من اعيان المدينة موءلفاً من

خمس مئة شخص يحملون الاغصان الخضراء علامة الخضوع والطاعة وطلبوا اليه الامان على نفوسهم وعيالهم فقبض عليهم وقتلهم .

ولما علم اهل المدينة بالقساوة التي استعملها ملك الفرس فضلوا الموت على الذل والعبودية وآثروا ان يقتلوا انفسهم ويهدموا مدينتهم بايديهم من ان يسلموها عامرة الى ايدي العدو فاحرقوا المراكب في الميناء ودخلوا بيوتهم وجمعوا عيالهم فيها واحرقوها بالنار فهلك في صيداء على ما قيل اربعون الف نفس . وبعد انتهاء المعركة جازى الملك تبنيث الخائن بالقتل اذ لم يعد في حاجة اليه ، وسمح لبعض التجار بالتمتيش عن الذهب والفضة والاشياء الثمينة بين خرائب المدينة لقاء مبلغ من المال . وحدث ذلك سنة ٣٥١ ق م . فاخلدت فينيقية الى السكينة وتمكن الفرس اذ ذاك من اخضاع مصر لكن الدولة الفارسية انتعشت في هذه المرة انتعاشة الموت لانها سقطت بعد ثمانى عشرة سنة في يد الاسكندر الكبير كما سيجي في الفصل الآتي .



اسئلة

من اطلق اليهود من الاسر ؟ لماذا ؟ هل رجعوا جميعاً الى ارض الميعاد ؟ لماذا ؟ كيف كانت سياسة الفرس مع الفينيقيين ؟ لماذا اتبعوا هذه السياسة ؟ من من ملوك الفرس حمل على مصر ؟ هل نجح في حملته ؟ كيف هيج شعور المصريين عليه ؟ لماذا اضطر الى العودة الى بلاده قبل ان ينجز فتوحاته ؟ اي خطة فتوح وضعها اثناء اقامته في مصر ؟ هل قدر على اتمامها ؟ لماذا ؟ ما هي التنظيمات التي اجراها داريوس الكبير في المملكة الفارسية ؟ ماذا لحق سوريا منها ؟ ما هي اسباب حروب الفرس واليونان ؟ ما هو الدور الذي لعبه الفينيقيون فيها ؟ لماذا اتهم الفرس الفينيقيين بالخيانة في حروبهم ضد اليونان ؟ ماذا كانت تاثير ذلك في نفوس الفينيقيين ؟ ماذا تعرف عن مؤتمرات طرابلس ؟ ماذا كانت نتيجته ؟ صف اخلاق احشوروش الثالث . صف حملته الى سوريا . صف حريق مدينة صيدا . في اي سنة حصل ذلك ؟

الفصل الحادي عشر

حروب الاسكندر في سوريا

اندحار جيوش الفرس امام قوات الاسكندر وخضوع
شمالي سوريا له

(١٦١) قهرم الاسكندر الى سوريا وما كاد الاسكندر
يخلف اياه على عرش مكدونيا سنة ٣٣٦ ق م . حتى باشر في
الاستعداد للهجوم على المملكة الفارسية . وكان الاسيويون عارفين
بعزمه حق المعرفة . وقد قام رجل من جزيرة رودوس ماهر
في تدابير الخدع الحربية ونصح الفرس ان يجمعوا كل مالدتهم
من القوات البحرية ويجابهوا الاسكندر في البحر الابيحي ويمنعوا
عليه المرور الى الشاطئ الاسيوي ويهددوه بمهاجمة مكدونيا
فيضطر الى العدول عن وضع خططه في حيز العمل . غير ان
الفرس توانوا وكسلوا ولم يصغوا الى النصائح التي اسديت اليهم .
وكان القواد الفرس في آسيا الصغرى يحتقرون الاعمال البحرية

ويكرهون الفينيقيين ويستنكرون الالتجاء اليهم وطلب المعونة منهم وخصوصاً بعد ان شاهدوا عدم اخلاصهم لهم . وفوق ذلك فقد ظنوا انهم قادرون على قهر القوات المكدونية براً فلا حاجة اذن الى الاستعانة بالاسطول . ومرت الفرصة السانحة مرور البرق واجتاز الاسكندر بوغاز البوسفور بجيش يبلغ ٣٥ الفاً التقى بالفرس قريباً من نهر غرانكس في الشمال الغربي من اسيا الصغرى . وانتصر عليهم لأول مرة سنة ٣٣٤ ق . م .

(١٦٢) زحف الاسكندر على ابواب سوريا . وسار الاسكندر بعد ان فتح اسيا الصغرى الى ابواب سوريا . وكان داريوس الثالث قد علم بقدمه فحشد جيشاً كبيراً من الفرس واليونان المستاجرين يبلغ عدده ثلاثمائة الف مقاتل في ادنى درجة وزحف به شمالاً للملاقاة عدوه . فعسكر قريباً من انطاكية . غير ان مرتزقة اليونان الذين في خدمته الحووا عليه بالزحف شمالاً لمفاجأة الاسكندر فطاوعهم في رغبتهم . وبينما كان الجيش الفارسي يجتاز الممر الضيق بين اسيا الصغرى وارض العراق كان الجيش المكدوني بقيادة الاسكندر يزحف جنوباً

في ممر ايسوس المؤدي الى سوريا . وكان يفصل بين الممرين سلسلة جبال فلم يعلم الجيشان احدهما بالآخر . ولما أخبر الاسكندر ان داريوس قد اجتاز المضيق بجيشه واصبح وراءه وانه قبض على الجرحى المكدونيين في المستشفيات في اسيا الصغرى وقتلهم بغت وارسل الكشافه البحرية لتأتيه بالخبر اليقين . فعادت موء كدة له صحة القول . فاخذ الاسكندر يرسم الخطة الحربية ويتاهب للقتال .

(١٦٣) معركة ايسوس (سنة ٣٣٣ ق م) . فجمع قواده ورجاله ووقف فيهم خطيباً واخذ يعدد مناقب المكدونيين في الحذق والفنون الحربية التي يمتازون بها على اقرانهم الفرس ويحثهم على الثبات والشجاعة . ثم عاد بالجيش شمالاً الى حيث يتسع الممر قليلاً (نحواً من ميل ونصف ميل) ويحيط به البحر من الجهة اليسرى وجبل منحد من الجهة اليمنى . وقد كانت هذه الفسحة ضيقة لا يفسح فيها المجال لأكثر من ٦٠٠٠٠ جندي للاشتراك في المعركة في آن واحد . ولما بدأت المعركة انزل الاسكندر ثلاثين ألفاً وانزل داريوس مثلها عدداً فلم يستفد من

الجيوش الباقية ولم يغنه عدده الكبير فتيلاً . وبلغ الاسكندر ذلك المكان عند منتصف الليل . وفي الصباح الباكر رتب فرق الجيش واعدها للقتال فعزز الجناح الايسر خوفاً من ان يتمكن الفرس من تطويقهم ، ووضعه تحت قيادة پرمينيو احد قواده العظام . وقاد هو بنفسه الجناح الايمن وكان معه عدد كبير من الفرسان والرماة المكدونيين والثساليين . غير انه قبل ابتداء المعركة بقليل لاحظ ان الفرس عززوا جناحهم الايمن وتراجعت فرسانهم وانضمت اليه ، فخاف على پرمينيو وفرقه فامر الفرسان الثساليين ان ينسلوا وراء الجيش مترجلين لئلا يراهم العدو ويشدوا ازر الجناح الايسر ففعلوا .

ودارت رحى الحرب بين الفريقين وحمي وطيسها فانقض الاسكندر بمن معه على ميسرة الجيش الفارسي وامطرها وابلاً من النبال فانهزمت امامه . ثم عبر بفرقه نهر پناروس الكائن بينه وبين الجيش الفارسي وهجم على قلب جيش العدو بسرعة فائقة لينجوا من نباله الحامية . فاصبح الجيشان وجهاً لوجه ولجأت العساكر الى استعمال الحراب والخنجر عوضاً عن السهام والنبال .

وكان الاسكندر يتنقل بخفة بين جنوده وقواده يستنهضهم ويدهوهم باسمائهم ويشجعهم في تلك الساعة الرهيبة بكلمات الحماسة وعبارات الثناء والمدح . اما ميسرة الجيش المكدوني فقد عانت الامرين بوقوفها في وجه مينة الفرس الموءلفة من فرسانهم ومرتزة اليونان الذين ارادوا ان يثبتوا لمنافسيهم المكدونيين انهم اصلب عوداً منهم واثبت قدماً في ميادين القتال . غير ان ملك الفرس انهزم امام الاسكندر وتبعته ميسرة الجيش وقلبه . ثم اقتفت المينة اثر الهاريين .

وبقي الاسكندر وجيوشه يطاردون الفرس المنهزمين ويعملون السيف في رقابهم الى ان اسدل الظلام ذيوله فارتدوا عنهم بعد ان قتلوا منهم على ما قيل تسعين الفا من المشاة وعشرة الاف فارس . ووقع بين ايدي المكدونيين عدد كبير من الاسرى بينهم ام الملك وزوجته واخته وابنه وابنتاه وعدد من الحرم والوصيفات فضلاً عن الغنائم والاسلاب التي وجدوها متروكة في ساحة القتال ومن جملتها ثلاثة الاف وزنة من الفضة (نحو ٧٢٠٠٠٠ ليرة انكليزية) .

(١٦٤) اهلدم الاسكندر بعد معركة ابوسس ٠ على ابواب سوريا وقف الاسكندر الشاب بعد انتصاره الباهر الذي احرز في ابوسس وقفة اعجاب وطموح ، فاغمض عينيه ونظر بعين الخيال فتراءت له من بعيد مملكة عالمية كبيرة واسعة الاطراف تجمع بين الشرق والغرب هو الهها ورأسا ومدير دفتها . فقرر مهما كلفه الامر ان يجعل تلك الاحلام حقيقة محسوسة . وقام قواده ومستشاروه فنصحوا له ان يقنع بما احرز من النصر ويعود الى بلاده فان اباه كان يحلم في جعل نهر هاليس حدا بينه وبين الفرس ، اما هو فقد تجاوز ذلك الحد وابتعد الفرس عنه فلا يقدر ان يعدها ان يزعمجوا اليونان كما كانوا يفعلون قبلاً . هذا فضلاً عن انه اذا اطلق لنفسه العنان في مطاردتهم فان اساطيلهم في مياه فينيقيا ومصر تسير الى ارض اليونان فتهيج اعداءه عليه وتخرب بلاده .

ولا شك في ان هذه النصائح كانت صادقة غير ان اصحابها لم يكن لهم نظر الاسكندر الثاقب ليشاركوه في احلامه . اما هو فاقنعهم بعزمه وقرر الزحف على سوريا ومصر اولاً رغم ما

يخسره من الحاق بالجيش المهزيم واخذه على حين غرة قبل ان يجمع قواه ويستعد للقتال . وذلك لينزع الاسطول من يد الفرس ويأمن شمر الثورات والفتن ويحفظ المواصلات بين الجيش المكدوني وبلاد اليونان .

(١٦٥) وفود الفرس لتمس الصلح من الاسكندر . وبينما كان الاسكندر في مدينة ارواد جاءته رسل داريوس وعرضت عليه عقد الصلح وتوسلت اليه ان يطلق سراح ام الملك وزوجته وابنه وابنته فما كان من الاسكندر الا ان اجاب بكبرياء وتعجرف قائلاً « اذا كان ملككم يرجو عودة انسابه اليه فليعترف بي سيداً على اسيا ويسلم نفسه في قبضي . اما اذا كان بنوي خلاف ذلك فالحرب بيني وبينه » .

وبعث داريوس الى الاسكندر بعد ذلك بستة اشهر (في اثناء حصار مدينة صور) يلتمس منه الصلح ويعرض عليه مقابل ذلك عشرة الاف وزنة من الفضة (نحو ٢٤٠٠٠٠ ليرة انكليزية) وجميع الاراضي الواقعة غربي نهر الفرات واحدى بناته لتكون زوجة له للتمكن عرى الصداقة بين الاثنين . فجمع الاسكندر

مستشاريه وبسط لهم الشروط المذكورة فوقف پرمينيو وقال
 « لو كنت انا الاسكندر لرضيت بذلك وكفيت نفسي شر
 التعرض للمخاطر » فاجاب الاسكندر فوراً « وهكذا افعل انا
 لو كنت پرمينيو لكن بما اني الاسكندر فقد جابوت داريوس
 غير ذلك اما المال الذي يجرب ان يغريني بواسطته فهو ليس
 مطلبي واما البلاد التي اصبحت بكاملها تحت رحمتي فلماذا اقنع
 منها بجزء زهيد . واخيراً اذا شئت ان اتزوج من ابنة داريوس
 فمن يقدر ان يمنعني ؟ » .

وعند ما سمع داريوس هذا الجواب من الرسل قطع كل
 امل بابرار الصلح ولجأ الى التاهب للحرب ومنازلة الاسكندر
 في وقعة اخرى .

(١٦٦) استبدل الاسكندر على شمالي سوريا . وارسل
 الاسكندر بعد معركة ايسوس فرقة من الجيش بقيادة پرمينيو
 لتعقب اثر الفرس الذين هربوا الى دمشق . فقبضت عليهم في
 ظاهر المدينة واستولت على اموالهم وامتعتهم التي كانوا ينقلونها معهم
 وحملتها الى دمشق وحفظتها هناك حسب اشارة الاسكندر .

اما الاسكندر فزحف جنوباً على الساحل بجيوشه ، وكان
صدى الاعمال الوحشية التي اجراها الفرس في صيدا لا يزال
يتردد في ارجاء الشاطئ الفينيقي ففرح الفينيقيون كثيراً بمجيء
الاسكندر وجاءوا اليه معلنين خضوعهم واول من فعل ذلك امير
ارواد وحذا حذوه الجبيليون . اما الصيدونيون الذين طاروا فرحاً
يسقوط الفرس فقد ارسلوا الوفود ليلاقوا الفاتح ويدعوه الى
دخول مدينتهم . وعند ما وصلها الاسكندر كان ملكها متغيباً مع
الاسطول الفارسي وعلم انه يميل الى الفرس فخلعه ووكّل امر
انتخاب خلف له الى احد اعيان المدينة . فوقع الاختيار على
شخص له صلة قرابة بالعائلة المالكة واسمه عبد علونيم وقد كان
فقيراً لدرجة اضطرته الى ان يشتغل بستانياً . قيل لما دخل عليه
اثنان من اعيان المدينة بينما كان يحرق احد البساتين وكمّوه
بشان الملك بغت ولم يصدقهم في بادئ الامر . لكنهم اكدوا له
ما يقولون واعطوه الجبة والشارات الملكية وخاطبه احدهما قائلاً
« اغسل يديك واتزع عنك هذا الثوب القذر والبس بدلاً منه
حلة الملوك وتصرف بعقل الملوك ووقارهم ، ولكن تذكر ، وانت

جالس على العرش وفي يدك حياة الامة وموتها ، حالتك التي كنت فيها ولا تنس يوماً به تسلمت صولجان الملك .
وهكذا اصبحت جميع البلاد جنوباً حتى مدينة صيدا في قبضة الاسكندر .

فتح مدينة صور واخضاع جنوبي سوريا

(١٦٧) الوفد السوري بقبال الاسكندر . وعزم الصوريون على التسليم للاسكندر كباقي المدن الفينيقية . وكان ملكهم في الاسطول الفارسي عندئذٍ فانتخبوا وفداً من الاعيان وبينهم ابن الملك ليقابل الاسكندر في صيدا وينقل اليه الخبر المفرح . وكان يحمل له تاجاً من الذهب اشعاراً بالخضوع والطاعة ، فسر الاسكندر كثيراً وصرف الوفد شاكرًا بعد ان طلب اليه ان يبلغ اهل المدينة سروره وعزمه على تقديم الذبائح في هيكل الاله ملقارت في الجزيرة البحرية احتفالاً بذلك . ولا شك في ان الاسكندر لم يجهل منزلة صور بين المدن الفينيقية عندئذٍ وتفوقها على اقرانها في القوة البحرية وما كان لاسطولها من المقام السامي في مياه البحر المتوسط . واذا تركه فربما يسير الى الشواطئ اليونانية فيغربها

ويضطر الاسكندر الى العودة الى بلاده سريعاً . ولذلك قرر ان يخضعها تماماً ويحتلها احتلالاً عسكرياً .

(١٦٨) **الصوريون يرفضون طلب الاسكندر ويقررون المقاومة** . وعند ما علم اهل المدينة بعزم الاسكندر خامر الشك افكارهم وظنوا ذلك خدعة سياسية يقصد بها تذليلهم واضعافهم فارسلوا اليه يخبرونه انهم مستعدون ان يجاروه في كل ما يرغب ما عدا دخول مدينتهم . فاستشاط الاسكندر غيظاً عند سماع هذا الجواب وهدد الرسل قائلاً ان لم يفتحوا له ابواب المدينة صلحاً حطمتها تحطياً .

غير ان الصوريين لم يبالوا كثيراً بهذا التهديد لانهم انتظروا اشتغال الاسكندر عنهم باعدائه الفرس وتوقعوا مساعدة الاسطول الفارسي . وكان في المدينة آئذ وفد قرطجني فاكد لهم الاسعاف والمدد ان احتاجوا الى ذلك اما اخوانهم الفينيقيون فلم يحلموا بهم انهم سيقدمون على مساعدة الاسكندر ضدهم .

فبناءً على ما تقدم واستناداً على تاريخ مدينتهم المجيد ووقوفها مرات عديدة في وجه المهاجمين قرروا اغلاق ابواب المدينة في

وجه الاسكندر .

(١٦٩) بناء السد . وتقدم الاسكندر الى مدينة صور البرية فاستولى عليها ووجد ان لا بد له في محاصرة المدينة البحرية من الوصول الى اسوارها بجيوشه وعجلاته الحربية والات الحصار . ففكر في بناء سد عرضه ٢٠٠ قدم يصلها بالبر . (راجع وصف المدينة فقرة ٨٤) . غير ان هذا العمل يقرب من المستحيلات ولا يقدم عليه الامن كان له همة الاسكندر وعناده وثباته . فلما شرع في ردم البوغاز اخذ الصوريون يسخرون منه وينسبون له الى الجنون . لكنهم لم يلبثوا ان شاهدوا الالوف من رجال الاسكندر يهدمون بيوت المدينة البرية المهجورة ويدكون التلال العالية وينقلون حجارتها وتراها الى البحر . وكان كثيرون من العمال يقطعون الاشجار من غابات لبنان وينقلونها الى صور حيث يستعملونها في ردم البوغاز . وقد كانت القبائل العربية تهاجمهم وتعرقل عليهم مساعيهم فاضطر الاسكندر ان يجرد عليها جيشاً وينازلها واخيراً قهرها وفاته شرها فتابعوا اعمالهم بسلام . وحاول اهل المدينة تاخير العمل وايقافه فكانوا ياتون في

زوارق صغيرة ويمطرون الفعلة وابلاً من السهام حتى اضطر
 المكدونيون ان يقيموا الحواجز الخشبية والابراج العالية لتقيهم
 شر الموت . وكثيراً ما كان الصوريون يشعلون هذه الحواجز
 بواسطة مراكب صغيرة يملأون مقدمتها بالمواد الملتبته كالزفت
 والكبريت ثم يسيطون قلعوها للريح ويتركونها فتسير وحدها
 بسرعة الى الحواجز والابراج فتحرقها . وحياناً كان البحارة الصوريون
 يغطسون تحت المياه فيربطون اغصان الشجر ، التي يرميها الفعلة ،
 بحبال ثم يسحبونها من تحت التراب فيهدمون بساعة ما بني في
 اسبوع . لكنه بالرغم من كل هذه الصعوبات فقد كانت اعمال
 الردم تتم بسرعة فائقة .

(١٧٠) الاسكندر يستحصل على اسطول فينبقي قبرصي .
 وبعد عناء طويل استحصل الاسكندر على اسطول كبير من قبرص
 ومن المدن الفينيقية كارواد وجبيل وصيدا فضمه الى الاسطول
 المكدوني واتي به الى صيدا حيث دربه على الفنون الحربية
 والتعاون ثم تقدم به بجزراً الى صور يقوده بنفسه . فلما علم
 الصوريون بقدومه وشاهدوا ما هو عليه من الترتيب والنظام

قرروا ان يتخذوا خطة دفاعية محضة فجمعوا مراكبهم وصفوها في مداخل المرفأين لتقف في وجه مراكب العدو وتمنعها من التغلغل في وسط المدينة .

ووجد الاسكندر انه لا يقدر ان يخرق صفوف الصوريين ويدخل الى وسط المدينة فقسم اسطوله الى فرق قليلة . فربط الاسطول القبرصي قبالة المرفأ الصيداوي وربط الاسطول الفينيقي تجاه المرفأ المصري وتمكنت الفرق الباقية من حماية الفعلة التي تشتغل في بناء السد فتابعت عملها بحرية .

(١٧١) الاسطول الصوري بهاجم المراكب القبرصية . وفي ذات يوم بينما كان الاسكندر يتفقد شؤءون عماله على البر شاهد الصوريون الاسطول القبرصي منفرداً في عرض البحر فانسلوا في مراكبهم بهدوء تام دون ان يشعر بهم احد وانقضوا على اسطول العدو وفي اقل من ساعتين بددوا شمله وكادوا يبيدونه لولا مجيء الاسكندر من البر ومباغتتهم ببعض المراكب من الجهة الشمالية . ورغم الصياح والاشارات والضجيج الذي جرب اهل المدينة ان ينهبوا اخوانهم بوسطته سقط الاسطول الصوري بين

نارين ولم ينج منه الا القليل .

(١٧٢) اشتداد الحصار وسقوط المدينة . واخيراً تم بناء
السد واتصلت المدينة بالبر فزحف الجيش المكثف في بعمداته
الكاملة وعاونته الاسطول . وحاصر الاسكندر المدينة براً
وبحراً وباشرت الجيوش في استعمال المجانيق وتخریب حيطان
المدينة . غير ان الصوريين شرعوا في بناء حائط اخر داخل
السور واخذوا يدافعون عن مدينتهم دفاع الابطال فكانوا
يحمون سبائك الحديد والرمال ويقذفونها بواسطة الآلات في
وسط الجيش اليوناني فيذيقونه مر العذاب ، هذا فضلاً عن
الصخور والحجارة والمواد المشتعلة التي كانوا يرمونها من السور
على الجيوش المحاصرة .

وكان الاسكندر لا يكل له ساعد في الحرب والتشجيع
فقد درب الجيش وقسمه الى فرق وعين لكل فرقة مركزها
فاشغل اهل المدينة من كل الجهات . واخيراً جمع معظم قواته
على الجهة الجنوبية من السد وامر باستعمال المجانيق والآلات
التدمير وحصر الضرب على نقطة واحدة من السور فتقوض

وسقطت حجارته في البحر ودخل الاسكندر بجيشه ظافراً الى وسط المدينة . وحدث في الوقت نفسه ان الاسطولين القبرصي والفينيقي اليوناني هجما على اسوار المدينة من جهة البحر فخرقاهما من محلين مختلفين ودخلت الجيوش فالتقت بالاسكندر في شوارع المدينة .

(١٧٣) المعركة في شوارع المدينة . ومع كل ما جرى بقيت روح الاهالي تحديهم بالعصيان ، فدخل بعض منهم الى بيوتهم واقفلوا الابواب وراءهم ثم صعدوا الى السطوح واخذوا يرشقون الجيش الظافر بالسهم والحجارة واخرون حاصروا في الشوارع والازقة وحاربوا حتى هلكوا عن بكرة ابيهم وكثيرون سئموا الحياة من اجل هذا الذل الذي حاق بهم فانتحروا . وقتل من الصوريين في هذه المعركة نحو ثمانية آلاف واسر الاسكندر النفي مقاتل فجرهم الى شاطئ البحر حيث امر بصلبهم عبرة لسواهم . وباع النساء والاولاد عبيداً اقتشت اهل المدينة ولم ينج منهم الا الذين هربوا الى قرطجنة والذين احتموا سرا عند الصيدونيين . واصبحت مدينة صور بعد هذه المعركة بحالة محزنة يشعر

الداخل اليها بوحشة وانقباض لما يشاهده من المباني المهدامة وجثث القتلى التي تنتشر منها الروائح الممتنة . عندئذ تقدم الاسكندر بجيشه خاشعاً الى هيكل الاله ملقارت واقام ذلك الاحتفال الذي كان سبباً في خراب المدينة وتدميرها فصلى واقام الالعب الرياضية واستعرض الجيش والاسطول وكان ذلك في اواسط شهر تموز سنة ٣٣٢ ق م . بعد حصار دام سبعة اشهر .

(١٧٤) فتح مدينة غزة . ثم زحف الاسكندر بعساكره جنوباً بعد ان عين المخافر اليونانية في البلدان المقهورة . وكان باطس الحصري حاكم مدينة غزة قد حشد جيشاً من الفرس والعرب وجمع كميات كبيرة من المؤن والذخائر ولجأ الى مناعة اسوار مدينته وقرر اغلاق ابوابها في وجه الاسكندر . وكانت مدينة غزة مبنية على هضبة عالية يحيط بها سور ضخم وتقع في وسط باحة من الرمال على حافة الصحراء تبعد ميلين ونصف ميل عن البحر .

ولما وصل الاسكندر الى رمال المدينة جمع رهطاً من

المهندسين واستشارهم في مسألة الحصار وبناء متراس حول سورها
يكون عرضه ١٢٠٠ قدماً وعلوه ٢٥٠ قدماً ليتمكن الجيش
المكدوني من ان يهاجم المحاصرين بالمجانيق والابات الحصار
فاكدوا له ان هذا العمل اصعب من الصعب ولا يمكن القيام به
فلم يكن جوابهم هذا الا ليزيد الاسكندر عناداً وتشبثاً برأيه
لان الناس على زعمه ، اذا شاهدوا منه ما لا يتوقعون ، يطيطرون
اسمه في الخافقين فيها به الجميع .

وامر بالشروع في العمل فاخذت العساكر والعمال تبني
الحائط الكبير فتم وهاجم المكدونيون اسوار المدينة من جهة
الجنوب . غير ان الجيش الفارسي هجم عليهم وردهم الى الورا
فخرج الاسكندر وتراجع جيشه ، مما جعل باطس يظن انهم قد
انهزموا . فلم تلبث ان وصلتهم الات الحصار من صور فاعادوا
الكرّة على المدينة وخرقوا اسوارها ونصبوا السلام ودخلوها
عنوة ، واعملوا السيف في رقاب حاميتها ، وباعوا النساء
والاولاد عبيداً . اما باطس فقبض الاسكندر عليه ثم عراه
وربطه من رجله الى عربته وجره حول المدينة الى ان فاضت

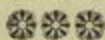
روحه . وبسقوط مدينة غزة سقطت جميع سوريا في قبضة الاسكندر الكبير .

(١٧٥) انضاع مصر ثم بلاد فارس . وتقدم الاسكندر بعد فتح غزة الى مصر ففتحها وبني مدينة الاسكندرية في القطر المصري لتزاحم مدينة صور في التجارة وتغنيها اقتصادياً . ثم حارب الفرس في معركة اريلا سنة ٣٣١ ق . م . فهزمهم وتبعهم الى عاصمتهم فدخلها عنوة واضرم النار في قصور ملوكها واشرافها مقابلة لما فعلوه عند دخولهم بلاد اليونان لكنه حالاً أمر باطفائها ليبرهن للملاء عن العفو عند المقدرة . وتوغل بعدئذ في بلاد الشرق الى ان بلغ الهند . وقد رسم الخطط لغزو البلاد الافريقية ولو لم يوافه الموت على عجل لكان احدث تغيرات ذات شان خطير في تاريخ العالم .

(١٧٦) سياسة الاسكندر في الشرق . كان الاسكندر في سياسته يرمي الى توحيد العالم المعروف في عصره وجعله مملكة واحدة يرأسها بنفسه فسعى لكي ينزع روح الوطنية الضيقة من شعبه ، وليس ذلك بالامر اليسير ، فخالط الفرس وعزز

جانبهم وتزوج من امرأة فارسية واجبر قواده واشراف جيشه ان يحدوا حذوه ففعلوا . ونصب الفرس في مراكز عالية فصعب ذلك على بعض المكدونيين فتآمروا على قتله لكنهم فشلوا . وكانت سياسة الاسكندر هذه سبباً في ادخال الحضارة اليونانية الى بلاد الشرق الادنى . واقتبس السوريون فلسفة اليونان ونظرياتهم واعطوهم بدلاً منها بعض شعائر وتقاليد دينية .

وكانت الاسكندرية مدينة القائد العظيم مركزاً مهماً ليس للتجارة فقط بل للعلم ايضاً فقام فيها العلماء وتراسلوا مع علماء اليونان واسسوا عصابة نور وتهذيب تحت ادارة الحكومة وكان فيها مكتبة كبيرة من اهم مكاتب العالم .



اسئلة

ماذا نعرف عن قيام مكدونيا؟ في اي سنة خلف الاسكندر ابيه على عرشها؟ باي شيء اهتم عند اعتلائه العرش؟ صف حملة الاسكندر على آسيا الصغرى . صف بالتفصيل معركة ايسوس . ارسم ياناً يمثل مراكز العساكر المتجارية كما يظهر لك من وصفها . اشرح موقف الاسكندر بعد هذه المعركة . اي طريق اختارها بعد انتصاره فيها؟ لماذا؟ ماهي شروط الصلح التي قدمها داريوس الثالث الى الاسكندر؟ ماذا كان نظره فيها؟ ماهي النصائح التي قدمها مستشاروه في قضية الصلح؟ هل وافق الاسكندر عليها؟ لماذا؟ اذكر عن استيلاء قوات الاسكندر على شمالي سوريا .

ماذا كان شعور السوريين عندما علموا بقدوم الاسكندر الى فينيقيا؟ ماذا طلب الاسكندر اليهم؟ ماذا كان موقفهم تجاه هذا الطلب؟ على اي شيء اتفقوا اخيراً؟ ماذا قرر الاسكندر ان يفعل؟ ماذا كان ينقصه لتنفيذ خطته؟ صف بناء السد الذي بناه ليصل المدينة بالبر . اذكر المدن التي استنجد بها في تعمير الاسطول؟ كيف سقطت مدينة صور اخيراً في يده؟ ماذا صنع باهلها؟ اذكر عن فتح مدينة غزة؟ ماذا صنع الاسكندر بجناحها باطس؟ الى اين توجه بعد فتح غزة . ماذا كانت سياسته في بلاد الشرق؟

الفصل الثاني عشر

السلوقيون في سوريا

احوال سوريا السياسية والعمرانية على زمن
السلوقيين

(١٧٧) مملكة الاسكندر بعد موته . توفي الاسكندر
سنة ٣٢٣ ق . م . في الثالثة والثلاثين من عمره . بعد ان دوخ
العالم المعروف في عصره . ولم يكن من يخلفه ويحل محله فيحافظ
على وحدة المملكة السياسية . فنشب الخلاف على قسمتها بين
قواده دام سنين طويلاً . ومن الصعب ان نسرده في هذا
الكتاب الصغير خبر الوقائع الدامية التي جرت عقب موت
الاسكندر . وانما نكتفي بالإشارة الى ان سوريا الشمالية كانت
اخيراً نصيب سلوقس احد قواد الاسكندر النشيطين . وصارت
مصر وقسم من جنوبي سوريا الى بطليموس الداهية واستولى
انتغونس على بلاد اليونان .

وقد جرب الأخير نزع الساحل الفينيقي من أيدي البطالسة . ففتحت له جميع المدن الفينيقية أبوابها ما عدا مدينة صور التي كانت قد استردت قواها بعد خرابها على يد الاسكندر ووجدت بناء أسوارها واسطولها ، فأخلصت للبطالسة ووقفت في وجه عدوهم . غير أن انتغونس أمر بإنشاء دور لصناعة المراكب في جبيل وطرابلس وصيداء وأعد ثمانية آلاف عامل لقطع الخشب من لبنان ونقله إلى الدور المذكورة حيث كان بناء الاسطول يتم بسرعة غريبة .

وبعد انجاز العمل جاء انتغونس بالاسطول إلى مدينة صور فحاصرها براً وبحراً مدة ١٥ شهراً فسقطت في يده وضمها إلى ملكه مع سائر المدن الفينيقية . وصارت فينيقية من بعده إلى ابنه ديمتريوس . لكن البطالسة لم يلبثوا أن استولوا عليها مرة ثانية سنة ٢٨٧ ق . م . والحقوها بملكهم . فبقيت كذلك مدة سبعين سنة إلى أيام انطيوخس الثالث سنة ٢١٧ ق . م . الذي نشبت بينه وبين البطالسة حرب دامية كانت فينيقية ساحتها لمدة عشرين سنة تُبدل الحكم في اثنائها على المدن الفينيقية بين

السلوقيين والبطالسة مرات عديدة .

(١٧٨) مائه فينيقية في زمن السلوقيين . واخيراً (سنة

١٩٨ ق م .) رسخ قدم السلوقيين في سوريا وبسطوا نفوذهم على الساحل الفينيقي وسوريا المحوفة . فسر الفينيقيون كثيراً بانتقالهم من تحت نير البطالسة ودخلهم في حوزة السلوقيين لانهم شعروا بقدوم عصر جديد يمكنهم في اثنائه من ان ينتقموا من الاسكندرية مدينة البطالسة التي خلفتهم في استلام زمام التجارة المصرية وزاحمتهم مزاحمة اقتصادية كادت تقضي على مستقبلهم لولا وجود المشاريع الجديدة التي نتجت عن حروب الاسكندر . ومع انهم لم يقدرُوا على الانتقام فعلياً ، فقد ارتاحت نفوسهم لهذا الانتقال وخلصوا لسيادتهم السلوقيين اخلاصاً تاماً وخصوصاً مدينتا صيدا وصور . فكافأهم السلوقيون بان منحوهم نوعاً من الاستقلال الذاتي وسمحوا لهم بضرب النقود فظهرت نقودهم في صيدا وصور تحمل على صفحاتها تارة رموزاً وخرافات يونانية وطوراً فينيقية .

(١٧٩) مكانة الفينيقي عند الملوك السلوقيين . وكان الملوك

السلوقيون يقيمون في المدن الفينيقية اياماً فيحضرون الحفلات وايام الاعياد ويقضون بين الشعوب . وقد كان الفينيقي يتجاسر احياناً على التدخل حتى في الامور التي تتعلق بشخص الملك . واليك ما جاء عن رجل صوري توسط لاحد المدعى عليهم لدى الملك فقبلت شفاعته .

« وأتهم منلاوس رئيس كهنة اورشليم بسرقة آتية الهيكل وبيعها وانفاق ثمنها في شؤءونه الخاصة . فلما قدم الملك الى صور ارسلت المشيخة ثلاثة رجال فرفعوا عليه الدعوى . واذ رآه منلاوس انه مغلوب وعد بطلماوس بن دوريمانس (وهو متوظف صوري من اصحاب النفوذ) بمال جزيل ليستميل الملك . فدخل بطلماوس على الملك وهو في بعض الاروقة بتنسم الهواء وصرفه عن رايه حكم لمنلاوس بالبراءة » (سفر المكايين الثاني ٤ : ٤٤ - ٤٧) .

(١٨٠) سياسة السلوقيين في سوريا . وتمشي السلوقيون على سياسة الاسكندر في يوننة العالم الشرقي ونشر المدنية اليونانية الراقية بين الشعوب التي حكموها . ورأوا ان لا ثبات لملكهم في

وسط محيط اسبوي الابطشيد المدن في بلادهم الجديدة ففعلوا
واستقدموا العائلات اليونانية واسكنوها في هذه المدن . ولم تكن
هذه المدن في بداية امرها سوى مستعمرات عسكرية المقام الاول
فيها للنقابات اليونانية التي كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي على
منوال المدن اليونانية في الوطن الاصلي .

وقد نقل السلوقيون عاصمتهم من بابل الى انطاكية على
نهر العاصي في سوريا . فتداعى نفوذهم في الشرق بسبب هذا
الانتقال وازداد في سوريا زيادة محسوسة . وتحولت شمالي سوريا
الى مكدونيا ثانية لما قام فيها من المدن والمستعمرات اليونانية
واليك وصف ثلاث من اشهر المدن التي شيدت على زمن
السلوقيين .

(١٨١) مدينة انطاكية . على نهر العاصي في شمالي سوريا
شاد سلوقس الاول مدينة انطاكية . الجبل من ورائها والسهل
النضر امامها يزيدانها رونقا وجمالا ، ناهيك بمركرها التجاري
الذي جعلها من اغنى مدن سوريا واعظمها شأنًا . ففضلاً عن
وقوعها في وسط سوريا الشمالية فقد كانت تمر فيها الطريق البرية

بين بلاد ايران والبحر المتوسط .

في هذه المدينة حط الملوك السلوقيون رحالهم فحسنوها وزادوا عليها وشيدوا فيها الاحياء الاربعة في شكل مستطيل وبنوا حولها سوراً كبيراً . وقد كان يمتد في وسطها شارع طويل يوازي مجرى النهر الذي كان يزيد في بهاء مناظر المدينة الطبيعية . وقد كانت المياه موزعة على البيوت فضلاً عن النوافير والاحواض الموجودة في ساحتها العمومية . وكان الناس يقصدونها من مختلف الجهات فيتفاهمون باللسان اليوناني ويقطفون معاً زهور المدينة اليونانية الراقية . لكن انطاكية كانت تقاسي امرين لم يكن لها مناص منها . الاول حدوث الزلازل المتتالية . والثاني فيضان السيول في ايام الشتاء وتخريبها الاملاك على منحدرات الجبل الكائن خلف المدينة .

وكانت انطاكية مدينة لهو وقصف اكثر منها مركز علم وادب كما ينتظر منها . فقد كان اهلها يقضون اوقات الفراغ في حداثق دفني الواقعة في ظاهر المدينة حيث المياه تتدفق بغزارة وتنساب كالافعى في وسط غابات السرو والغار . فيسرحون

ويعرّحون بين هذه الاشجار الساقطة الى العلاء ويملاًون الفضاء
 باصواتهم المتعالية . وكان يقوم في هذا المكان هيكلا لاله ابلون
 الشهير الذي شيده سلوقس الثاني وكانت تجري في ساحته
 حفلات الاعياد والمواسم وتقام الالعاب الرياضية اكراماً للاله
 العظيم وتحت عنايته واشرافه .

(١٨٢) افامية . تقع افامية في وادي العاصي شمالي
 حماة وتشرف على الطريق التي تصل تلك الوادي ببلاد
 الشرق ويحيط بها عدد من المستنقعات . وقد اتخذها
 الصليبيون فيما بعد مركزاً حريباً فبنوا فيها قلعة المضيق لحماية
 سوريا الشمالية من اعدائهم . وكان السلوقيون قد وجدوا فيها
 حصناً مكدونياً بني على زمن الاسكندر فحسنوه وعززوه وجعلوه
 مركزاً للقيادة العامة في بلاد الشرق . وجمعوا فيه الذخائر والعدد
 الحربية من مركبات وخيول وفيلة . قبل انه وجد في افامية في
 وقت واحد ٣٠٣٠٠ رأساً من الخيل و ٥٠٠ فيل اتي بها سلوقس
 من بلاد البنجاب هذا فضلاً عن وجود المدارس الحربية حيث
 كان الجنود يتدربون على فنون القتال .

وكان ينتشر حول افامية عدد من الثكنات العسكرية يقيم فيها الجنود المكدونيون والفرسان الثساليون الذين منهم كان ينتخب الحرس الملكي . ولا شك في ان السلوقيين ادر كوا ما لهذه النقطة من الالهمية الحرية فجعلوا فيها معظم قواهم .

(١٨٣) اللاذقية . تقع اللاذقية على مسافة خمسين ميلاً الى الشمال من جزيرة ارواد . وهي قرية من مصب نهر الكبير . وقد كانت قبل السلوقيين قرية صغيرة تدعى رمانثا لا اهمية لها تذكر بين مدن الساحل الفينيقي . وقد جددتها سلوقس الاول وحسن فيها واطلق عليها اسم والدته لدوسيا . ومع انها لم تكن على اتصال مع مدن الداخلية وبلاد العراق كما كانت مدينتا انطاكية وافامية فانها نالت شهرة تجارية لكونها اقرب الى مصر وقبرص من المراتي الشمالية . وكانت تصدر الى الخارج كميات كبيرة من الخمر وخصوصاً الى اسواق مصر حيث كان الخمر اللاذقاني ذا شهرة واسعة .

وشيد سلوقس الاول ايضاً مدينة سلوقية وتعرف بالتشوليك الان . وقد كانت ميناء انطاكية . وقد انتشرت العائلات

اليونانية في سائر انحاء البلاد السورية كميلو بولس (بعلبك)
 وبيروت وصيدا وصور وجبيل . ونشر اليونان فيها ثقافتهم
 وعلومهم . ونبغ عدد من السوريين والفوا كتباً باليونانية كفيلون
 الجبيلي وهرمس البيروقي وغيرهم وسادت اللغة اليونانية في
 الدواوين الرسمية حتى في ايام الرومان والعرب . غير ان الساميين
 لكثرتهم في البلاد السورية ابتلعوا اخيراً الشعوب اليونانية التي
 سكنت بينهم واخذوا مدنياتها وثقافتها وعلومها وهضموها فلم
 يبق لنا منها آثار ظاهرة تذكر .

احوال اليهود على زمن الحكم السلوقي

(١٨٤) السلوقيون ينتزعون اليهودية من ابري البطالسة .

وكان البطالسة في اثناء حكمهم على اليهودية حتى ايام بطليموس
 الرابع لا يتدخلون فيما يتعلق بامور الدين فكان تاريخ اليهود على ايامهم
 كما نعلم خلواً من الثورات والفتن . غير انهم كانوا يثقلون كاهل
 الاهالي بالضرائب حتى ناءوا تحتها . فنزح منهم قسم كبير الى
 مختلف الجهات حيث كان كثير من ابناء جنسهم ، كشرق
 الاردن والجليل وجليعاد وباشان وذلك سعياً وراء الرزق وطلباً

للمعيشة . وكان البطالسة يرغبون في اجتذابهم الى مصر فسهلوا عليهم اموراً كثيرة ومنحوا يهود الاسكندرية حق التجنس بالجنسية اليونانية لكننا لا نعلم مقدار نجاحهم في هذه المهمة .

وقبل ان يتبوأ بطليموس الرابع عرش مصر كان قد نشأ بين اليهود في فلسطين فئتان الفئة الاولى تحب الحكم المصري ومعظمها من العامة والفئة الثانية تميل الى السلوقيين ومعظمها من الارستقراطيين اصحاب الثروة الذين كانوا يودون التمسك من الجزية الثقيلة التي كانت يفرضها عليهم حكامهم واخيراً قام بطليموس الرابع واراد ان يجعل شعوب الامبراطورية تدبر جميعها بدین واحد وحاول ان يرغم اليهود على استبدال دينهم فشق ذلك عليهم وانقلب الرأي العام على سياسته الخرقاء واتجهت افكارهم الى السلوقيين اصحاب انطاكية .

ولما انتزع انطيوخس الثالث بلادهم من ايدي البطالسة قابلوا ذلك الانتقال بارتياح عظيم . وعفاهم انطيوخس من الضرائب المتأخر دفعها جرياً على العادة المتبعة في تلك الايام مما زادهم سروراً وارتياحاً . غير انهم كما سنرى لم يكونوا تحت حكم

السلوقيين احسن حالاً وانعم بالآ منهم في ايام البطالسة .
(١٨٥) بعض اليهود يقبلون على امتضان المدينة اليونانية .
وكان اليهود منتشرين في جميع اقطار الشرق يقطنون المدن
الكبرى والقرى الصغيرة ويخالطون جميع طبقات الشعوب من
يونانيين وغير يونانيين وقد كانوا في بعض المدن يتخلقون باخلاق
جيرانهم وياخذون عنهم كثيراً من عاداتهم . ولا غرو فانهم
كانوا متساهلين لا يهتمون كثيراً للتقاليد الدينية وفضلاً عن
هذا فقد وجدوا انفسهم مضطرين الى ان يمشوا التيار في استعمال
اللسان اليوناني وفي احتضان المدينة اليونانية الراقية واخذ الكثير
من مبتدعاتها الجديدة . وقد كانت جميع هذه الكتل اليهودية
المنتشرة في مختلف الجهات على اتصال تام بوطنها الاصلي في
مقاطعة اليهودية . فكانت كلها تشترك معاً في عبادة « يهوه »
واعتبار مدينته (اورشليم) مدينة مقدسة ، ودفع المرتب عليهم
للقيام باعمال الخدمة والاصلاح في هيكل اورشليم ، مما جعل لها
شأناً كبيراً في حمل بذور المدنية والفلسفة اليونانية وبزرها بين
اليهود . ولا شك في ان يهود اورشليم الذين كانوا يسمعون من

بعيد بهرجة المدينة اليونانية في المدن المزدهرة كالاسكندرية
وانطاكية ، كانوا على استعداد لقبولها عند ما طرقت ابواب
مدينتهم .

واننا نسمع عن اليهود في انطاكية والاسكندرية انهم
أسسوا النقابات والشركات على النمط اليوناني و'منحوا حقوق
ادارة شوء' ونهم الخاصة كباقي النقابات والشركات اليونانية .
وفوق ذلك فقد سمح لهم وخصوصاً في الاسكندرية ان
يحاكموا في محاكمهم الدينية الخاصة .

(١٨٦) وبعضهم يفارمها . وكان اليهود لا يظهرون
نعصباً دينياً ولا يغلقون ابواب عقولهم في وجه المدينيات الغربية
الاً اذا كانت تلك المدينيات زاحفت اليهم عن طريق القوة .
وقد كان الملوك السلوقيون لا يخفون كثيراً في بادئ الامر
باستعمال القوة في يوننة اليهود بعد ان طوقوا اورشليم بعدد من
الجاليات اليونانية وصوبوا اليها جيوش عاداتهم وتقاليدهم لتحاربها
حرباً سلمية . لكن على نفسها جنت براقش فان بعض اليهود
كانوا يهتمون في يوننة اورشليم اكثر من السلوقيين انفسهم .

وكان اليهود قد انقسموا منذ ٢٠٠ سنة ق.م. الى قسمين الواحد يستحسن فكرة الامتزاج مع اليونان والاخر يقبها . وكلما ازداد الاول اخلاصاً لرايه ازداد الثاني تعصباً ضده . واخذ بعض الحكماء السلوقيون اخيراً يلجأون الى اكراه اليهود على تغيير دينهم ومعتقداتهم مما جعل هؤلاء يزدون تشبهاً بها حتى اصبح الحكم السلوقي لعنة في تاريخ اورشليم .

(١٨٧) هلبو مورش في اورشليم . وكان القسم الاول يرأسه بنو طويا جباة اورشليم والقسم الثاني بقيادة بني اونيا الذين منهم كان ينتخب رئيس الكهنة . وقد كان كل حزب يزاحم الاخر ويشي به الى السلوقيين . وحدث « ان رجلاً اسمه سمعان (من حزب بني طويا) كان مقلداً الوكالة على الهيكل وقعت محاصرة بينه وبين الكاهن الاعظم لاجل ظلم جناه على المدينة . واذ لم يمكنه التغلب على اونيا (رئيس الكهنة) انطلق الى بلونيوس وكان اذذاك قائداً في بقاع سوريا وفينيقية واخبره ان الخزانة التي في اورشليم مشحونة من الاموال بما لا يستطاع وصفه وان ذلك ليس بمختص بنفقة الذبائح فيتهبها للملك

ادخال ذلك كله في حوزته . ففاوض ابلونيوس الملك
 (سلوقس الرابع) واعلمه بالاموال التي وصفت له فاختار
 هيلودورس قيم المصالح وارسله وامره بجلب الاموال المذكورة .
 فتوجه هيلودورس لساعته قاصداً في الظاهر التطوف في مدن
 بقاع سوريا وفينيقية وكان في الواقع يقصد انفاذ مرام الملك .
 فلما جاء اورشليم احسن الكاهن الاعظم ملتقاه فحدثه بما كوشفوا
 به وصرح له بسبب قدومه وساله هل الامر في الحقيقة كما ذكر له .
 فذكر الكاهن الاعظم ان المال هو ودائع للارامل واليتامى وان
 قسماً منه لهركانس بن طوبيا احد عظماء الاشراف ، ثم ان الامر
 ليس على ما وشى به سمعان المنافق وانما المال كله اربعون قنطار
 (وزنة) فضة ومئتا قنطار (وزنة) ذهب فلا يجوز بوجه من
 الوجوه هضم الذين ائتمنوا قداسة الموضع ومهابة وحرمة الهيكل
 المكرم في المسكونة كلها » .

(١٨٨) نقبتس الربكس . « لكن هيلودورس بناءً على امر
 الملك اصر على حمل الاموال الى خزانة الملك . وعين يوماً دخل
 فيه للفحص عن ذلك ، فكان في جميع المدينة ارتعاش شديد .

وانطرح الكهنة امام المذبح بجللهم الكهنوتية يبتهلون نحو السماء الى الذي سن في الودائع ان تصان لمستودعها . واخيراً لما تقدم هليودورس ورجاله الى الخزانة « ظهر لهم فرس عليه راكب مخيف وجهازه فاخر فوثب وضرب هليودورس بجوافر يديه . وكانت عدة الراكب كأنها من ذهب . وتراءى ايضاً لهليودورس فتيان عجيبا القوة بديعا البهاء حسنا اللباس فوقفا على جانبيه يجلدانه جلداً متواصلاً حتى اثخنه بالضرب . فسقط لساعته على الارض وغشيه ظلام كشف فرفعوه وجعلوه على محمل » وبادر الكاهن الاعظم فقدم الذبائح وصلى لاجل هليودورس وبينما هو يصلي تقدم الفتيان وطلبا منه ان يقدم واجب الشكر الى اونيا الذي صلى لاجله ففعل . ثم عاد الى انطاكية وقص خبره على الملك وقال له « ان كان لك عدو او صاحب دسياسة في المملكة فارسله الى هناك فيرجع اليك مجلوداً ان نجا . فان في ذلك الموضع قدرة الهية لامحالة » . هذه هي القصة كما وردت في سفر المكابيين الثاني (٣ : ٤ - ٤٠)

(١٨٩) انطيوخس الرابع (١٧٥ - ١٦٤ ق م) .

ويلقب ايفانوس اي الشهير اعلى العرش في الخامسة والخمسين من عمره بعد ان قضى اسيراً في رومية مدة ١٤ سنة وخدم بعدها قاضياً في اثينا مدة طويلة . فتسنى له ان يخالط الناس على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ، ويختبر بنفسه اموراً كثيرة اهله ان يشغل المنصب الجديد . غير انه رغماً عن اقتداره وخبرته الواسعة كان غريب الاطوار جداً يميل الى اللهو والسكر فاشتر ذلك كثيراً على حكمه ونسب بعضهم اليه الجنون . فقد جاء عنه انه كان يحدث جميع طبقات الناس ويجالس حتى سفلاء القوم في الحوانيت عند منتصف الليل وينغمس معهم بالشراب ، ثم لما ياخذ السكر منه ماخذه يتناول النقود من جيبه ويرميها في الاسواق او يوزعها على جلسائه . وكثيراً ما كان يراه الناس متجولاً في اسواق انطاكية عند منتصف النهار يترنخ ويتمايل ثللاً واكليل الزهور على رأسه . لكنهم اذا تجمعوا عليه ، لا يانف وهو على هذه الحالة من رجهم بالحجارة ليجبي نفسه ويفرقهم عنه . وكان يشاهد احياناً في المصانع يحدث اصحاب الحرف والفنون ويباحثهم فيما يتعلق بدقائق مهنتهم المختلفة .

وقد كان الشعب يستنكر عليه ذلك لما اعتاد ان يشاهد في البلاط السلوقي من الابهة الشرقية والاستقرائية وترفع الملوك عن مخالطة العامة . اما هو فمع تعلقه الشديد باللقاب السامية وميله المفرط الى المظاهر الخارجية من لبس الذهب والارجوان وتجهيز القصر بانخر المفروشات واثن الحلي وادوات التزين ، فقد كان يكره الرسميات كرهاً لا يوصف . ورغمما عن رعونته وخفته فقد كان من اعظم الملوك السلوقيين . وكانت ايامه ملائمة بالحوادث السياسية فتم على يده في وقت قصير ما لم يتم في زمن احد غيره .

(١٩٠) انطيوخس ينتفع بوجود الازراب . على ان سمعان (راجع فقرة ١٨٨) اكد لابلونيوس ان ما ادعاه اونيا مقدرة الهية ليس الاحيلة مدبرة لتساعد على تنفيذ ما ربه السياسية فانطلق اونيا لساعته الى انطاكية ليفهم الملك ما وقع ويشكوا اليه مكاييد سمعان . وقبل ان يبرح اورشليم عين اخاه ياسون وكبلاً عنه . فتمكن ياسون بالمكر والخداع من اغتصاب المنصب من اخيه الذي حجر عليه في انطاكية .

وكان انطيوخس الرابع الذي اعتلى العرش في تلك المدة خلفاً لاختيه سلوقس الرابع ، مسرفاً مبذراً كما رأينا في الفقرة السابقة . فانفق اموال الخزينة على حفلات الاعياد والقيام بالالعاب الرياضية التي كان مغرمًا بها للغاية . وكان كالمقامر كل دقيقة في حاجة ماسة الى المال . فاعتنم ياسون الفرصة ووعد الملك « بثلاثمائة وستين وزنة فضة وبثمانين وزنة من دخل آخر . وما عدا ذلك ضمن له مئة وخمسين وزنة غيرها ان رخص له باقامة مدرسة للترويض وموضع للعلمان وان يكتب اهل اورشليم في رعية انطاكية » . (سفر المكابيين الثاني الاصحاح الرابع) . فاجابه الملك على ذلك وشرع ياسون في نشر العوائد اليونانية بين قومه فاجبر غلمان الهيكل وابناء النبلاء على لبس القبة اليونانية وبنى نادياً للرياضة البدنية (gymnasium) قريباً من الهيكل . فكان الكهنة يهملون واجباتهم الدينية مراراً للاشتراك في رمي القرص الحديدي ونيل الجوائز .

وقدم انطيوخس الى اورشليم فاستقبله ياسون وطغمته استقبالاً لائقاً ودخل المدينة بين المشاعل والهتاف ثم انصرف

من هناك الى فينيقية .

(١٩١) ياسون يغلب على امره . واوفد ياسون منلاوس من بني طوبيا الى انطاكية حاملاً معه الجزية السنوية الى خزينتها . فاعتنم منلاوس فرصة وجوده في انطاكية واغرى الملك بالمال فزاد على ياسون ثلاثمائة وزنة فضة وعاد الى اورشليم متقلداً منصب رئاسة الكهنة . لكنه لم يحمل معه صفة واحدة تؤهله لهذا المنصب . فدخل اورشليم وطرده ياسون منها ، فهرب الى شرق الاردن . لكن منلاوس لم يقدر ان يقوم بوعده فطلبه الملك للمحاكمة . فحضر الى انطاكية وكان الملك عند وصوله غائباً عنها . فارسل الى اعوانه في اورشليم وامرهم بتدبير المكائد وقتل مقاوميه وجمع الاموال من الهيكل ليدفع ما يترتب عليه . ولما كان ذلك رفعت المشيخة الشكوى عليه الى الملك بينما كان نازلاً في صور وقد راينا كيف انه تمكن من استمالة الملك بواسطة احد الصوريين (فقرة ١٧٩)

(١٩٢) دغول انطيوخس الى اورشليم . وبينما كان انطيوخس يحارب البطالسة في مصر ، انتشر خبر في اليهودية

انه قد مات فاتخذ ياسون جيشاً وهجم على اورشليم ووفق يذبح الاهالي . فسمع الملك بذلك وظن اليهود قد نقضوا عهدهم فاسرع الى اورشليم وكان في هذه المرة قد « نمر في قلبه » فدخل المدينة عنوة وامر بنجزة دامت ثلاثة ايام قتل فيها كثير من اليهود رجالاً ونساء واطفالاً . ثم دخل الهيكل ودنس الانية « يديه الرجستين » واخذ ما وجدته فيه من الادوات الثمينة التي قدمها الملوك الذين سبقوه ، وبلغ قيمة ما حمله من الهيكل الف وثمانئة وزنة وعين رجلاً فريحي الاصل على المدينة وارجع منلاوس الى رئاسة الكهنة فاخذ يتشامخ على بني قومه .

(١٩٣) ندر في رومنة في سبانه الشرق . ولما انتهى

انطيوخس من اورشليم اعاد الكرة على مصر وبعد ان قهرها واصبح على وشك ان يقضي على حكم البطالسة فيها ظهر له وفد روماني يحمل اليه إخطاراً من المشيخة تأمره فيه ان يقلع عن اعماله . ولما اراد ان يماطل پوپيليوس رئيس الوفد بقوله « سنرى في القضية » اخذ پوپيليوس عصاه بيده ورسم بها خطاً في الرمل طوق المكان الذي وقف عليه الملك وقال له « الان قبل ان تخطو

خارج هذه الدائرة يجب ان تقرر اما سلباً واما ايجاباً . فاطرق
 الملك قليلاً ثم رفع راسه وقال « ساذعن اكل ما تقرر المشيخة » .
 وعندما انتهى الوقت المعين له للبقاء في مصر انسحب بحيشه
 وصدره يتقد غيظاً .

(١٩٤) فراب اورشليم . وانقلبت لقمة انطيوخس على
 اليهود لما كانوا يثورون عليه فارسل اليهم ابلونئوس ومعه جيش
 قوي . فتقدم ابلونئوس الى اليهودية متظاهراً بالسلم لكنه كان
 يضمّر الشر فدخل المدينة في احد ايام السبت وعمل السيف
 في رقاب اهلها ودك اسوارها الى الخضم واجبر الرعية بحد
 السيف على عبادة الآلهة اليونانية وتقديم الحيوانات النجسة
 كالخنزير على مذبح الهيكل . وامر بتشيد مذبح للاله زفس
 اليوناني . ومنع الختان وتقديس السبت والاعياد واستعان
 باليونانيين القاطنين في المدينة على تنفيذ هذه الاوامر .

(١٩٥) اليهود بعد موت انطيوخس الرابع . واستاء
 اليهود مما الحق بهم ابلونئوس من الاهانة والتحقير وانتهاك حرمة
 دينهم فهبوا هبة واحدة وانتصروا للعقائد القديمة وثاروا على

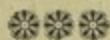
السلوقيين . فامر لسياس (نائب الملك السلوقي) امراء المقاطعات السورية ان يجهزوا على اليهود ففعلوا . وكانوا متأكدين ان النصر سيكون حليفهم حتى انهم نشروا دعوة عامة بين تجار الرقيق لمرافقتهم وشراء ما يقع بين ايديهم من الاسرى عبيداً . فتبعهم كثيرون ومعظمهم من الفينيقيين ومعهم الاموال الطائلة . لكن النتيجة جاءت على خلاف ما يرغبون فيه فتغلب اليهود عليهم وردوهم على اعقابهم . واخيراً جهز لسياس جيشاً كبيراً وهاجمهم غير ان الدولة السلوقية كانت آخذة بالضعف والانحطاط بعد موت انطيوخس الرابع ، فرضي لسياس ان يعقد معهم صلحاً ويسمح لهم ان يعودوا الى دينهم القديم . وراى من الحكمة ان يعدل عن سياسة انطيوخس الخرفاء في يوننة اليهود فعاد اليهود والفوا كتلة سياسية اعترفت بهارومية كحليفة لها وخصوصاً في زمن يهوذا ويوناثان المكابيين . وكتبت اليهود الودية بين الامتين .

(١٩٦) الفوضى في سوريا . وكان انطيوخس الرابع آخر

الملوك السلوقيين الاشداء . فاخذت الدولة تضعف بعد موته شيئاً فشيئاً . ولم يكن بين خلفائه كلهم زجل قد يريكمه من ان

يسترجع مجد دولته السابق . فقد انعكفوا جميعهم على الانهك
بالملاذات وكانت المملكة فضلاً عن الثورات الداخلية في ايامهم محاطة
بالاعداء من كل جانب ، كالعرب الذين كانوا يهاجمون القبائل
القاطنة في الجنوب وفي الشرق . والرومان الذين ابتدأوا
يتدخلون في شؤن الشرق السياسية منذ ابتداء القرن الثاني
للميلاد . والارمن الذين كانوا يقطنون في الشمال .

واخيراً سئم السوريون هذه الاضطرابات وانكروا على الملوك
السلوقيين ضعفهم وتخاذلهم فدعوا اليهم تكرانس ملك ارمينيا
فملكوه عليهم في انطاكية حيث ضرب النقود باسمه . اما دمشق
فقد استولى عليها احد الملوك العرب . وكان جنوبي سوريا بأيدي
اليهود فضلاً عن القبائل الايطورية التي اكتسحت الساحل
الفينيقي والامراء الوطنيين الذين اعلنوا استقلالهم في مقاطعاتهم
وبقيت الحالة كذلك الى مجيء بومبيوس الروماني وادخاله
سوريا في حكم رومية كما سيأتي .



اسئلة

ماذا اصاب مملكة الاسكندر بعد موته ؟ نصيب من من قواد
الاسكندر وقعت مقاطعة سوريا ؟ كيف كانت حالة فينيقيا في زمن
السلوقيين ؟ اي سياسة اتبعها السلوقيين في سوريا ؟ ماذا كان تاثير نقل
عاصمة السلوقيين من بابل الى انطاكية في تاريخ سوريا ؟ ماهي اشهر المدن
التي شيدها السلوقيون في سوريا ؟ صف كل واحدة منها . ما الغرض من
تأسيسها .

كيف كانت احوال اليهود عموماً في زمن حكم البطالسة ؟ كيف
كانت تحت حكم السلوقيين ؟ لماذا كان بعض اليهود يقبل على
احتضان المدنية اليونانية ؟ ماهي الاحزاب التي نشأت بين اليهود في
ايام السلوقيين ؟ صف اخلاق انطيوخس الرابع . اذكر كيف كان
ينتفع من تفريق كلمة اليهود ؟ صف دخول انطيوخس الرابع الى اورشليم .
ماذا تعرف عن خراب اورشليم عن يد السلوقيين ؟ كيف كانت حالة
اليهود بعد موت انطيوخس الرابع ؟ اذكر عن الفوضى التي عمت في سوريا
في آخر ايام السلوقيين . كيف عالجها السوريون ؟

الفصل الثالث عشر

سوريا في عهد الرومان

فتح سوريا والتنظيمات الرومانية الاولى فيها

(١٩٧) الرومان بطمعون بالمملكة السلوقية . وكان
الرومان يطمعون بالمملكة السلوقية منذ القرن الثاني للمسيح كما
ظهر لنا من تدخلهم في سياسة الشرق . (فقرة ١٩٣) لكنهم كانوا منهمكين
بامورهم الداخلية مهتمين باخضاع عالم البحر المتوسط الغربي .
وفوق هذا فانهم كانوا كلما هموا بمحاربة السلوقيين يخامر الخوف
قلوبهم لما كان لهذه الدولة من المهابة في نفوس الامم المجاورة .
ولو تبه السلوقيون لهذا الامر وتداركوا الخطر المهدق بهم لما
قضي على ملكهم في وقت قصير ولبقيت اعلامهم تحف فوق
انطاكية طيلة ايام الرومان . لكنهم بالرغم من بطشهم وشدتهم
كانوا ينصرفون عن تديير امر الملك الى توافه الامور ، ويتغاضون
عن الفرص الساتحة اما جهلاً واما تهاطلاً . وكان هنيبال القائد

القرطاجني بعد ان قهره الرومان وشتتوا شمل جنوده ، قد التجأ الى ملك اليونان فاستجده وزين له الحرب ضد رومية فاعاره الملك اذنا صاغية . غير ان الرومان استنكروا هذا من ملك اليونان وشهروا عليه حرباً فكسروه وحرروا بعض المدن اليونانية . وكان الملك انطيوخس الكبير (الثالث) ملك انطاكية حينئذ يشاهد هذه الحرب من بعيد ويتربص نتيجتها حتى اذا ما خرج الرومان منها ظافرين واشتد ازهم تفرغوا للمملكة السلوقية وحولوا همهم اليها . وقد كان بوسع انطيوخس ان يحالف اليونان ويتحد معهم ضد رومية ليدراً عن مملكته الخطر المهدد لكنه لم يفعل بل فسح المجال لرومية لتقهر اعداءها واحداً واحداً . واخيراً اخذت تنظر الى السلوقيين بعين ملوؤها الحسد والطمع وتبذل كل ما في وسعها لتعرقل عليهم مساعيهم في بلاد الشرق . فكانت تصغي الى شكوى الثائرين من الحكم السلوقي وتشدد عزائمهم على متابعة الثورات والفتن وتعتد معهم العهود والاتفاقات وتستقبل رسلهم ووفودهم احسن استقبال وتعترف باستقلالهم (فقرة ١٩٣ و ١٩٦)

(١٩٨) اغر ملك سلوقي على عرش انطاكية (٦٩ - ٦٥ ق م)

وكانت مثر يدات ملك بنطس في اسيا الصغرى يقلق راحة الولايات الرومانية على حدود ملكه فراى الرومان ان يضعوا حداً لتحرشه بهم . فأرسلوا اليه جيشاً بقيادة لو كلس ليقاتله ويردعه عن اعماله المستنكرة . فتمكن لو كلس من قهره وتبديد جيشه . واجبره اخيراً على الهرب ففر والتجأ الى ارمينيا فارسل لو كلس الى انطاكية يطلب من تكرانس الملك الارمني ان يسلمه . على ان هذا رفض الطلب واثر برفضه غضب الرومان عليه . فغزا لو كلس بلاده واجبره على الانسحاب من انطاكية . فخلفه على عرشها انطيوخس الاسيوي آخر ملك سلوقي . واوفد الحكام السوريون من يونان ويهود وعرب ، رسلكم الى القائد الروماني . يعلنون له خضوعهم وتسليمهم . غير ان لو كلس لا سباب داخلية اضطر الى ان يعود الى رومية ويترك سوريا على هذه الحالة .

(١٩٩) فتح سوريا عن يد بومبيوس سنة ٦٤ ق . م .

وخلف لو كلس في القيادة بومبيوس النائب القنصلي الشهير فعمل على مثر يدات وقهره ثم ظهر على حدود سوريا سنة ٦٤ ق . م .

وكانت سوريا حينئذٍ في حالة فوضى عامة يتجاذب الملك على مقاطعاتها بعض الامراء العرب . اما الملك انطيوخس الاسيوي فقد قيل انه كان اسيراً في قبضة امير حماء العربي فلما علم بقدم بومبيوس علق عليه آماله وتقدم اليه باشارة من امير حماء (?) وطلب منه ان يعيد اليه الملك فرفض بومبيوس قائلاً « ان من اضع السطان وعجز عن حمايته ضد الارمن لا يقدر ان يقف في وجه العرب واليهود الاشداء » . وقيل ان اهل انطاكية قدموا مبالغ طائلة الى القائد الروماني ليرفض طلب انطيوخس . لكن كيفما كانت الحالة فان بومبيوس جعل سوريا اىالة رومانية سنة ٦٤ ق . م . وشرع في تهدئة الاحوال فيها .

فزار انطاكية اولاً ثم دمشق وكانت آنذ تحت حكم الحارث ملك النبطيين فاضطر الحارث الى الانسحاب ودفع الجزية للرومان . وكان اليهود منقسمين الى حزين يتنازعون السلطان فيما بينهم ويستجدون بالعرب بعضهم على بعض فلما علموا بالقوة الرومانية وبقدوم بومبيوس الى دمشق اخذ كل فريق يستجده ويقدم له الاموال ليعضده . فتقدم بومبيوس الى اورشليم

وبعد ان طرد العرب منها حاصر المدينة ثلاثة اشهر ودخلها عنوة
فقاومه في داخلها حتى رءساء الكهنة ورجال الدين ودافعوا
دفاعاً مجيداً . لكنهم كانوا يانفون من متابعة القتال ايام السبوت
والاعياد فاستغنى الرومان تلك الفرصة ودخلوا عليهم في الهيكل بينما
كان الكهنة يقدمون الذبائح وقتلوهم وانتصروا عليهم . وقال
يوسيفوس في ذلك « وكان الواحد يشجع الآخر بقوله يجب
ان نتمم خدمة الفرض ولا نعطيها الى ان نقتل كناساً في طاعة
الله . وكانوا يترددون بين اعدائهم في الخدمة واذا سقط احدهم
مقتولاً اخذ رفيقه ما معه من القربان واذا قتل هذا ايضاً اخذ
الآخر ما معه من الخدمة ليتممها الى ان اكملوا خدمتهم وهم
يقتلون الى ان فني اكثرهم وامتزجت دماؤهم بدماء القرايين
وماتوا في طاعة الله » .

وبعد ان دخلت سوريا في حوزة الرومان اخذ بومبيس في
تنظيمها ووجد ان رومنتها تستدعي قوة كبيرة وحكومة منظمة
فاكتفى بان عزز شأن المدن التي كانت تتمتع على زمن السلوقيين
بالنظام الاداري الداخلي وترك شئون المقاطعات البعيدة في

أيدي الحكام الوطنيين . وسلخ المدن اليونانية وحررها من أيدي اليهود واخضع اليهودية وجعلها تابعة للحكم الروماني . غير انه لم تنظم شؤون البلاد الادارية تنظيمًا رومانيًا بكل معنى الكلمة الا في ايام اغسطس قيصر سنة ٣١ ق . م . كما سيأتي (٢٠٠) مائة البدر في ايام الرومان . وكانت ايام الرومان ايام سلم ونجاح فقد طهروا البحر المتوسط من القرصان وجعلوا الامن يسود في البلاد وصدوا هجمات العرب وارجعهم على اعقابهم فراجت الاشغال والتجارة وانتعشت المدن الفينيقية بواسطة ذلك انتعاشا عظيما وخصوصاً مدينتي صور وصيدا فعادت تجارتهما الى ما كانت عليه قبلا فان من اهم دعائم النجاح في البلاد هو الامن فان فقدت خسرت البلاد سعادتها وتقدمها . ولما دخل الرومان اورشليم انتظروا ان يروا في هياكلها الاصنام والتماثيل لكنهم عند ما علموا ان اليهود يعبدون رباً هو ارفع من ان يمثل بالمادة اعتبروهم وسمحوا لهم باتباع شرائعهم الخاصة واقامة طقوسهم الدينية ومنحوهم نوعاً من الاستقلال فكانوا يقيمون عليهم حاكماً يهودياً يحفظ الامن في البلاد ويجمع

الجزية ويرسلها الى حاكم سوريا وله ان يستجده عند الحاجة
فياقي هذا الى معونته بما لديه من العساكر المنظمة .

(٢٠١) التنظيمات الرومانية في ولايت سوريا . كانت

المدن السورية في ايام الرومان متمتعة ببعض الاستقلال الاداري
لها الحق ان تدير شؤنها بنفسها وتضرب النقود الذهبية منها
وكانت على جانب عظيم من المدنية والعلم والتجارة . ومن هذه
المدن انطاكية وسلوقية وحماة وجبيل وصيدا وصور ، واستعمر
الرومان مدناً عديدة نشروا فيها لغتهم وعاداتهم وعلومهم . من
هذه المدن بيروت وبلبك وصور وصيدا ودمشق وتدمر وكان
يحق لسكان هذه المستعمرات ان يتجنسوا بالجنسية الرومانية
وتمتعوا بالحقوق الوطنية الرومانية وبفضل هذه الحقوق
استطاع بولس الرسول ان يرفع دعواه من
ديوان الوالي الروماني الى ديوان قيصر رومية . وكانت سوريا
حتى ايام اوغسطس قيصر سنة ٣١ ق . م . يعين فيها الحاكم
لمدة سنة فقط وبما ان هذا الحاكم كان مطلق السلطة يعلن الحرب
ويجمع الجزية من الاهالي تمكن في بعض الاحيان من الاستقلال في

الامور وسلب الامة وتحويل الحكم الى الة تنهب المال من خزينة البلاد . فكان يأتي فقيراً ولا يلبث ان يملاً جيوبه من هذا المركز ويعود الى بلاده . وقد رأى اوغسطس هذا الخلل فسعى الى اصلاحه فجعل الحاكم يشعر بان البلاد له وانه اذا افلح في ادارتها يترقى او يتجدد انتخابه الى اجل غير مسمى فاخذ كل حاكم يسعى الى اظهار مواهبه العقلية فيما هو خير للبلاد . ومن ذلك الحين اصبحت سوريا من اهم الولايات الرومانية لا يتولى امرها الا من كان قد خدم في القنصلية الرومانية . وكان الحاكم يقيم في انطاكية ويراجع رومية مباشرة ولديه ثلاثة فيالق من الجنود المدربة يامر بها ساعة الحاجة . وكانت سوريا متجزئة الى اقسام عديدة منها اليهودية وسوريا المجوفة وفينيقية ولبنان كل قسم يتولاه حاكم مرجعه الرئيسي الحاكم العام في مدينة انطاكية . وكان سكان هذه المقاطعات السورية يقبلون على الخدمة العسكرية في الجيش الروماني لان كل من فعل ذلك يحق له الدخول في الجنسية الرومانية . وقد حاربوا في الجيش الروماني في افريقيا وانكلترا والمانيا وحملوا الثغور الرومانية من هجمات الاعداء واشتهر منهم الخيالة التدمريون

الذين تربوا في الصحراء على الحرب وحب القتال .

اليهود في ايام الرومان

(٢٠٢) انتبظر الادومي . بعد ان سقطت سوريا وفلسطين في يد الرومان تقدم قيصرهم لفتح مصر فلاقى مقاومة شديدة وخصوصاً في الاسكندرية حيث كاد يهلك هو وعساكره . لكن رجلاً من يهود فلسطين ذا حنكة واقتدار يدعى انتبظر اسرع برحاله الى معونة الرومان وابدى من الشجاعة والدربة ما يقصر عنه اعظم القواد . فاشتد ازر الرومان وقهروا اعداءهم وانتصروا عليهم . وكان الفضل في ذلك لانتبظر ورجاله الاشداء . فشكر له قيصر خدمته وعزز جانبه ثم اقامه نائباً على اليهودية سنة ٤٨ ق م . وكان انتبظر داهية دهماً مغتماً سوانح وقته لا يدع فرصة تمر الا وينتفع بها . لكن اليهود كانوا يبغضونه لتفوقه عليهم وظلمه اياهم فقاموا عليه ذات يوم ودسوا له السم فمات .

(٢٠٣) هيرودس الملك . وكان له اربعة بنين اشتهر

منهم هيرودس . وكان هذا ادهي من ابيه ، فقد طرد العصابات

التي كانت تعيث بالبلاد فساداً واعاد الامن الى نصابه ودفع
الجزية للرومان بدون امهال ، فنزل في اعين حكام رومية منزلة
رفيعة . و ارادوا ان يكافئوه فحسده الناس ونقموا عليه لما كان ياتيه
من الفحش والمظالم وشكوه الى رئيس الكهنة وطلبوا محاكمته
لدى المجلس السبعيني . ولما حان موعد الجلسة دخل هيرودس
بلباسه العسكري وعلى صدره النياشين واشارات المجد فاهتابه
الناس ولم يجسر احد ان يشهد عليه فانصرف الكل وخرج
هيرودس طاهر الذيل ولم يحكم عليه بشيء .

واغتتم فرصة تضعضع الاحوال بعد مقتل يوليوس قيصر
فذهب الى رومية ، وهناك نظراً لخدماته الجليلة وخدمات ابيه
من قبله ونظراً لاضطراب الاحوال السياسية في الشرق وهجوم
الاعداء من الخارج 'نصب' ملكاً على فلسطين ليجمع كلمة اليهود
ويقف في وجه المهاجمين من الفريتين والفرس . فاسرع الى بلاده
ليتقلد المنصب الذي كان سابقاً يتقلده الابن بالاسم . فوجد رجلاً
آخر قد سبقه واتحد مع الفريتين واغراهم بالمواعيد الكثيرة فسلموه
الحكم . فغضب هيرودس وحاصر اورشليم سنة ٣٧ ق . م .

وساعده الرومان فتمكن من فتحها ودخلتها عساكره فسلبت ونهبت اموالاً كثيرة . ولما ملك هيرودس انتقم من الذين قاوموه وقتل كثيرين منهم بحد السيف . لكنه كان دائماً يحاول استمالة قلوب الناس وخصوصاً العامة بسخائه وكرمه . فانه عندما اشتد الجوع سنة ٢٢ ق . م . اشترى من ماله الخاص كميات كبيرة من الحنطة وفرقها على الفقراء مجاناً .

(٢٠٤) مبعوث المسيح . وكان قد تنوّل على السنة الناس ان نبياً يقوم من بيت لحم فيجمع كلمة اليهود ويخلصهم من عذابهم وتقهرهم فانزعجت خواطر هيرودس وخاف ان يسير الحكم الى غير سلالة فامر بقتل الاطفال في بيت لحم . وعندما وُلد السيد المسيح هرب به اهله الى مصر خوفاً من ان يقتل كسائر الاطفال . ولما شعر هيرودس بدنو الاجل خاف ان لا يكيه احد في اورشليم لكره الناس اياه ، فامر بالقبض على بعض اعيان اليهود وايداعهم السجن . واوصى ان يقتلوا ساعة موته فيحزن الناس عليهم ويغمه بعض ذلك الحزن . ومات هيرودس سنة ٤ ق . م . بعد ان حكم ٣٣ سنة وقد يكون التاريخ المسيحي المعهود مغلوطاً

باربع سنين لان هيرودس طلب من المجوس قبل وفاته ان يرشدوه الى مكان المولود الجديد لكي يسجد له . فتكون وفاة هيرودس اذن السنة الاولى للمسيح . اما الذين امر هيرودس بقتلهم ساعة وفاته فقد أفرج عنهم وأفرج عن كثيرين سواهم فكان يوم وفاة الملك يوم فرح لا يوم حزن .

(٢٠٥) خلف هيرودس اولاده الثلاثة وبقي الخلاف مستمراً في اورشليم حتى طلب اليهود من الرومان ان يجعلوهم تحت حكم والي سوريا الروماني . ومن اعمال فلبيس احد ابناء هيرودس انه بنى قيصرية فلبيس التي اشتهرت في اول العهد المسيحي . وهي اليوم تسمى بانياس ويخرج منها احد ينابيع الاردن الثلاثة وفيها كثير من الاثار الرومانية وقد اشتهرت بقلعتها الصليبية .

(٢٠٦) ثورة اليهود . وكان اليهود يتشربون منذ الصغر بغض الحكومة الرومانية لما كان يلقيه رجال الدين على مسامعهم في المجالس الخصوصية من التنشيط على القيام بوجه الرومان لان الانضمام تحت لوائهم مغاير للشرائع الدينية كل المغايرة .

وكان كثيرون من اليهود يعتقدون ان الجهاد في سبيل تحرير بلادهم من نير الاجانب هو من الواجبات الدينية ومما زاد في حقدهم تدخل الرومان في الامور الدينية واجبار الاهالي على عبادة الاوثان ، ثم تنصيب هيرودس ملكاً عليهم مع انه لم يكن من العائلة المالكة . فاخذوا يتحينون الفرص للابقاع بالحكومة . واخيراً انتهزوا فرصة تضعضع الاحوال في آخر ايام نيرون فقاموا على الرومان وحاربوهم . وجاء فسبسيانس ليعاقبهم فمضى من عكا على راس جيش يبلغ خمسين الفا وغزا اطراف البلاد وانزل العذاب باهلها فهرب كثيرون منهم الى اورشليم واحتموا فيها . لكن فسبسيانس اضطر الى العدول عن مهاجمة اورشليم لاضطراب الامور في رومية عند موت نيرون . واخيراً لم يلبث ان نادى به الجيش امبراطوراً على رومية فاوفد ابنه تيطس لاختاد فتنة اليهود والاقتصاص منهم .

(٢٠٧) مصاد اورشليم وسقوطها على يد تيطس

الروماني سنة ٧٠ م . فتقدم تيطس سنة ٧٠ م . ومعه اربعة فيالق من الجنود ما عدا السوريين الذين شدوا ازره

وعسكر على ابواب اورشليم . وكانت آتذٍ محصنة جيداً يحيط بها ثلاثة اسوار الواحد وراء الآخر خلا الابراج والحصارات القائمة حول الهيكل . فقبل ان يحاصر المدينة دعا اليهود الى التسليم وبين لهم ما في ذلك من حسن العاقبة . فابوا واصبروا على عنادهم . فشدد عليهم الحصار حتى نفذ ما عندهم من الطعام . وكان اذا خرج احدهم في طلب الاكل قبض عليه وصلبه على مرأى من اليهود الذين على السور تخويفاً لهم . فلم يكن ذلك ليؤثر فيهم شيئاً . وضائق الحال بهم حتى اصبح الوالد يسلب اولاده الاكل والمرضع تمنع طفلها حليبها . ولما رأى تيطس عنادهم نصب المجانيق حول المدينة وجد في الحصار حتى تمكن من ثقب السور الخارجي ، ثم استولى على السور التالي والمدينة السفلى . وبعد ذلك عرض العفو ثانية اذا سلموه المدينة فابوا الا القتال . فثارت الحمية اذ ذاك في رءوس العساكر الرومانية ودخلت المدينة عنوة ، وامعنت في اهلها ضرباً وقتلاً وسلبت اشياء كثيرة واحرقت البيوت بالنار . وحاصر جماعة من اليهود ومعهم الكهنة داخل الهيكل آمليين ان الله سيظهر عجائبه فلم يتم لهم ذلك . وغلبوا على امرهم فدخلت

العساكر الرومانية وقتلتهم داخل بيت الله حتى جرت الدماء
 سيولاً واخيراً اشعلت الهيكل فهبت النيران من جهاته الاربع
 واتهمت قسماً كبيراً منه . وقد قيل ان ذلك حصل خلافاً
 لرغبة تيطس . وبعد ذلك جرى تقديم الذبائح للالهة الوثنية على
 مذبح الهيكل المقدس ونصبت الوية الغلبة واقواس النصر .
 وحدث ذلك في شهر آب سنة ٧٠ ب . م . في اليوم الذي دخل
 فيه نبوخذنصر الكلداني المدينة واحرقها .

وقتل في المدينة خلق كثير واخذ تيطس الاسلاب والاسرى
 الى رومية . فاستقبل باحتفال عظيم . وشيد في رومية قنطرة
 كبيرة تذكراً لانتصاره ، لا تزال ماثلة الى هذا اليوم . اما
 اليهود الذين تشتتوا فقد حافظوا على جنسيتهم في البلدان الغريبة
 كجاري عاداتهم وبنوا المدارس لتعليم الفرائض الدينية ولاحياء
 الرغائب في الاحداث وتجديد الحياة القومية لتشييد اركان
 الملك المنتظر .



اسئلة

ما الذي دفع الرومان ليتدخلوا في سياسة الشرق في زمن الحكم السلوقي؟ كيف كانوا يتدخلون؟ ماذا اثمر تدخلهم؟ ما الفرصة التي اضاعها السلوقيون في الحروب الهنبالية؟ هل كان هنبال صادقاً في نصائحه للسلوقيين؟ لماذا لم يعيزوه اذنًا صاغية؟ من هو آخر ملك سلوقي على عرش انطاكية؟ اذكر عن فتح سوريا عن يد بومبيوس . في اي سنة حصل ذلك؟ ما النظام الاداري الذي اجراه بومبيوس بعد الفتح؟ كيف كانت احوال سوريا عمومًا في ايام الرومان؟ ما هي التنظيمات الرومانية الاولى في ولاية سوريا؟ كيف قابلها الاهالي؟ ما الخدمة التي قدمها انتبطر الادومي للرومان؟ كيف كافأوه عليها؟ صف اخلاق هيروودس الملك . ماذا تعرف عن ميلاد المسيح؟ كيف كانت احوال اليهود عمومًا بعد موت هيروودس؟ لماذا ثاروا في وجه الرومان؟ من ارسل الرومان لاسخاد ثورتهم؟ اذكر مفصلاً عن حصار اورشليم . ماذا جرى لليهود بعد سقوط اورشليم في ايدي الرومان؟

الفصل الرابع عشر

سوريا في عهد الرومان

زمن السلطة العسكرية في رومية وقيام الامبراطرة

السوريين على عرشها

١٩٠ - ٢٤٩ ب م .

(٢٠٨) الطموح العرفية في رومية . لم ينقض القرن الثاني بعد المسيح حتى اصبح شكل الحكومة في رومية عرفيا ، السلطة العليا بيد الجنود ينصبون على العرش من شاءوا ويخلعون من شاءوا ، فتسبم عرش رومية في غضون ثلاث وتسعين سنة خمسة وعشرون امبراطورا . فعمت الفوضى من جراء ذلك وانتشر الاضطراب في سائر انحاء الامبراطورية وكان اكثر الامبراطرة من قواد الجيش يغتصبون العرش بحد السيف . وبما ان السوريين كسائر سكان المستعمرات كان يحق لهم الخدمة في الجيش والترجع في مناصب القيادة فقد تسنى لعدد منهم ان

يتوصلوا الى عرش رومية ، اكبر مناصب الامبراطورية ، واليك فيما يلي بتفأ من اخبار بعض الامبراطرة السوريين الذين حكموا في رومية .

(٢٠٩) **ماركوس** . ابوه ساويرس من فينيقيي افريقيا بايعه الجيش بالقيادة على الفرق الرومانية في مدينة حمص . ولما حصل الاضطراب في رومية بعد قتل قدس كان ساويرس في احدى المقاطعات الرومانية فاسرع الى رومية ودعا الجيش الى طاعته فلبى دعوته ، قتل الامبراطور وخلفه في الملك . واما جوليا دمنة ابنة احد اعيان حمص ، وقد كانت على جانب عظيم من الجمال وحسن الخلق ميالة الى الآداب والفلسفة مولعة بالفنون الجميلة . وقد كان يلتف حولها في البلاط عدد من الادباء والفلاسفة والشعراء اكثرهم من السوريين .

وكان لكارا كلا اخ اصغر منه سنا يدعى جيتا اقتسم معه الملك بعد موت ابيه . وكان الحسد والطمع يمزق احشاء كارا كلا حتى دبر أخيراً مكيدة قتل اخاه بها . وحاولت جوليا حماية ابنها الصغير من غدر اخيه فخرحت ذراعها وسقط ولدها في حضنها

فشاهدته يحتضر وكاد هذا المنظر الفظيع يذهب بعقلها . على
انها كانت دائماً تلتطف اخلاق ابنها الهمجية بكلامها اللين
وبارشاداتها السديدة وتساعد في امور الحكم فجاءت مدته خلافاً
لما كان يتوقعه الناس منه بالنظر لا خلاقه غير المرضية .

وبعد ان قتل اخاه طلب من پاپينيانوس المتشرع الحمصي
الشهير ان يستنبط له من القانون ما يبرره من دم اخيه المغدور
فابى هذا قائلاً « اهون عليّ ان ارتكب مثل هذا الفعل الفظيع
من ان الوث قلبي بالدفاع عنه وتبريره » . فغضب الامبراطور
وامر بقتله .

وتذكر كاراكلا في آخر ايامه مقتل اخيه وفضاعة الجناية
فوخزه ضميره وتمزقت احشاؤه كمداً وحزناً ، فعاد العاصمة
وهام على وجهه في اطراف الامبراطورية . ولما قدم الاسكندرية
اشتم من بعضهم بينما كان يطوف في اسواقها ان الناس يظهرون
اشمئزازهم لقبح منظره وضحهم منغاريه فغضب وامر جنده باجراء
مجزرة عامة قتل فيها خلق كثير . ومن اهم اعماله السياسية منحه
حقوق الرعية لسائر شعوب الامبراطورية . قصد بذلك

زيادة موارد الخزينة لان بعض الضرائب كانت تُجبي من الرعايا الرومانية فقط . واعطى السوريين امتيازات عديدة فدخل منهم كثيرون الى بلاد الغرب وكان عدد المحامين والسياسيين المتخرجين في مدرسة بيروت الحقوقية يزداد يوماً فيوماً وخصوصاً في عاصمة الامبراطورية . واستقلَّ كارا كلا عن اي سلطة خارجية واصبح الامبراطور في ايامه رأس الامة ومصدر الاوامر الادارية لا يشار كه احد في عمله البتة .

وقد نال هذا الملك جزاءه من نوع اعماله فانه قُتل في ثورة الجند شر قتلة يد احد عساكره بينما كان في سوريا بعد حكم ست سنين (٢١١-٢١٧ ب م .)

(٢١٠) الاغابال (اله المجمل) . هو حفيد ماسيا اخت جوليا دمنة من ابنتها وابوه احد اعيان افامية ، كان اُرهباً في هيكل الشمس في مدينة حمص . وبعد مقتل كارا كلا ادعت امه انه ابن كارا كلا وسدَّت افواه الخاسدين بالمال الجزيل فسكثوا عنه وبايعه الجند المقيم في حمص . ولما اعتلى كرسي الحكم حارب كل من ناوَّاه في الملك وقهره فصفا له الجو وقدم رومية بافكاره

وعاداته الشرقية فباعه الجيش ثم المشيخة . وكان يقضي اوقاته بالسجود والاحتفالات للحجر الاسود الذي احضره معه من هيكمل حمص حيث كانوا يعتقدون انه سقط من السماء ، فكان يضعه في صندوق من الذهب ويحيطه بالجواهر ثم يامر الجماهير فيجولون معه به في اسواق المدينة بخشوع زائد . وقد بنى الاغابال هيكلاً فخماً في رومية واستقدم الموسيقيين السوريين والراقصات السوريات ليساعدوه باقامة الاحتفالات الاندية وترك الامور السياسية لرئيس حرسه ووالدته وحاشيته الشرقية . وقد نسب اليه المؤرخون الرومان اشياء كثيرة وسودوا صحيفته لانه شرقي ، مقودين الى ذلك بالنعرة الجنسية . واخيراً قُتل هو وكثير من افراد حاشيته الشرقية وجرت جثته في شوارع رومية وطُرحت في نهر التير .

(٢١١) ساويرس الثاني (٢٢٢ - ٢٣٥ م .)

واسمه اسكندر هو ابن خالة الاغابال ، ولد في عرقا بالقرب من طرابلس وأُقيمت اليه مقاليد الحكم في السابعة عشرة من عمره . وكان ذكياً حسن السيرة لين العريكة يحب الصدق ويعشق الحق .

وقد جدَّ في اصلاح ما افسده الامبراطور السابق . قيل انه كان يعلقُ صور المصلحين الكبار في معبده الخاص جاعلاً اصحابها قدوة له في اعماله وتصرفاته ، بينها صور تارابراهيم الخليل والسيد المسيح . وكان مقتصدًا في مصاريفه بسيطًا في طعامه وملبسه قدوةً للشعب والجند وموئ آساةً لفقراء رعيته . ومن اهم اعماله مقاومته الفرس وصدّه اياهم عن اطراف المملكة وتساھلهم مع المسيحيين وعطفه عليهم . وقد كان بلا شك افضل الامبراطرة السوريين ، فقد اصلح اشياء كثيرة وحاول بمساعدة وزيره القدير اوليبيانوس الصوري تنظيم الجيش وابقاه عن التماذي في المفاسد والمملاذات التي كان الشعب وافراد الجند قد تعودوها فغضب حرسه عليه لتعديده على حقوقهم واهلكه .

(٢١٢) فيليب العربي (٢٤٤ - ٢٤٩ م .) ولد في حوران من ام مسيحية وترى من صغره على الغزو والحرب . ولما بلغ اشدّه انخرط في سلك الجندية واخذ يرتقي ويتقدم الى أن اصبح قائد الجيش الاول وثاني الامبراطور في الدولة .

وحدث ان الفرس اعلنوا الحرب على الرومان فزحف الجيش الروماني بقيادة الامبراطور لملاقاتهم . وكان الامبراطور ضعيفاً عديم الدربة فانتهمز فيليب الفرصة السانحة وتمكن بدهائه من اثارة الجند عليه فقتلوه وبايعوا فيليب الملك . ولما تم له الامر ابرم عهداً مع الفرس وعاد الى رومية فاضطر مجلس الشيوخ ان يقره في مكانه . ومن اعماله انه حمل على الداسيين شمالي الدانوب وبني مدينة الشهباء في حوران قريباً من بصرى ، لكن مدة حكمه كانت قصيرة . هذه هي اخبار اشهر امبراطرة السلالة السورية وقد لعبوا كما راينا دوراً هاماً في تاريخ رومية .

ظهور القبائل العربية في سوريا
والنزاع بين الشرق والغرب

(٢١٣) قيام مملكة تدمر . انت الدولة الفارسية التي تلاشت قواها في حروب اليونان وخسرت املاكها في اسيا الغربية عادت سنة ٢٢٦ م . وانتعشت وارجعت بعض مجدها السابق بفضل ملوكها وقوادها الساسانيين الذين عرفوا بالعلم والذكاء والشدة . وكانت الدولة الرومانية آخذةً بالانحطاط ،

والبرابرة تهاجها في اوروبافاغتموا الفرصة وعزموا على ارجاع ما كان لهم من الملك والسلطان . فغزوا اسيا الغربية واحرقوا انطاكية سنة ٢٦٠ م . وكادوا يستولون على املاك الرومان في اسيا لولا ان اميراً من عرب تدمر يدعى اذينة بن السميذع قام برجاله وانتصر للرومان وارجع الفرس على اعقابهم . لكنه لم يلبث ان استقل باموره واسس ملكاً عربياً في مدينة تدمر . غير انه قتل بعد قليل بمكيدة مدبرة في مدينة حمص .

(٢١٤) زنوبيا . وقامت امراته زنوبيا بعد وفاته وانتقلت من قتلته وحكمت باسم ابنها وهب اللات ولقبت نفسها بملكة الشرق وادعت القرابة بالبطالسة ملوك مصر . وقادها طموحها الى العلى وطمعها بتاسيس الملك الى زيادة موارد الخزينة فحسنت الزراعة وبنّت اقية الري واهتمت بالتجارة فراجت وكثرت طرق الارتزاق فزادت ثروة المدينة وقويت شوكتها . ونظمت زنوبيا جيشاً كبيراً ووسعت نطاق دواتها حتى ضمت سوريا ومصر وبقي حكمها مدة خمس سنوات . وقد كانت من النساء اللواتي يفاخر الشرق بهن فقد قادت الجيوش في ميادين القتال وظهرت

من الشجاعة والبسالة ما لا ينتظر من بنات جنسها . وكانت
تركب الفرس في مقدمة الجيش وأحياناً تسير المسافات البعيدة
مشياً على الاقدام مما جعل الجنود يحترمونها ويحبونها . وقد كانت
فضلاً عن فروسيته شديدة التعلق بالعلوم والآداب فعلمت
اولادها الثلاثة وكانت تتكلم الارامية (وهي لغة البلاد آنذ)
واللاتينية والمصرية ولها اطلاع واسع في علم التاريخ

(٢١٥) سقوط ندمر عن يد اوريليانس . وكانت زنوبيا
خطراً كبيراً على الرومان في بلاد الشرق فجهز عليها
الامبراطور اوريليانس جيشاً عظيماً وتقدم به الى سوريا بعد ان
قضى على اعدائه في بلاد الغرب فنازل التدمريين في اسيا
الصغرى فانهزموا امامه وتراجعوا الى سهول تدمر فتبعهم
اوريليانس وقهرهم ثم حاصر المدينة ودخلها بحمد السيف واحرق
بيوتها بالنار وقاد الاسرى الى رومية وبينهم الملكة زنوبيا ،
فدخلت عاصمة الرومان اسيرة تحتال بثياب الخنزير وعلى
صدرها السلاسل الذهبية فدهش كل من رآها . وقد قضت
آخر ايام حياتها في المنفى هي واولادها وقد وجد لها تمثالان في

مدينة تدمر ونقشت صورتها على النقود التدمرية التي كانت
تضرب باسمها وباسم ابنها وهب اللات

(٢١٦) مدينة تدمر مدينة تدمر اليوم من اشهر مدن
الشرق في اظهار الصناعات والفنون اليونانية والرومانية . وقد
بقيت هذه المدينة في عالم الخفاء بين الشعوب المتقدمة حتى اواخر
القرن السابع عشر حين اهتم بها المنقبون ونبشوا اثارها فذاع
صيتها في العالم المتحضر . اما الامر الذي جعل تدمر ذات اهمية
في القرون الخالية فهو توسطها بين الشرق والغرب ومركزها
التجاري الذي جعلها وجهة القوافل ومحط رحالها . زد على ذلك
ان الامبراطرة الرومان جعلوها في اثناء حروبهم مع الفرس
مركزاً حربياً يستمدون منه الرجال والذخيرة . وقد ساعد
المدينة منعة ورواجاً في اسواقها التجارية وعالم الثروة والشهرة
سقوط بطراء في القرن الثاني للميلاد فخلا الجو لتدمر واصبحت
سيدة البادية بدون مزاحم . ومن اشهر اثارها الباقية الى اليوم
اطلال هيكل الشمس والاسطوانات الرخامية المنتشرة على
مسافة لا تقل عن الميل . والارجح ان هذه الاسطوانات هي من

بقايا السوق التجاري الذي شيد على زمن الرومان
 (٢١٧) الفساسة هم من القبائل العربية التي نزحت من
 بلاد العرب ونزلت في مشارف الشام في القرون الاولى
 للميلاد . وليست هذه القبائل الاطلاع الموجة الاسلامية التي
 طامسها الجارف في منتصف القرن السابع بعد المسيح فعم العالم
 المتمدن في برهة لاتزيد عن القرن الواحد . وتوالي الاعوام
 تحضر الفساسة وانشأوا بمساعدة الروم دولة عظيمة الشان
 عاصمتها بصرى المعروفة اليوم بآسكي شام واعتنق كثير منهم
 الديانة المسيحية . وقد خلع الروم عليهم النعم الجزيلة من القاب
 وهدايا واموال ليس انقاء لشرفهم فحسب بل اغراء لهم ليقفوا
 سدا في وجه المناذرة ملوك الحيرة الذين دخلوا في حماية الفرس
 وكانوا بمشورة هولاء يقلقون الامن على حدود الامبراطورية
 وكان من اشهر ملوك الفساسة الحارث بن جبلة الذي ساعد
 الرومان في حرب الفرس . واخيرا قويت شوكة الفساسة
 وكانوا كما سنرى من جملة الاسباب التي سهلت على العرب
 فتح سوريا

حضارة السوريين في عهد الرومان
وانحلال الحكم الروماني في سوريا

(٢١٨) حضارة السوريين في عهد الرومان . لما كانت
ايام الرومان ايام سلم في باديء امرها والحكومة الرومانية كانت
منظمة تنظيمًا حسنًا فقد راجت الزراعة والصناعة والتجارة واخذ
التجار السوريون يفدون الى بلاد الغرب بالثبات ويفتحون
المؤسسات التجارية من شركات وبنوك وغيرها في سائر انحاء
اوروبا وخصوصاً في فرنسا وايطاليا . وقد تخلق السوريون باخلاق
الرومان واخذوا عنهم عاداتهم وازياءهم واخذ الرومان كثيراً من
الشرق وخصوصاً في الدينيات فدخل اوروبا عدد من الآلهة
الشرقية عن طريق سوريا واخيراً انتشرت الديانة المسيحية
وحاربت جميع الديانات الوثنية وانتشرت في بلاد الغرب
انتشاراً واسعاً .

وقد نبغ عدد كبير من الادباء والشعراء السوريين ونشروا
تأليفهم باليونانية واللاتينية واستبدلوا اسماءهم باسماء اجنبية فاختلطت
سيرهم بسير غيرهم من اهل الغرب وذهب فضلهم على الادب

الروماني بين حانا ومانا . وتأسست في بيروت مدرسة لتعليم الشريعة الرومانية لمعت زمانا طويلاً في الامبراطورية وانتشر خريجوها في جميع بلدان الغرب وهكذا فاننا نجد ان التأثير بين سوريا وبلاد الغرب كان متبادلاً فالرومان وان كانوا قد تغلبوا على الشرق حرياً وسياسياً فالشرق استعمر بلادهم بمدنيته ودياناته وثقافته .

(٢١٩) عوامل الانحلال . لقد بدأت عوامل الفساد والانحلال تتسرب الى الحكم الروماني في سوريا منذ دخلت هذه في حكم البيزنطيين سنة ٣٩٥ ب . م . وقد ساعد على حل حكومة البيزنطيين وجلائهم عن سوريا عوامل كثيرة اهمها .
(١) انغماس الاهالي في الملاهي وقلة النسل واهمال القلع على حدود سوريا الشرقية وعدم ثمرت السوريين على القتال والحرب ليصدوا العرب والفرس عن بلادهم .

(ب) نفور الاهالي من الحكومة البيزنطية واشمئزازهم من معاملتها القاسية اذ احتكرت الصناعات الوطنية كصناعه الحرير والصباغة واثقلت كواهلهم بالضرائب وضغطت على الحرية

شخصية فنشبت الثورات العديدة ضد البيزنطيين .

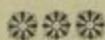
(ج) ضعف الامبراطرة على عرش بيزنطية وانشغال بعضهم بالمجادلات الدينية فتعددت الاحزاب وفُقدت الرابطة الدينية وصرف اولي الامر همهم عن شؤون الحرب الى امور اخرى مما جعل موقفهم حرجاً لدى المهاجرين .

(د) هجمات الفرس المتتابعة على الدولة البيزنطية المحتضرة .
فقد هاجموا انطاكية مراراً ودخلوا دمشق الشام سنة ٦١٤ ب . م .
وحاصروا اورشليم واخذوها سنة ٦١٥ ب . م . ووصلت
جحافل جيشهم الى مصر والبوسفور وبقيت سوريا معرضة
لهجماتهم مدة طويلة .

(هـ) وجود قبائل عربية في سوريا وعلى تخومها كعرب
تدمر والغساسنة وغيرهم الذين كانوا مرتبطين برابط اللغة
والجنسية (فقرة ٢١٣ - ٢١٧) . فعندما قويت شوكة العرب
واخذت هجرتهم الى سوريا شكلاً سياسياً هبوا جميعهم لمناصرتهم
ولتأسيس الملك العربي على انقاض الدولة البيزنطية .

هذه هي اهم الاسباب التي زعزعت الحكم البيزنطي في سوريا

فنهـار بنيـانه وتقوضت اركانـه لدى قيام العرب وقـدومهم كما
سـياقي في الكـتاب الثاني انـشا الله



اسئلة

كيف كان شكل الحكومة الرومانية في نهاية القرن الثاني بعد المسيح ؟
ماذا كان نصيب السوري من ذلك ؟ اذكر اشهر ملوك السلالة السورية .
اذكر شيئاً من اخبار كل واحد منهم .

اذكر اسماء القبائل العربية التي دخلت سوريا في ايام الرومان . ما
الذي جعل لمدينة تدمر اهمية في ايام الرومان ؟ ما الذي تعرفه عن زنوبيا ؟
صف اخلاقها . من من الامبراطرة حاربها ؟ اين قضت آخر ايام حياتها ؟
من هم الفساسنة ؟ اين كانوا يسكنون ؟ لاي شيء استخدمهم الرومان ؟
صف حضارة السوريين في عهد الرومان . ماهي اسباب انحلال
الحكم الروماني في سوريا ؟ اشرحها بالتفصيل .

تم الكتاب الاول وسيله الكتاب الثاني

تاريخ سوريا بعد الفتح الاسلامي

فهرست الكتاب

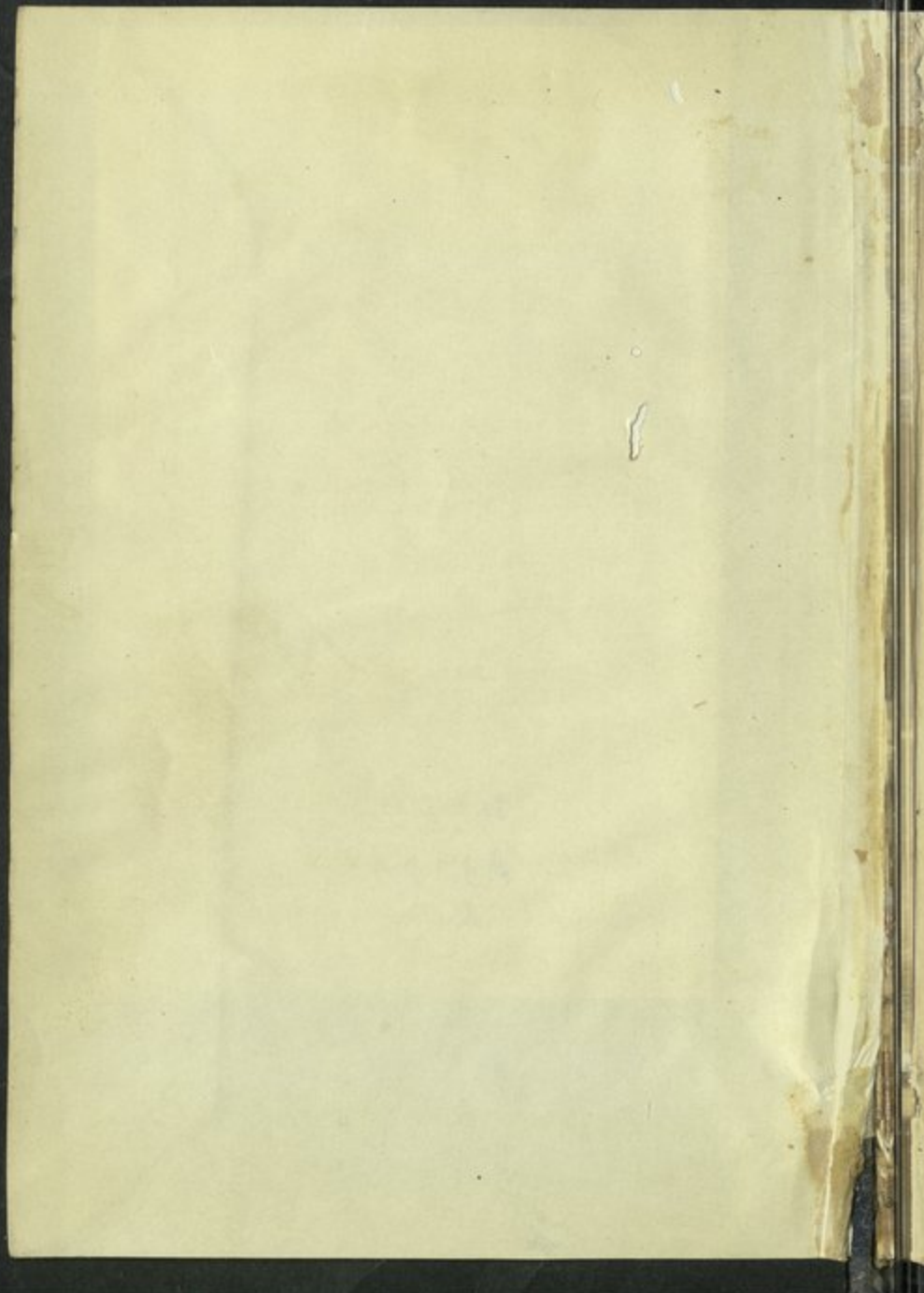
صفحة

١	الفصل الاول	تمهيد في جغرافية سوريا وتحدث سكانها
١٥	الفصل الثاني	اقدم علاقات في التاريخ بين سوريا وبلاد ما بين النهرين
٢٦	الفصل الثالث	اقدم علاقات في التاريخ بين سوريا ووادي النيل
٤٧	الفصل الرابع	المصريون في سوريا - دور اشتداد نفوذهم فيها -
٧١	الفصل الخامس	المصريون في سوريا - دور تاخر نفوذهم فيها -
٢٠١	الفصل السادس	زمن ازدهار المدن الفينيقية
١٣٣	الفصل السابع	ملحق تاريخ الفينيقيين
١٣٨	الفصل الثامن	الاراميون والعبرانيون وايام زهوهم في سوريا
١٥٤	الفصل التاسع	حكم الاشوريين والكلدانيين في سوريا

صفحة

- ١٨١ الفصل العاشر حكم الفرس في سوريا
١٩٩ الفصل الحادي عشر حروب الاسكندر في سوريا
٢٢٠ الفصل الثاني عشر السلوقيون في سوريا
٢٤٤ الفصل الثالث عشر سوريا في عهد الرومان
٢٦٠ الفصل الرابع عشر سوريا في عهد الرومان

انتهى من (٧٤)



939.4:K45A:c.2
خليفة، امين
تاريخ سوريا قبل الفتح الاسلامي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01052353

